

رسائل إلى ميلينا

فرانتس كافكا

- Author: Franz Kafka
- Title: Letters to Milena
- Translated by: El Dessouki Fahmy
- Afaq's first edition: 2017
- Cover Design by: Amr El Kafrawy
- Publishing Consultant: Sawsan Bashier

♦ المؤلف: فرانز كافكا

♦ العنوان: رسائل إلى ميلينا

♦ ترجمة: الدسوقي فهمي

♦ طبعة أفاق الأولى 2017

♦ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي

♦ مستشار النشر: سوسن بشير



رقم الإيداع:

٢٠١٦ / ٢٢٤١٤

الترقيم الدولي: ISBN

978 - 977-765 - 075 - 5

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه. أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb

CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-0111602787

E-mail: afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة - من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ١١١١٦٠٢٧٨٧

فرانتس كافكا

رسائل إلى ميلينا

ترجمة

الدسوقي فهمي

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

كافكا، فرانتس.

فرانتس كافكا: رسائل إلى ميلينا - ترجمة: الدسوقي فهمي

ط 1 القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2017

352 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 2016 / 22414

الترقيم الدولي 978 - 977 - 765 - 075 - 5

1 - الأدباء

2 - كافكا، فرانتس

تقديم

في رسائل كافكا إلى ميلينا، كان كافكا مشغولاً
انشغالاً بالغاً بنقل أعمق مشاعره إلى إنسان آخر، وكانت
ميلينا، التي كانت قد قامت بترجمة بعض قصصه من اللغة
الألمانية، التي كان يكتب بها، إلى اللغة التشيكية، امرأة
مرموقة لتمييزها بميزات عدة ليس من بينها أنها المرأة
التي أحبها كافكا. وكان الوسط الذي تتحرك في إطاره
ككاتبة صحفية تحرر أبواب «الموضة» إلى جانب كتاباتها
الإبداعية القصصية، وترجماتها، وهو الوسط الأدبي في
ثيينا في السنوات التالية مباشرة لعام ١٩١٨، ليس هو الجو
الذي يمكنها أن تتألف معه بطبعها القلق، ذلك الذي أشبه ما
يكون بقلق دوستوفسكي، وإن يكن عندها قلق يتجاوز في
حدته قلق دوستوفسكي نفسه إلى أبعد مدى، وعلى أوسع
نطاق. وكانت ميلينا عندما التقت بكافكا امرأة متزوجة، أما
كافكا فكانت قد استغرقت بالفعل علاقته بـ (دورا ديمان).

لهذا لم يكن لتعلقهما المشبوب أن يبلغ أية غاية سعيدة، بل لقد بدأ هذا الافتتان العاشق يتحطم بالفعل بعد فترة لم تكد تبلغ العام.

أما الرسائل التي نتجت عن هذا التعلق فهي رسائله إليها؛ فقد فقدت رسائلها هي إليه، وهذه خسارة بالغة نتج عنها بتر هذه النجوى الغرامية النادرة. ليست رسائل كافكا هذه إلى حبيبته ميلينا، رسائل مؤثرة غاية التأثير في ذاتها فحسب؛ بل هي فوق هذا رسائل تتجاوز المتوقع بين كاتب فنان كبير، ومعشوقة فنانة مثقفة قوية الشخصية، متمردة، مضطربة، بالغة الجاذبية؛ ذلك أننا يسعنا من قراءة رسائله هذه بالذات أن نلتقط لمحة من امتداد شخصية كافكا، لا يتاح لنا أن نحصل عليها من قراءتنا لكتابات الإبداعية التي تخلط الواقع بالحلم، لتنتهي بهذا الامتزاج إلى إنجاز أمثولات أسطورية معلقة في عالم الحياد المتأمل، ومقيدة، مكتوفة في قالب الشكل الحديث المتفرد الذي انفرد به، كما لا يمكن أيضاً الخروج بمثل هذه اللمحة لإمكانات روحه للمعايشة في «الواقع» والافتتان به إلى هذا الحد، رغم أن هذه الرسائل، مع هذا، على امتدادها كلها من كل أشكال الحلم وكل الصيغ الأسطورية، وتثقلها المفارقات التي تفاجئنا بالدهشة البالغة، لغرابة وواقعية تشكيلها الفني الذي ينصهر فيه الحلم مع الواقع، يستغرق كل الاستغراق

في معايشة عشقه لميلينا، ويتجاوزه وهو يخاطبها في نفسها في وقت معاً، فهو (يستخدم) تشبيه (الحفرة) في الغابة كـ (مكان) في إحدى الرسائل؛ ثم يعود ليستخدمه كـ (حدث) في رسالة أخرى، أو كـ (موقف درامي)، ولا يمكننا أن نحصل على هذه اللوحة من قراءة (يومياته) التي كتبها بكل كثافة رؤيته على مدى السنوات من (١٩١٠ - ١٩٢٣)، ولا من رسالته الشهيرة (إلى الأب)، أو رسائل رحلاته، ورسائله إلى الأسرة والأصدقاء؛ ذلك أن كافكا يتبدى لنا في رسائله هذه إلى «ميلينا» إنساناً عذباً، قد زايله توتره مؤقتاً، يتبدى عاشقاً قد استرخى، في غير انتباه، إلى حين، لآلهات النعمة اللائي يطاردنه، كما يقول أحد نقاده، وهو (تشارلز أوسبورن) في كتابه (كافكا) في سلسلة «كُتَّاب ونقاد» حيث يقول:

من المسلم به أننا نستقبل هذه الصورة فقط عند بداية المراسلة بينهما، عندما يقول كافكا في رسالته إليها من (ميران):

«...إنني أعيش هنا في خير حال، ولا يطيق الجسد الفاني مزيداً من العناية، وتطل شرفة غرفتي على حديقة يحيطها سور، تزدهر فيها الشجيرات المزهرة. إن النباتات هنا غريبة؛ فالزهور تتفتح في بطاء أمام شرفتي، في جو مثل جو براغ تتجمد فيه بالفعل برك المياه، وتعرض شرفة الغرفة

كذلك لأشعة الشمس، أو تتعرض للسماء التي تحجبها
السحب إلى ما لا نهاية، كما هو حالها منذ ما يقرب من
الأسبوع؛ وتزورني في الغرفة السحالي، والطيور، وأنواع
متباينة من الكائنات؛ تزورني أزواجًا أزواجًا. إنني أتوق في
لهفة بالغة إلى أن تكوني هنا في ميران.....».

ويقف (أوسبورن) في اقتباسه من هذه الرسالة عند
(وتزورني في الغرفة السحالي، والطيور، وأنواع متنافرة من
الكائنات)، وكان ينبغي له أن يضيف الجملة التالية الدالة،
والتي تمثل نتيجة محتومة للمقدمة التي تهيئ المسرح،
وتمهد للتشوف؛ «تزورني أزواجًا أزواجًا: إنني أتوق في
لهفة بالغة إلى أن تكوني هنا في ميران، لقد كتبت لي أخيرًا
عن عدم قدرتك على التنفس، وفيما كتبتة تتجاوز الصورة
مع المعنى إلى حد بعيد، وفي ميران قد تخف وطأتهما
بعض الشيء»..

.... مع أرق تحياتي

.....

ثم يواصل (أوسبورن) فيقول:

وبينما تتطور علاقتهما، تبدأ دوافع كافكا المهذمة
للذات؛ تبدأ دوافعه هذه في نوبة جلد للذات، فتؤكد
وجودها بهذا، لتصبح رسائله الغرامية هذه عندئذ أشبه ما
تكون بفقرات (يومياته) المحمومة:

« السبب الذي يجعلني أتساءل عما إذا كنت لن تخافي هو أن الشخص الذي تكتبين عنه ليس له وجود، وإن كان الأخير يزيد على الأول في انعدام وجوده، ولم يحدث أن كان له وجود؛ فذاك الذي في فيينا لم يكن له وجود، ولا كان لذلك الذي في جموند وجود؛ وإن كان الأخير يزيد على الأول في انعدام وجوده، وستحل عليه اللعنة علاوة على ذلك، وأن تعلمي بهذا لهو أمر مهم؛ لأنه لو كان علينا أن نصل إلى اتفاق فيما بيننا فسوف يعود ذلك الشخص الذي في فيينا، أو حتى ذلك الذي من جموند إلى التواجد بكل البراءة، وكأن شيئاً لم يحدث، على حين أن الشخص الحقيقي في أسفل، ذلك المجهول للكل ولنفسه، والذي يقل وجوده حتى عن وجود الآخرين. فلماذا لا يأتي ويظهر نفسه؟ - سوف يرفع يده في تهديد، ويحطم مرة أخرى كل شيء».

وعندما تذكر ميلينا (يواصل أوسبورن التعليق) أنها كانت قد أصيبت بالأنفلونزا، فإن طريقة كافكا النموذجية في الربط ذهنيًا بين هذه المعلومة وبين حالته الشخصية تؤدي به إلى أن يكتب لها:

«... وعلى هذا فقد أصبت بالأنفلونزا، حسنًا، فليس لي على الأقل أن ألوم نفسي على تمضية وقت مرح هنا بصفة خاصة، أحيانًا لا أفهم كيف اكتشف البشر فكرة «البهجة»

ربما كان قد تم تقديرها على أساس أنها نقيض للحزن».

- والحياة (يواصل أوسبورن) التي كان قد ظنّا في وقت ما أن بإمكانهما أن يعيشاها معاً، اتضح لهما أنها كانت وهماً لا يمكن تحقيقه؛ وأخذت الرسائل تقل، ويتباعد تتابعها، أصبحت أيضاً أكثر تحفظاً؛ ويكتب لها كافكا قائلاً عند بداية هذه الرحلة الأخيرة المؤسسية:

«لا يا ميلينا، إن إمكانية الحياة المشتركة التي ظننا أننا قد عشناها في فيينا، ليست في الإمكان، تحت أي شرط، ولا هي حتى كان قد أمكن وجودها وقتذاك. لقد تطلعت من فوق حافة سياجي الذي يفصلني، تشبثت بقمة ذلك السياج بيدي، ثم.... سقطت متراجعاً بأيّد جريحة متسلخة».

وتكشف الرسائل الأخيرة عن إلحاح متزايد لفقرات الوعي بالذات، والشعور الذاتي، وتحليل الذات، التي يتتبع ورودها بصورة متصلة، ولعلمه بأن (وقته) كان محدوداً، فقد كان مهتماً بتقرير طبيعته بأقصى ما يمكن من الوضوح. تندافع هذه الفقرات خلال معاناته من الإنهاك العصبي (النوراستينيا): «ولا ثانية هدوء واحدة قد ظفرت بها، لم أنل شيئاً... لا يمكنني أن أحمل العالم على كتفيّ، فأنا لا أكاد أحتمل عبء معطفي الشتوي فوقهما». وتنتهي هذه الفقرات إلى قبول أو تقبل صافٍ، حزين، لحالته المعذبة، ليقول في رسالته التي يشير فيها مرة أخرى إلى (الحفرة)

«جرابن» التي كان يتكوم في جوفها (كحيوان في ظلام الغابة) عندما مرت به ميلينا في إشراقها، فيقول:

قبل أن يخرج للنزهة، لم يكن عليه فحسب أن يغتسل، وأن يمشط شعره وما إلى ذلك - وهذا وحده أمر مرهق بما فيه الكفاية - بل عليه أيضًا (بما أنه يفتقر في كل مرة إلى ما هو ضروري لنزهته)، أن يخطط لملابسه كذلك، وأن يصنع حذاءه، وأن يقوم بتصنيع قبعته، وأن ينحت عصاه التي يتوكأ عليها في سيره، وهكذا. وبالطبع لا يكون قادرًا على أن يفعل كل هذه الأشياء على نحو جيد جدًّا؛ فلعلها لهذا أن تتماسك كلها إلى بعضها البعض على امتداد بضعة شوارع قليلة، لكنه عندما يبلغ - الحفرة - (جرابن) مثلاً؛ فإنها تتساقط عنه جميعًا كل منها في ناحية، ليقف هو عاريًا هنالك وسط الخرق والأسمال (إشارة إلى حالته في الحفرة - في الغابة - فهو يختار شارعًا موجودًا بالفعل له اسمه الدال على حاله وسط خرقه وأسماله في ظلمة الغابة، على نقیض إشراق ميلينا وتآلقها عندما مرت به في حالته هذه (أو بهذه المرحلة من حياته) و.... «يجيء الآن دور العذاب في جريه راجعًا إلى (ساحة ألتشتايتير)، وربما يندفع في نهاية الشوط وسط غوغاء التأموا في حلقة شرك نصبوه لليهود في حارة «آيزن»).

- لا تسيئي فهمي يا ميلينا، فأنا لا أقول بهذا إن هذا

الرجل قد ضاع، لا، أبدًا، لكنه قد ضاع إن هو ذهب إلى
(جراين) - الحفرة - حيث يجلب الخزي على نفسه، والعار
على العالم.

أما «إيريش هيللر» فيؤكد في كتابه (فرانتس كافكا) في
سلسلة (أساتذة الأدب الحديث)، على نفس المعنى الذي
أشار إليه (أوسبورن) حيث يقول في سياق دراسته بعنوان
(الزواج أم الأدب) التي تناول فيها رسائل كافكا إلى خطيبته
(فيليسه باور)، في إشارة إلى رسائله أيضًا إلى ميلينا بقوله:
«في نهاية يناير ١٩٢٢ تساءل كافكا، وكان قد لجأ إلى
منتجع «شبنده» في بوهيميا، كيف يمكن أن يبدو له الحال
لو أن ميلينا، تلك المرأة التي كان عشقها قد سيطر على
حياته عندئذ، قد صحبتته إلى هناك».

كان من الممكن بالطبع أن يمنحه ذلك قدرًا من البهجة،
لكنه كان قد رآه أمرًا مزعجًا: «فسوف أكون قد ألقيت
بنفسي في خضم عالم لا أحتمل العيش فيه»، ثم ينتهي إلى
أنه «لا يبقى أمامه - فقط سوى - حل اللغز الذي يتمثل في
السبب في سعادتي لأربعة عشر يومًا في مارينباد». وأيًا كان
حل اللغز، فإن إجابة ما، طبقًا لإحدى فقرات (يومياته) في
مارينباد، هو - أنه لم يكن سعيدًا كل تلك السعادة، أو أن
سعادته على الأقل لم تستمر أسبوعين، وأيًا كان ما أحسه
بهذا الخصوص قبل سنوات، فهو يقول في هذا التوقيت

(من عام ١٩٢٢)، إن «الوقت» كان قد فاتته طويلاً، فلندع الآخرين يحبون أو يمارسون الحب، أما بالنسبة له، فقد أصبح هذا أمراً غير وارد (الآن) بالمرّة. «إنني أبعد عن هذا غاية البعد، إنني منفي طريد بعيداً عن هذا».

ولهذا كان قد كتب إلى ميلينا يقول:

«لا أحد يتغنّى بمثل تلك الأصوات الصافية، كما يتغنّى هؤلاء الذين يعيشون في عمق أغوار الجحيم، وإن ما نحسبه غناء الملائكة أنفسهم إنما هو غنائهم».

ويضيف «إيريش هيلر» قوله:

«وكما أن تمثيل (هاملت) لم يكن سوى شفرة تقدم تأثيراً مسرحياً لموقف يضطر فيه (الشخص الذي في الداخل) إلى أن يتحول إلى شخص آخر بمجرد أن يصبح فعالاً في المحيط الخارجي؛ فكذلك كان أسلوب كافكا في (الخداع بلا مخادعة) وهي صيغة أكثر رقة لترجمة العبارة التي شخّص بها كافكا نفسه، عندما وصف خطوبته الأولى في يومياته (٢٣ يوليو ١٩١٤) بأن «فعله كان فعلاً شيطانياً في براءتي»

..... كما يتهم (الأب) ابنه في قصة (الحكم) «طفل بريء، هذا ما كنته أنت حقاً، لكن ما هو حق أكثر منه هو أنك كنت كائناً بشرياً شيطانياً».

- فهذا هو السؤال الذي توجهه رسائل كافكا الغرامية - وهي رسائل تختلف كل الاختلاف في (شكلها) عن أية رسائل غرامية في الأدب كله - وتوجه رسائله إلى ميلينا هذا السؤال في إلحاح مزعج؛ فما هي طبيعة العلاقة بينه وبين الأشياء التي كان قد قبلها عرفيًا بشكل ما، بتعذيبه لذاته، وبميل شبه ديني؛ تلك (الأشياء) التي تؤلف في رؤيته، واقع العالم الخارجي.

وهل كانت حياته الداخلية تنتمي إلى ذلك العالم الخارجي على نحو (طبيعي)؟ أي على نحو قابل للوضوح، أو على نحو يسمح بإمكانية للتعبير عنه في وضوح، أو كان التعبير عنه ممكنًا أصلاً.

لم يكن ذلك التعبير الواضح ممكنًا من خلال (فنه) وحده، ولا كان حتى ممكنًا عن طريق فنه أن يتواجد ولو في صيغة يكتنفها شكل ما من أشكال الإبهام على نحو ما، ذلك أن فنه هو فن بالغ الحدة، بالغ الإزعاج في إبهامه، يتباين عن كل أشكال الكتابة الأدبية المعروفة.

وحتى (ميلينا) موضع (عشقه) على امتداد تلك الفترة المحدودة، مع كونها أكثر وعيًا، وأكثر ثقافة، وأكثر وضوحًا وتحددًا من خطيئته (فيليسه)، وأكثر منها عمقًا في عنف عاطفتها المشبوبة الملتهبة، وفي نجاحها في إثارة عواطفه الكامنة، مع أنها لم تكن تنتظر، فوق هذا كله، أن

يتزوجها، كانت متألّفة غاية الألفة مع هذه الأسئلة، ومتوافقة مع إجاباته النافية السلبية، ذلك أنها كانت تعرف أن (جوهر وجوده) هو (الخوف)، وهو أيضًا ذلك القلق الذي يثور كأنه استنشاق لسموم متصاعدة من تلك (الفجوة) بين «ذات» وبين «عالم».

... فهل لنا أن نتساءل: مثل مَنْ مِنْ أسلافه العشاق، وعلى درب مَنْ مِنْ كهنة ذلك المعبد المسمى بـ «المرأة» تراه قد سار؟ ومن هو سلفه الأقرب في نوبة العشق اللامعقولة هذه التي انتابته (روحياً) وهو على حافة الموت، والتي استبدل بها، وهو «يحتضر» بالفعل «نوبة عشق» من نوع آخر مع (دورا) في أيامه الأخيرة، في المصححة التي قضى نحبه بها، وإن كان قد حول هذه النوبة الروحية مثل فعل عاشق لا معقول آخر سبقه، إلى صفحات فن أو عشق، مكتوبة نابضة!

فلنعد إلى رسالة دالة من بين رسائله هذه، لنستدل بها، وكنت قد قمت بترجمة شذرة أيضًا من بين ما ترجمت من كتاباته القصيرة بعنوان «إبراهيم»، تقدم هي أيضًا قصة (الفداء) اللامعقول في قصة «إبراهيم» الخليل، ومفارقات الأمر الموجه إليه بتقريب (ابنه) (قرباناً ذبيحاً) بالسكين، ثم افتدائه بالكبش أو..... بالكتابة في حالة كافكا، وسلفه العاشق الفيلسوف (سورين كيركجارد) الدانمركي....

ففي (رسالة) أحد أيام الخميس يتحدث كافكا عن (خوف ورعدة) الأنبياء عند سماعهم لنداءات ونذر، ويتحدث إلى ميلينا عن جدارتهم بسماع تلك الأصوات، هذه الجدارة التي قد يكتنفها الشك في أحيان....

ويبدو تأثره (وإن لم يكن تأثرًا مباشرًا) بمدخل رسالة (الخوف والرعدة) «الفلسفية» هذه المرة والتي كان قد كتبها (سورين كيركجارد) بديلاً عن الكبش الذي افتدى به معشوقته (ريچينا) (حتى الاسم وموسيقاه هي أيضًا)، ورأى فيها وحيدته التي افتداها برسالة فلسفية (كانت تستمتع بقراءتها مع زوجها بصوت عال دون أن تدري مدى المفارقة) عن «العبث» واللامعقول في قصة (إبراهيم وإسحق) «في الكتاب المقدس» و(إبراهيم وإسماعيل) في القرآن الكريم....

و... «لكي يلزم المرء جانب الأمان من الأفضل له أن ينكر مقدّمًا، وبشدة تلك الأصوات.....».

... تختلف كل رسالة عن الرسالة التي تليها وترتعد أكثر من الردّ....

كان كافكا قد قرأ كتابات (كيركجارد) في عام ١٩١٨، أي أن قراءته له كانت ما تزال حية في (وعيه) أو في (لا وعيه)، في زمن نوبات عشق حياته الأخيرة تلك...

وقرأت، وأعود مرارًا إلى قراءة (الخوف والرعدة) التي ارتاد فيها «كيركجارد» مواجهة قضية اللامعقول أو (العبث)، مع رسالته الفلسفية المكملة لها (الموت مرضًا) التي واجه فيها قضية (اليأس) في طبعة «أنكور» ١٩٥٤، في ترجمة (ولتر لوري)، وكنت قد علمت أن مترجم الفلسفة والصديق الذي عرفته في أواخر أيامه، فاشتدت فجيعتنا بفقده، المثقف الكبير «فؤاد كامل» المدير العام الأسبق لإذاعة البرنامج الثاني كان قد ترجم هذه الرسالة الفلسفية بعنوان (الخوف والرعدة) في طبعة يبدو أنها كانت (محدودة) لأنني لم أعرّ عليها؛ سمعت فقط بعنوانها فاستخدمته هنا اعتزازًا (الخوف والرعدة). وكان (فؤاد كامل) دقيقًا في تعبيره، وموهوبًا وقديرًا في ترجماته الفلسفية والأدبية، فطالما عرف قراء العربية أو «سمعوا» عن هذا العمل لـ (كيركجارد) باسم (الخوف والرعدة).

وكانت أعمال كافكا في الحقيقة تضيف إلى الثقافة اليهودية لأوروبا الوسطى أو تشكلها في قلبه المتحور المظلم والمستحيل، ليصبح بذلك (رائيًا) للأعماق القديمة يكتشفها، ويحاكيها بقوة تتجاوز المعقول، كما يفعل كل مبدع خلاق وهو يعيد صياغة الأشكال الأصلية للشعور.

وكان كافكا قد تعلق في إصرار ومثابرة بمسرح (اليديش) وهي لغة يهود أوروبا الوسطى والاتحاد السوفيتي

السابق، وكان قد (حلم) أيضًا فيما حلم بفلسطين؛ كي يستعيد نقاء حياة نباتية منعزلة، وحلم (بقصر في إسبانيا) حيث كان يعيش أحد أعمامه حياة باذخة، وإذا كان قد رأى أن «الصهيونية» هي «تجديد» معنوي، فليس ثمة ما يثبت أنه قد شارك فيها بالفعل بنفسه، وربما كان (المرض) هو ما أسرع بمنعه من الانخراط فيها بدوره.

لقد عاش كافكا سجينًا لجذوره اليهودية، مرتبطًا بالخطيئة والفشل والألم والموت، حالمًا معذبًا في (هبوطه إلى القوى المظلمة)؛ كان كاتبًا يحترف تعذيب نفسه (قربانًا) للإبداع.

وكانت تملكه (الرغبة في الموت) كما كتبت عنه ميلينا نفسها؛ وقد أوضحت «يانا تشيرنا» (ابنة ميلينا) أخيرًا في كتابها عن أمها بعنوان (حياة ميلينا من براغ إلى فيينا) (طبعة مارن سل ١٩٨٨)، تفكك أوروبا الوسطى فعليًا، وأشارت إلى عدوى الماركسية التي كانت قد أصابت أمها (ميلينا)، الذكية المستقلة، بتأثير «كوخ»، الذي أعقب كافكا في تأثيره عليها، قبل أن تتكفل النازية بأمر الماركسية في تلك البلاد.

وكان كافكا قد رأى بنفسه (في يومياته) على أنه «صيد» يُشوى على السيخ فوق النار، مهينًا للطهي والتقطيع... كان قد رأى نفسه «وسط هذه النيران» قطعة غريبة من اللحم).

ومع ذلك، لم يكن (التمساح الصغير) كما أطلق عليه
أحد مدرسيه، يفتقر إلى الأسنان والأنياب، وإن كان يدخر
أقوى قدراته على (النهش) لإنجازات أخرى...

كان يعمل «بضراوة ساحرة، تدعو للغضب، وتثير
الشفقة» مستهدفاً أن يجثو الآخرون عند قدميه، وكان
يحتمي خلف درع من السخرية، محرّكاً من عمق (جحره)
«قرون استشعاره» تحت أنف «والده» (الذي كان يمثل له
تجسيداً لكل أشكال السيطرة والتسلط).....

..... وانتهى الحب المستحيل، ولم تبق منه سوى آثار
(نبش أظافره المتشنجة) في (هكذا تحدث إليّ «جوستاف
يانوش»)، ولنا أن نتساءل، مع تسليمنا بغرابة أطواره،
هل كان حقاً قد طلب جاداً من (ماكس برود) أن يحرق
مخطوطات كل أعماله، إشعاعاً لنيران الندم تحت قدميه،
بما أنه لم يكن له سوى أن يهدم أو يخون.

... أليست هذه (قضية) أخرى؟.... بلا قضية؟

... ولما لم يكن هناك (ضحية) أخرى غيرنا نحن
قراءه، فلتأمل هذا الجزاء الهادئ البديع.... فنمتع أنفسنا
بمتعته في... الكتابة.

و.... قد سبق أن نشرت ترجمتي لرسائل كافكا هذه
إلى ميلينا في جريدة (المساء) بعنوان (رسائل إلى ميلينا-

فرانتس كافكا - ترجمة ورسوم....) في حلقات يومية متصلة بلغت (١١٥) حلقة، بدءاً من ١٤/٧/١٩٧٨ وحتى ٨/١١/١٩٧٨، ومصحوبة برسومي في كل حلقة من حلقاتها، لأهم الشخصيات الأدبية الواردة بها (بالإضافة إلى رسوم لأفراد أسرة كافكا)، وكنت قد أنجزت في نهاية عام ١٩٧٣ بعد أن فرغت من إتمام هذه الترجمة كاملة (فيما عدا مسودات لعدد من الرسائل، راجعت ترجمتها أخيراً) لوحيتين بألوان الجواش مع الفحم (بورتريه لكل من ميلينا ييزينسكا- بولاك، و«دورا ديمانت») عن صور تضمنها (مع الكثير غيرها) كتاب (كافكا، بقلمه) لـ (كلاوس فاجنباخ)...

الدسوقي فهمي

«كتابة الرسائل... معناها أن يتجرد المرء أمام الأشباح. وهو ما تنتظره تلك الأشباح في شراة. ولا تبلغ القبلات المكتوبة غايتها، ذلك أن الأشباح تشربها في الطريق»
(كافكا إلى ميلينا)

عرف فرانتس كافكا، (ميلينا ييزينسكا Milena Jesenska) في بداية الأمر باعتبارها مترجمة بواكير أعماله القصيرة إلى اللغة التشيكية، ولعل مآل هذا التعرف إلى علاقة عاطفية، قد تلا ذلك في رسائله من (ميران) في عام ١٩٢٠ فلم تكن بالفعل سوى لحظة - هي تلك اللحظة التي تحقق فيها (كافكا) من أنه ليس حرًا في اتخاذ قراراته. فلم يكن له أن يعود من (ميران) إلى (براغ) عن طريق (ميونيخ) أو عن أي طريق آخر، كما لم يسعه أن يزور أحد ينابيع المياه المعدنية في (بوهيميا)، بل كان عليه بدلًا من ذلك أن يرحل عن طريق (فيينا) - لأن (ميلينا) التي كانت تعيش في تلك المدينة كزوجة تنهار حياتها الزوجية شيئًا فشيئًا، كانت قد طلبت منه ذلك، ولم يكن وضع (كافكا) بالفعل مختلفًا عن وضعها، فلم يكن حرًا هو أيضًا، ذلك أن خطيبته كانت تنتظره في براغ، وكانت تلك الخطيبة تتطلع إلى إتمام القران بأسرع ما يمكن، رغم أن أملها في تحقيق ذلك لم يكن يعدو أمل خطيبته السابقة، تلك التي عرفها فقط باسم (فتاة برلين) وفي كلتا المرتين - أو ربما في المرات

الثلاث - فقد اتضح أنه كان قد خطب فتاة منهما مرتين - يبدو أن
فسخ الخطبة قد سبب أزمة خطيرة في حياة كل من الفتاتين.

وبدا من ناحية أخرى أن انفصال (ميلينا) البطيء عن زوجها،
كان مقدراً له أن يتم دون أية أزمات، كما حدث بالفعل بعد بضع
سنوات.

وتكشف (يوميات كافكا) عمق هذه العلاقة، فاسمها، أو
الإشارات التي لا شك في أنها تشير إلى (ميلينا)، تتكرر المرة بعد
المرة خلال عامي ١٩٢١، ١٩٢٢ وقد بدأت الإشارة إليها لأول
مرة في أكتوبر ١٩٢١، عندما أشار (كافكا) إلى أنه قد أعطى (م)
يومياته كلها لكي تقرأها، وأنه بهذا يكشف أمامها في الحقيقة، قلبه
وضميره. وفي أول ديسمبر يشير إلى أنها قد اتصلت به تليفونياً
أربع مرات (في منزل والديه فيما يبدو)، وإنها على وشك الرحيل
(أهدأ أربعة أيام حافلة بالعذاب)، ويضيف: (...) إنه طريق طويل
يبدأ من حالة اللامبالاة هذه، لينتهي إلى النقطة التي عندها سيسبب
لي رحيلها أسفاً لا حد له، الأسف، وأعترف بهذا، ليس هو أقصى
الشر)، وفي اليوم التالي: (دائماً «م» أو ليست «م» لكن مجرد مبدأ،
ضوء في الظلام) وفي ١٨ يناير ١٩٢٢: (ما الذي فعلته بهبة الجنس
التي وهبت لك؟ لقد كانت فشلاً، أو أن هذا هو كل ما سيقولونه في
النهاية. لكن ربما نجحت في يسر.... «م» على حق، إن الخوف
معناه التعاسة).. وفي اليوم التالي يظهر في اليوميات بوضوح مسودة
رسالة لعله لم يرسلها إلى «ميلينا» أو لعل «ميلينا» لم تحتفظ بها:

«بسبب عدد من الإشارات العارضة التي أخجل من ذكرها، كان انطباعي بأن زيارتك الحالية كانت رقيقة حقًا، ونبيلة، لكنها ترهقك إلى حد ما على الرغم من ذلك، وهي على نحو ما مفروضة أيضًا، كالزيارات التي يقوم بها المرء لمرضى، هل انطباعي صحيح؟ هل وقعت في اليوميات على دليل من الأدلة الدامغة ضدي؟».

وفي ٢٣ يناير، كان (ربما في رسالة) قد أخبر ميلينا عن (الليل). وفي مناسبة أخرى قام بتحليل إحدى ملاحظاتها عنه، ذات مرة في آخر يناير في (شبندلموله)، كتب (لو أن «م» مثلاً، تأتي إلى هنا فجأة، لبدا هذا مرعبًا)، ذلك أن زيارتها، بعبارة أخرى (وكافكا صادق هنا مع نفسه، فعبارته هذه لا تنطوي بالمرّة على أي معنى من معاني المرح) سوف ترتفع إلى أقصى حد، قدره كـ «برجوازي» في تلك القرية الجبلية البهيجة. ولقد أشار كذلك إلى أنه كان قد نعم بالسعادة من قبل مع «م» في (مارينباد)، وعلى هذا فسوف يتذوق هذه السعادة مرة أخرى - (وإن كان ذلك، لن يتم بالطبع، إلا بعد انهيار الحواجز، المؤلم!).

هنا تبدأ العلاقة بالفعل في التحلل: (فما تعودنا على أن نعتبره خيطًا فاصلًا أصبح الآن حدًا، أو سلسلة من الجبال، أو على نحو أكثر دقة، قبرًا).

وفي ٦ إبريل، نجد ملاحظة غريبة: (رسالة مفصلة إلى ميلينا، الطيور الثلاث، الطيران إلى الغابة، ميلينا)، وربما كان ثمة ما يتعلق بميلينا أيضًا في (إيماءة الرفض) - اليوميات، فقرة ١٢ فبراير

١٩٢٢ - التي تنتهي بكافكا إلى (لا يسعك أن تحبيني كما تودين لو تفعلني، إنك تعسة في حب «حبك لي» إلا أن «حبك لي» ليس في حالة حبي لك).

قد يكون ما تقدم بضع فقرات مميزة من الرسائل، على الرغم من قصرها، على أننا لا نملك في تلك الرسائل قصة الحب العنيفة بأكملها - عريضة اليأس - الهناء - تمزق النفس، وإذلالها، ذلك أنه على الرغم من أنهما قد التقيا مرارًا إلا أن غرامها لم يكن في جوهره سوى (رسالة غرام)، كما كان غرام (فيرتر)، أو (كيركجارد).

انحدرت ميلينا من واحدة من الأسر التشيكية العريقة، في مدينة (براغ)، تلك الأسر الى يمكن أن يطلق عليها لقب أشرف تشيكوسلوفاكيا الحقيقيين، وقد نقش اسم أسرتها بالحروف الكبيرة فوق اللوحة الرخامية الهائلة الى أقيمت في صدر ميدان مدينة (براغ) القديمة تخليدًا لذكرى أحد أسلافها، وهو من الأبطال البارزين في تاريخ تشيكوسلوفاكيا، وقد أعدمته أسرة الهابسبورج الحاكمة في أعقاب المعركة التي دارت فوق (الجبل الأبيض)، وأحيانًا ما تفاجئ المرء هي نفسها، بطلعتها الشبيهة بطلة نبيلة من نبيلات القرن السادس عشر أو السابع عشر، وشخصيتها الشبيهة بتلك الشخصيات النسائية التي التقطها (ستندال) من تاريخ إيطاليا القديم، ونقلها إلى رواياته، من مثيلات دوقة (دي سانسيفيرينا)، أو (ماتيلدا ديلامول)، فلقد كانت على غرارهن عاطفية، باردة

وذكى في قراراتها، لكنها طائشة في اختيار الوسائل عندما تضطرم عواطفها، ويبدو أن عواطفها في فترة شبابها، كانت متأججة على الدوام، وكانت فياضة في مشاعرها كصديقة، لا يقف حنانها عند حد، كما لم تكن تنضب لها موارد وإن ظل مصدر مواردها تلك غامضاً في أغلب الأحيان، ولم تكن مطالبها أيضاً تقف عند حد، تلك المطالب التي كانت تطالب بها أصدقاءها، وكانت مطالبها تلك تبدو لها طبيعية، وكذلك كانت تبدو أيضاً في نظر أصدقائها.

ولقد قاست، وتألمت في بؤس تحت وطأة الاضطراب الوجداني الثقافي الذي كان يطبع الأوساط الأدبية في مقاهي (فيينا) خلال السنوات الحالكة التي أعقبت عام ١٩١٨، وكانت أجمل سنوات حياتها قد انقضت بلا شك قبل هذه الفترة، في (براغ) عندما كانت لا تزال صبية صغيرة جداً.

بددت (ميلينا) خلال تلك الفترة كل شيء إلى حد بالغ التهور. بددت حياتها، ومالها، وانفعالاتها، وأحاسيسها الخاصة، علاوة على تلك المشاعر التي عُرِضت عليها، والتي كانت تعتبرها ممتلكاتها غير المشروعة، وكان يسرها أن تتخلص منها.

وعلى الرغم من ذلك فقد كان (كافكا) يدعوها (الأم ميلينا)، ولم يكن هذا بلا مبرر، ففي هذه الرسائل ذكر (كافكا) ما تتمتع به (ميلينا) من (عدم القدرة على أن تتسبب فيما يدفع غيرها إلى المعاناة) - ولقد كانت هذه حقيقة طالما أعلنها (كافكا)، على الرغم من معرفته بسورات غضبها التي كان يتغاضى عنها، والتي

كانت انعكاساتها المؤسسية، المضحكة، تملأ الرسائل.

ولم تكن (ميلينا) بالطبع، فاتنة بالمعنى الفج - بمعنى أنها حاولت إغراء الرجال، أو حاولت حتى إغراء ذلك الرجل ذاته، الذي كانت تعتبره (شاعرًا)، ذلك الرجل الذي اكتشفت عبقريته، وأدركتها قبل أن يدركها أغلبية من كانوا يحيطون به، أو يحيطون بها من الناس بوقت طويل. لقد صدمت لأنها كانت تحب؛ ولأن عليها لذلك أن تسلك سلوك العاشقة حتى ولو لم يكن من تحبه سوى مجرد شخص غبي لا قيمة له.

لا شك في أنها قد عانت، ولقد نالت منها المعاناة - أولاً: لأنه كان قد عانى؛ وأيضًا لأنها كانت قد أحست أن المعاناة كانت هي السبيل الوحيد الذي قد يتيح لها أن تحقق نوعًا من الحوار الجذري معه. فعلى الرغم من أن المرء قد يتاح له أن يلتقي بروح كروحه في شوارع الضواحي الهادئة، وفي فنادق (فيينا)، وفوق المروج الصيفية المعشبة، وفي الغابات التي تحيط (بثيينا) و(ماند) - إلا أنه لم يكن في وسع المرء حقًا أن يندمج بروحه، على الرغم من ذلك، سوى في الجحيم. ولم يكن مما يبعث على الدهشة أنها كانت معرضة بدورها للإصابة بمرض في الرئة، ولو لم يكن هذا سوى لمجرد أنه كان قد أصيب بذلك المرض - أو أن هذا ما توهمته على الأقل، ولقد بلغ بها الوهم، حتى أن الدم قد انبثق بالفعل من فمها.

(أنت يا من تعيشين حياتك بمثل ذلك العنف، ومن عمق تلك الأعماق)، هكذا خاطبها (كافكا) ذات مرة، في إحدى هذه

الرسائل، ولا يوجد من هو أجدر منها بهذا الوصف، إلا أنها لم تكن رغم ذلك (مهيأة للمعاناة)، كما لا شك يمكن أن يزعم كاتب تلك الرسائل التي بين أيدينا، فإن كانت قد عانت في تلك الحالة، وكانت قد عانت من خلاله، فقد كانت معاناتها تلك جزءاً من شهيتها للحياة، بل لقد كانت معاناتها تلك جزءاً من استمتاعها بالحياة. وسوف لا نتعقب، فوق ذلك، تلك النزعة السلافية التقليدية إلى التآلم، لن نتفحص تلك النزعة، على الأقل، خلال تلك الفترة التاريخية بالذات، كما أنه لم يكن مصادفة أن كان (دوستوفسكي) هو كاتب (ميلينا) المفضل.

فلو كنا أحياناً - أو حتى غالباً - قد تلقينا انطباعاً بأن (ميلينا) في صورتها هذه، تقدم لنا نموذجاً أفضل، وأكثر صراحة، وأوفر صحة وأبلغ إنسانية منه (وسيكون هو بلا شك أول من يوافقنا على ذلك) فليس لنا أن ننسى أنها بكل رغبتها في الحياة، لم تكن على الرغم من ذلك، لتتمكن من أن تتنفس هواء المثقف ذا التوتر الكهربائي العالي، وأنها - على الرغم من أنها قد حركت أعماق أعماقه - فلقد منحته، لو كان لنا أن نصدق رسائله، حقاً حياة جديدة - ومع ذلك، فغالباً ما كانت تثير أعصابه بسهولة، حتى كانت النتيجة التي انتهى إليها الأمر في النهاية، أن أصبح استغراقه قليلاً في النوم، أهم كثيراً عنده من رسائل (ميلينا) المتلهية.

ولقد قال لي كافكا في أواخر أيامه: (لا بد لي من أن أعترف بأنني قد حسدت شخصاً ما، ذات مرة، حسداً بالغاً، لأنه كان

محبوبًا، و متمتعًا برعاية فائقة، ومزودًا بالعقل، والقوة، ولأنه كان يستلقي تحت الأزهار، إنني دائمًا سريع الحسد).

ولقد وجد (كافكا) تلك السعادة التي تثير الحسد، في أواخر أيامه، قبل أن يستلقي تحت الزهور، فقد كانت الشهور الأخيرة من حياته، أسعد الفترات التي عاشها. كان يشيع فيها سلام لم تعهده عاطفته المتأججة الصاخبة، الذبالة، المتلاشية نحو (ميلينا).

أما عن نهاية (ميلينا)، فتقول لنا (فراو مارجريت بوبر - نويمان) في كتابها القيم «في ظل دكتاتورين»^(١)، إنها كانت زميلة «ميلينا» في معسكر التجميع في رافينسبروك، حيث زج بهما وسط المومسات، وعتاة مجرمي «هامبورج» وحيث شهدتا لرعبها، ذلك الاستمتاع السادي الذي كان أطباء النازي يمارسونه، بإجراء التجارب العلمية على أجساد الأحياء من النساء.

وقعت «مارجريت بوبر - نويمان» كما وقع غيرها تحت تأثير سحر «ميلينا» الإنساني، ذلك التأثير الساحر، الذي ظل مفعوله قويًا، حتى تلك السنوات المتأخرة التي تخطت «ميلينا» عندها سن الشباب، وازدادت سمنة على نحو ما، تقول «مارجريت بوبر - نويمان» (كنا صديقتين، ميلينا وأنا، منذ الساعة الأولى التي أمضيناها معًا، ولقد دامت صداقتنا طوال سنوات أربعة مريرة، انقضت في صراع الحياة والموت بداخل المعسكر)، وتضيف

(١) عنوان الطبعة الألمانية الأصلية للكتاب (حين كان أسرى ستالين وهتلر) ومنه اقتبسنا الفقرات التالية: Als Gefangene bei Stalin und Hitler

قائلة: (إنني أشكر حظي الذي جاء بي إلى رافينسبروك، وأتاح لي فرصة الالتقاء بميلينا. كان يملكني خوف شديد منذ اليوم الأول للقائنا، كلما تطلعت إلى وجهها الذي كان يرسم عليه الألم، كانت قد جاءت مريضة إلى المعسكر من سجن الأبحاث في دريسدن، وكانت تظن أنها تعاني من الروماتيزم، كانت يداها متورمتين، وكانت تتألم باستمرار، كما كانت عند تلاوة الأسماء في ساعة التمام ترتعد من البرد في أسمال السجن، ولم تكن تجد تحت البطاطين الرقيقة شيئاً من الدفء، لكنها كانت إنسانة قوية، ولقد نجحت دائماً في تبديد مخاوفي. وفي عام ١٩٤٠، كانت ميلينا لا تزال على شجاعتها، كانت أبعد ما تكون عن الانهيار، وكانت تحتفظ بقدرتها على المبادرة. كانت أبعد ما تكون عن اكتساب شخصية السجينة المستكينة وتعقلها، ولم تتحول ميلينا مطلقاً إلى «نزيلة» فحواسها لم تكن لتخمد، ولم تتمكن منها اللامبالاة والتبلد، كما تمكنت من غالبية الآخرين). ولقد نجحت ميلينا لهذا بالفعل من «عزل» المرضى، الذي كان يؤدي مباشرة إلى غرف الغاز والأفران.

وتقول مارجريت بوبر - نويمان، في مناسبة أخرى:

(لقد تملكني إحساس هائل بالفرع من توقع موتها، فلقد سمعت أُناتها في الليل، وهي تستلقي فوق الحشبة المصنوعة من القش).

- .. «أه، لو قُدر لي أن أموت دون أن أعاني سكرات الموت.
لا تتركيني أهلك وحيدة، كما يهلك الكلب».

.. «ولقد اعتقدت طوال الوقت الذي أمضيته إلى جوارها
أحاول أن أهدئها، اعتقدت أنها ستُشفى، وتتمتع ثانية بحريتها،
لكنني فجأة في ظلام الزنزانة، رأيت المستقبل في جلاء، وتبينت
أنها كانت قد ضاعت سدى».

ولقد تمكنت من مواصلة الحياة لفترة قصيرة، لخوفها الشديد
من عمليات عزل المرضى، ومن (الحقن) التي كانوا يرسلون بها
المرضى من النزلاء إلى الراحة الأبدية.

وماتت ميلينا في ١٧ مايو ١٩٤٤، من جراء عملية في الكلى،
يبدو أنها كانت قد أجريت بعد فوات الأوان.

تقول مارجريت بوبر - نويمان: (وفي تلك اللحظة، فقدت
الحياة معناها بالنسبة لي).

وفي ١٠ يونيو، بلغت المعسكر أنباء الهجوم الناجح.

(فلماذا أواصل الحياة إذا كانت ميلينا قد قضت؟) بهذه
الكلمات تختتم مارجريت بوبر - نويمان مذكراتها عن السنوات
الآخيرة في حياة (ميلينا)... فما دامت ميلينا على قيد الحياة، كانت
الحرية عندي أن أرى معها ثانية أول مدينة، أن أدخل معها أول
غابة...

لقد تأخرت الحرية على ميلينا....

و..... أيضًا تتجدد الذكرى..... «فيلي هاس».

من مصنف الرسائل

أتوجه بتحياتي الصادقة أولاً إلى الشاعر (ماكس برود) صديق (كافكا) ومحرر كتاباته بعد وفاته؛ لإسناده تحرير هذه الرسائل إليّ. وكنت قد تسلمت هذه الرسائل من صديقتي المبجلة (ميلينا) في ربيع عام ١٩٣٩ في براغ - بعد دخول القوات الألمانية بفترة قصيرة، ولما لم أتمكن من أخذ هذه الرسائل معي عند هروبي، فقد بقيت محفوظة في أمان لدى أقاربي في (براغ) خلال تلك السنوات المشؤومة حتى عام ١٩٥٤، ولديّ كل ما يدعوني إلي أن أقرر مطمئناً أن (ميلينا) لم تكن لتعارض على نشر هذه الرسائل بعد وفاتها، كما حصلت أيضًا على موافقة زوجها، الذي توفي عندئذ، في وصيته الأخيرة، وقد كان له في هذه المراسلات دور لا يمكن حذفه.

ولما لم تكن هذه الرسائل تحمل تواريخ على الإطلاق، فقد تجشمت عناءً بالغاً في ترتيبها زمنياً. إن قيامي بترتيبها المرة بعد المرة بناء على مئات الإشارات، والإيماءات غير المباشرة، واستناداً إلى بعض المعلومات التي اعتمدت عليها كدليل أهتدي به (كاحتفال الـ HUS في براغ، والاحتفال بالعيد السنوي للجمهورية الفرنسية، وعيد ميلاد ميلينا، وترقيم عدد من الرسائل بأرقام سلسلة إلخ....)، كل هذا اقتضاني جهداً استغرق شهوراً عدة. لم أضطلع بانجاز هذا العمل وحدي، كما أنني أبعد ما أكون

عن الإصرار على نجاح هذا العمل الذي قمت بأدائه، نجاحًا لا يقبل المراجعة في تفاصيله كلها. فليس من الصعب أن يصدر أحد معاهد اللغة، بمساعدة فهرس خاص من بضعة آلاف من الكلمات، طبعة خاصة تشتمل على تحقيق كامل للنص متضمنًا التواريخ المضبوطة.

ومع ذلك فليس هذا هو هدف نشر هذه الرسائل، التي يهدف نشرها ببساطة إلى تقديم هذا السجل النادر في كتاب مقروء، منقح، ومفسر بأقصى عناية ممكنة. وعلى القراء أو النقاد الذين يظنون أنهم قد وقعوا في أثناء قرائتهم لهذه الرسائل على أخطاء في الترتيب الزمني من واقع ما تتضمنه من أحداث، على هؤلاء أن يتفحصوا ما يرونه فحصًا دقيقًا، فسوف يكتشفون - في أغلب الحالات - عندئذ أن إشارة من الإشارات القاطعة، لا تلبث أن تواجهها اثنتان من الإشارات الأخرى التي تناقضها.

إن محرر هذه الرسائل سيكون ممتنًا غاية الامتنان، على الرغم من ذلك، للاقتراحات التي تقوم على أساس صحيح لإعادة ترتيب هذه الرسائل، حيث يمكن الانتفاع بهذه الاقتراحات في طبعة ثانية. في هذا الخصوص لا يفوتني أيضًا أن أوجه شكري إلى ناشر أعمال كافكا «مستر سالمان شوكين» لاقتراحاته وإشاراته التي تستحق التسجيل.

أما فيما يختص بنص الرسائل، فقد شطب (كافكا) بنفسه فقرات عديدة وردت بها، وربما تكون «ميلينا» قبل أن تسلمني

حافضة الأوراق التي احتوت على هذه الرسائل، قد كتبت بضع فقرات، غير واضحة بالحبر.

وفي حالة نشر طبعة تتضمن تحقيقاً شاملاً لنص هذه الرسائل، يبدو لي أنه لن يكون من الصعب أن يتم نقل هذه الفقرات حتى تتضح قراءتها ببعض الوسائل الكيميائية أو معالجة قراءتها بأشعة (إكس).

ولا حاجة بنا إلى القول بأن هذه الفكرة لا يمكن الالتجاء إليها، فمن عديد من الفقرات القصيرة والتلميحات التي تبدو معلقة في الفراغ، يمكن أن يستنتج المرء أن عددًا قليلًا من الصفحات، أو عددًا من الرسائل قد فقدت.

أما فيما يتعلق بمن لا يزالون على قيد الحياة ممن تناولتهم هذه الرسائل، فقد كان لا بد من حذف بضع فقرات معينة من الرسائل، ويأسف المحرر لاضطراره إلى هذا الإجراء الضروري، فقد ورد اسم المحرر شخصيًا في تلك الفقرات المحذوفة عديدًا من المرات، ومحرر هذه الرسائل - وهذا موجه مقدمًا إلى أي ناشر لهذه الرسائل في المستقبل - ليس لديه شخصيًا أي اعتراض على نشر تلك الفقرات المحذوفة التي تتضمن اسمه، على الرغم من بعض الاستنتاجات الوهمية، والخاطئة التي ربما كان (كافكا) قد استنتجها من إحدى الحوادث المؤسفة. إلا أن ما يفاجئنا بغرابته في هذه الرسائل الغرامية، هو أن (كافكا) لم يكن (بالمعنى المتفق عليه بصفة عامة) يغار من أصدقاء (ميلينا) من الرجال، بل كان يغار

من صديقات شبابها المبكر من الفتيات. ومن الأمور الغريبة أيضاً أنه لم يتبين فيما يبدو بوضوح سبب كراهيته لأناس معينين، ونتيجة هذا هو ما نجده في هذه الرسائل، صور شخصية لبعض الكتاب، أو صور كاريكاتيرية لا علاقة لها بالواقع.

وهي أجزاء لا يمكن نشرها الآن. إن الخطأ العميق الذي قد يترتب على نشر هذه الصور الشخصية هنا، والآن، قد يتأكد مستقبلاً، عند صدور الطبعة الكاملة - ونأمل أن يتم ذلك يوماً ما- لهذه الرسائل - ولأسباب أخرى مماثلة وواضحة، حذفنا كذلك أغلب ما يتعلق بأسرة ميلينا.

وعلى الرغم مما قد يثور من الريبة الشديدة، بالإضافة إلى ذلك، فقد رأيت الإبقاء على أغلب الفقرات التي تشير إلى اليهودية. ذلك أن غرام كافكا اليهودي بامرأة غير يهودية، كان مشكلة خطيرة مؤسسية (مثقلة للغاية بالتعقيدات النفسية، ومركبات النكوص)، وقد تبدت أزمته تلك في صورة ثورات بالغة من إذلاله لنفسه كيهودي. وحذف هذه الفقرات لم يكن ممكناً دون الإخلال بروح هذه الرسائل كلها، على الرغم من أن تلك الفقرات بالذات تستقطب كل أشكال سوء الفهم، ولقد واجهت هذه الفقرات لحسن الحظ، فقرات أخرى عكست زهوه وثقته بالمستقبل إلى حد بعيد، لكي نؤكد، بعد هذا، صبغة هذا الكتاب غير العلمية، ونبين أن هدفنا هو فقط تيسير قراءته، لم نعين مكان الفقرات المحذوفة.

إن العذر الوحيد الذي يبرر به محرر هذه السطور، عدم اضطلاع (ماكس برود)، بتحرير هذا الكتاب الذي بين أيدينا، كما فعل بباقي أعمال (كافكا) الأخرى، هو معرفة (المحرر) بميلينا وحلقة أصدقائها التشيكيين معرفة وثيقة دامت أعوامًا عدة، وكان على علاقة شخصية بهم، وإلا ما كان له أن يتورط في مثل هذه المنافسة اليائسة مع محرر (كماكس برود) - الذي ربطته بكافكا صداقة دامت العمر كله، تلك الصداقة التي تمخضت عن اكتشاف عبقرية كافكا، ودفعها، بإخلاص لا يفوقه إخلاص، وأمانة في عمله كمحرر لكتابات صديقه بعد وفاته، إلا لمجرد وضع الخطوط الخارجية لصورة صديقة كافكا النبيلة (ميلينا) ذلك أن صورتها الشخصية جديرة حقًا بالظهور إلى حيز الضوء، وإن كان فقدان رسائلها إلى كافكا خسارة لا سبيل إلى تعويضها.

لا بد لي من أن أذكر أنني قد استخدمت أعمال ماكس برود عن سيرة حياة كافكا ودراسة أعماله، استخدامًا أساسيًا - ولا أكاد أذكر لآخرين جهدًا ذا بال استندت عليه في هذا الشأن. ولديّ أخيرًا كل ما يدفعني إلى التعبير عن عميق امتناني لفراو (شتاتزا) التي ورد ذكرها كثيرًا في الرسائل.

فيلبي هاس

ترويز دورف - مايو ١٩٥٢

الرسائل

سيدتي العزيزة ميلينا

ميران - أونترمييه

بنسيون أوتوبورج

كتبت لك رسالة من براغ، ثم أخرى من ميران، ولم أتلق ردًا عليهما، إن الرسالتين لا تتطلبان بالفعل ردًا سريعًا، على غير العادة. فإذا لم يكن صمتك سوى دليل على السعادة، التي تعكس نفسها غالبًا في صورة رغبة عن الكتابة، فسوف أطمئن عندئذٍ. لكن من الممكن أيضًا - وهذا هو ما يدفعني إلى أن أكتب إليك - أن أكون قد أسأت إليك في رسالتي بصورة ما (فيا لليد الخرقاء، التي تأبى أن تنسجم مع كل ما أضمره!)، هل يمكن أن تكون هذه هي القضية؟)، أو ماذا في الحقيقة يمكن أن يكون أكثر سوءًا من هذا؟ لقد اختفت مرة أخرى تلك اللحظة التي أتسم فيها نسمة هادئة مما تخطه يدك، ويشي هذا بأن وقتًا عصيبًا قد مر بك، ليس لديّ ما أقوله عن الاحتمال الأول، إنه أبعد مما يمكنني أن أبلغه، أما ما عدا ذلك ففي متناول يدي. أما عن الاحتمال الثاني فلن أنصح - كيف يتسنى لي أن أنصح؟ - لكنني فقط أتساءل: لماذا لا تغادرين فيينا لفترة من الوقت؟ ثم، إنك لست

بلا وطن، كالآخرين، ألا تمدك رحلة إلى بوهيميا بنشاط، و طاقة متجددة؟ وإذا كان ثمة سبب من الأسباب قد حال دون أن أعلم برغبتك عن الذهاب إلى بوهيميا، فلماذا إذن لا تذهبين إلى أي مكان آخر، ربما، إلى «ميران» مثلاً، هل تعرفينها؟.

أنا إذن في انتظار أحد أمرين، إما أن تواصلني الصمت، الذي سيكون معناه: «لا تخش شيئاً، إنني في خير حال»، أو بالأحرى بضعة سطور قلائل.

أرق تحيات

كافكا

لم أتمكن من أن أذكر وجهك، ولا تذكرت شيئاً من ملامحه بصورة واضحة، أذكرك فقط بينما كنت تبتعدين وسط مقاعد المقهى، هيتك بصفة عامة، ثوبك... ما زلت أذكرهما.

سيدتي العزيزة ميلينا

إنك تثقلين على نفسك بالترجمة وسط جو فيينا الكئيب، إنه جو مقبض على نحو ما، ويشير الحيرة في نفسي، لعلك قد تسلمت أخيراً رسالة من فولف^(١)، فقد كتب إليّ رسالة وصلتني منذ فترة قصيرة أشار فيها إلى رسالته إليك؛ قال فيها أيضاً إن قصة قصيرة بعنوان (القاتل) ستُنشر في كتيب. إنني لم أكتبها بعد، ولعل الأمر قد اختلط عليه، لكن ما

(١) كورت فولف، ناشر كافكا.

دام يفترض أنها ستكون أفضل قصصي، فلعل هذه أن تكون هي الحقيقة في نهاية الأمر.

يبدو أن القلق والهموم قد زائلتك تمامًا، استنتجت هذا من رسالتك الأخيرتين، أتمنى لك الخير ولزوجك أيضًا، هذا ما أتمناه لكليكما. أذكر عصر يوم من أيام الأحد منذ بضع سنوات مضت، كنت أجر جر ساقٍ على امتداد (فرانتسنز كفه)، ملتصقًا بجدران المنازل، أتقدم نحو زوجك، الذي كان مندفعًا نحوي، في حال ليست خيرًا من حالي، خبيرين في الصداق رغم اختلاف سبيليهما اختلافًا تامًا. لست أذكر بعد ذلك إن كنا قد سرنا معًا، أو تجنب أحدهما الآخر. ليس الفارق بين الاحتمالين بالفارق الهائل لكن ذلك ماضٍ، ويجب أن يبقى مدفونًا في أعماق الماضي. هل تشعرين بالسعادة في موطنك؟

أرق تحياتي

كافكا المخلص لك

ميران أوتنرميه

بنسيون أوتوبورج

سيدتي العزيزة ميلينا

الآن فقط انقطع المطر الذي دام سقوطه يومين وليلة، مع أن انقطاعه قد لا يستمر سوى لحظة، لكنه مع ذلك حدث يستحق أن يحتفل به المرء، وهذا هو ما أفعله بالكتابة إليك. وحتى المطر كان محتملاً في الحقيقة، فالمرء غريب هنا في نهاية الأمر، وإن يكن فحسب مجرد غريب على

نحو ما، إلا أن ذلك يثلج القلب.... أنت أيضًا، لو صح تعبيرى (لقاء قصير، منعزل، شبه صامت، ربما لا يكون تسريه من خيال المرء محض صدفة)، أنت أيضًا تمارسين الاستمتاع بغربتك في فيينا، مع أنك قد تفقدين استمتاعك ذاك فيما بعد تحت ضغط الحالات السائدة. لكن، هل تمارسين أنت أيضًا متعة شعورك بالغربة إلى هذا الحد؟ (تلك المتعة، التي قد تكون مصادفة، مجرد دلالة سيئة، وقد لا تحدث).

إنني أعيش هنا في خير حال، ولا يطيق الجسد الفانى مزيدًا من العناية. وتطل شرفة غرفتي على حديقة محاطة بسور، تزدهر فيها الشجيرات المزهرة (إن النباتات هنا غريبة، فالزهور تتفتح في بطن أمام شرفتي، في جو مثل جو براغ، تتجمد فيه بالفعل برك المياه). وتتعرض شرفة الغرفة كذلك لأشعة الشمس، أو بالأحرى للسماء التي تحجبها السحب إلى ما لا نهاية. كما هو الحال منذ ما يقرب من الأسبوع، تزورني في الغرفة الساحلي، والطيور، وأنواع أخرى من الكائنات تزورني أزواجًا أزواجًا: إنني أرغب رغبة شديدة في أن تكوني هنا في ميران، لقد كتبت لي أخيرًا عن عدم قدرتك على التنفس. في هذه الكلمة تتجاوز الصورة والمعنى إلى حد بعيد، وفي ميران قد تخف وطأتهما بعض الشيء.

مع أرق تحياتي

المخلص ف. كافكا

إذن فهي الرئة. ظللت طوال النهار أدير هذه الجملة في رأسي، ولم أتمكن من التفكير في أي شيء آخر، لم أستطع أن أفكر حتى في أن ثمة نذير كان قد أُنذرنِي بالفعل بهذا المرض، ولعل المرض، وهذا ما نأملُه - وتشير تلميحاتك إلى هذا - يبدو في حالتك في صورة اشتباه عديم الأثر، على أن مرض الرئة الفعلي (ونصف سكان أوروبا الغربية، يعانون كثيرًا أو قليلًا من الأمراض الصدرية)، هذا المرض الذي عرفته من خلال خبرتي الخاصة التي دامت ثلاث سنوات، لعله أن يكون قد أفادني بقدر ما ضرني. بدأ الأمر بالنسبة لي منذ حوالي ثلاث سنوات في منتصف إحدى الليالي بنزيف، نهضت مرتاعًا بسببه، كما يحدث للمرء عندما يواجه شيئًا للمرة الأولى، نهضت (بدلاً من أن أستلقي متمددًا كما تعلمت أن أفعل فيما بعد حسب أوامر الأطباء)، وكنت أيضًا مضطربًا بالطبع. على نحو ما سرت نحو النافذة، وانحنيت متطلعًا خارجها، وقصدت حوض الغسيل، ورحت أتجول في أنحاء الحجرة وجلست فوق الفراش - وكان الدم ينزف بلا توقف ومع ذلك فلم تنل مني التعاسة من جراء ذلك، لأنني شيئًا فشيئًا، علمت بصورة قاطعة أنني سوف أنام، بعد أن انقضت ثلاث سنوات أو أربع هجرني فيها النوم، سوف أنام لأول مرة، بعد أن يتوقف ذلك النزيف، ولقد توقف النزيف بالفعل (كما أنه لم يعاودني منذ ذلك الحين)، واستغرقت في النوم بقية الليلة، وعندما دخلت الخادمة (كان لي في ذلك الحين شقة بالقرب من قصر شوينبورن) في الصباح، وهي فتاة طيبة تكاد تنكر ذاتها في علاقتها بالآخرين، إلا أنها فتاة واقعية للغاية، قالت عندما رأت الدم: «سيدي الدكتور، إنك لن تعيش طويلًا» لكنني

أحسست بالتحسن على غير العادة، وذهبت إلى عملي وتوجهت قرب الظهر إلى الطبيب. وليس لبقية القصة بعد ذلك كثير أهمية. لقد قصدت فقط أن أقول إن مرضك ليس هو الذي أفرعني (خاصة أنني أقاطع نفسي باستمرار، لكي أعالج ذاكرتي، مكتشفًا الانتعاش الذي يكاد يشبه انتعاش المرء وسط الحقول، تحت الرقة كلها، لأقرر بيني وبين نفسي قائلاً: لا، إنك لست مريضًا، إنه نذير بالمرض، ولكنه ليس مرضًا بالرئة)، وهكذا فلم يكن ذلك هو ما يرعيني، لكن ما يرعيني هو التفكير فيما لا بد قد سبق ذلك الاضطراب. في تلك اللحظة كنت على وشك أن أتجاهل كل شيء آخر في رسالتك، من قبيل لا يوجد جحيم أقطع - شاي وتفتح - يوميًا من الثانية حتى الثامنة - هذه كلها أمور لم أتمكن من فهمها، ويبدو أنها لا يمكن أن تفسر لي إلا شفويًا؛ وعلى هذا فسوف أتجاهل هذه الأمور (مع أنني سأتجاهلها فقط في رسالتي هذه، ذلك أن المرء لا يمكنه أن ينساها)، وسوف أفكر فقط في التفسير الذي اهدت إليه لتوي، في حالة مرضي، والذي ينطبق على كثير من الحالات، إن ما حدث هو أن العقل لم يكن ليحتمل مزيدًا من الهموم والمعاناة المكثمة فوق عاتقه، إنه يقول: «لقد عجزت عن تحمل ذلك، لكن لا بد من وجود ثمة من يواصل الاهتمام بسلامة كل شيء، ويجب عليه أن يخلصني من بعض عبئي، وستظل الأمور سائرة في طريقها بعضًا من الوقت» ثم تتحدث الرئة، مع أنه قد لا يكون لديها الكثير مما يمكنها أن تفقده، مهما كانت الحال. لعلها أن تكون مناقشات تثير الرعب، تلك المناقشات التي تدور بين العقل والرئة دون أن أعلم عنها شيئًا.

وما الذي تنوين عمله الآن؟ قد يتضح أنه لم يكن سوى أمر عارض، لو أنك أحطت نفسك بشيء من الرعاية وحاجتك إلى شيء من الرعاية أمر لا بد أن يدركه أي شخص مغرم بك، وكل شيء آخر، يجب لهذا، أن يوضع في المحل الثاني، وهل يمكن أيضًا ألا يكون ثمة شيء من العزاء لك في أي شيء آخر؟ كما قلت من قبل - لا لست في حالة من حالات المزاح، كما أنني لا أحس مطلقًا بالمرح ولن أكون كذلك حتى تكتبي إليّ وتخبريني كيف ستحاولين إعادة تنظيم حياتك على نحو جديد، يوفر لك مزيدًا من الصحة. لماذا لا تغادرين فيينا لفترة قصيرة، هذا ما لم ألح في سؤالك عنه، بعد رسالتك الأخيرة؟ فأنا أفهم الآن لماذا لا يمكنك مغادرة فيينا، إلا أن هناك مع ذلك أماكن أخرى رائعة بالقرب من فيينا، وكثير من الفرص لتوفير الرعاية لك. لن أكتب على أي شيء آخر اليوم، فلا شيء ذا أهمية كبيرة يمكنني أن أتحدث عنه. سأكتب عن كل شيء آخر غدًا. ومن بين هذه الأشياء الأخرى شكري على المخطوط الذي هزني، وأشعرني بالخجل والحزن وبالفرح. لا، ثمة شيء آخر قد تبقى لأقوله لك اليوم: لو أضاعك عليك الترجمة لحظة واحدة من لحظات نومك، فسوف تتحول هذه اللحظة إلى لعنة تحقيق بي في (يوم الحساب)، لن يكون ثمة مجال لبحث التفاصيل، لأنه سيكون ببساطة يوم إقرار الحثيات: لقد حرمتها من النوم. عن هذا سوف تثبت إدانتني، وسيكون هذا هو الجزاء العادل. وعلى هذا فإنني أحمي نفسي، عندما أطلب إليك ألا تفعلي شيئًا من هذا بعد الآن.

المخلص لك

فرانتس ك

سيدتي العزيزة ميلينا

أريد اليوم أن أكتب لك عن أشياء أخرى، إلا أنني لا أستطيع، وليس ذلك لأنني أنظر بالفعل إلى تلك الأشياء نظرة جادة، فلو أنني كنت أنظر إليها على هذا النحو، لكنت في الحقيقة قد كتبت بصورة أخرى، لكنني الآن، وللمرة الثانية أقول إنه لا بد لك من مقعد مريح من القماش تستلقين فوقه في أحد أركان الحديقة، ركن تتقاسمه الظلال وأشعة الشمس، ويجب أن توضع عشر زجاجات ممتلئة باللبن في متناول يديك. من الممكن أيضًا أن يحدث ذلك في فيينا، خاصة الآن في الصيف، لكن بدون جوع ولا قلق. أليس هذا ممكنًا؟ أو هل لا يوجد من يمكن أن يجعله ممكنًا؟ وماذا قال لك الطبيب؟

عندما أخرجت المخطوط من المظروف الكبير، أحسست بخيبة الأمل، فلقد كنت أريد أن أقرأ لك أنت، لا أن أستمع إلى ذلك الصوت المؤلف، ذلك الصوت المنبعث من القبر العتيذ. لماذا تدخل ذلك الصوت بيننا؟ ثم ماذا، إنني لا أكاد أصدق أنك قد أخذت بالفعل على عاتقك مشقة الاضطلاع بهذا الجهد الهائل، ولقد هزنتني حتى أعماقي تلك الأمانة التي أنجزت بها هذا العمل، جملة بعد جملة، تلك الأمانة التي لم أكن أحسبها ممكنة في اللغة التشيكية إلا بالقدر الذي ساورتني عنده الريبة في قدرتك على تطويع اللغة على هذا النحو التلقائي الرائع. هل تتقارب اللغتان الألمانية والتشيكية إلى هذا الحد؟ مهما يكن من أمر، فإنها على أية حال، قصة بالغة البؤس، يمكنني أن أؤكد لك هذا يا سيدتي العزيزة ميلينا، سطرًا بعد الآخر بغاية اليسر، غير أن النفور يظل رغم هذا

مستعصيًا إلى حد ما على البرهان؛ أما عن إعجابك بالقصة فإنه يكسبها بالطبع بعض القيمة، لكنه مع ذلك يساهم في إظلام صورة العالم أمامي. ليس لديّ مزيد مما يمكنني أن أقوله عنها. سيرسل لك فولف قصتي (طبيب الأرياف)، لقد كتبت له في هذا الشأن.

إنني أفهم اللغة التشيكية بلا شك، ولقد انتويت أكثر من مرة أن أسألك لماذا لم تكتبي لي بالتشيكية. لا أقصد بهذا أنك لا تجيدين اللغة الألمانية، فأنت تسيطرين عليها في أغلب الأحيان على نحو رائع يثير الدهشة وإذا خانتك قدرتك في أحيان، فإن اللغة الألمانية تنحني عندئذ أمامك طائعة من تلقاء نفسها، وهو أمر يبعث على السرور حقًا، ذلك أن الألماني نفسه لا يكاد يجرؤ على أن ينتظر هذا من لغته، فهو لا ينتظر من لغته هذه أن تسعفه في الكتابة التي تبلغ هذه الدرجة من الخصوصية، غير أنني أريد أن أقرأك في التشيكية؛ لأنها لا تنفصل عنك، لأن فيها وحدها توجد (ميلينا) بأكملها، (إن الترجمة تؤكد ذلك)، بينما هنا، في اللغة الألمانية، لست سوى مجرد تلك التي في فيينا، أو تلك التي تحاول أن تبدو كما لو كانت من فيينا. لهذا أرجو أن تكتبي إليّ بالتشيكية لو تفضلت بذلك. وأرجو أن ترسلي القصصات التي وعدتني بها، لتكون تلقائية، فلقد تلمست طريقك أيضًا، بنفسك من خلال بساطة قصتي، لست أدري إلى أي مدى. ربما أمكنني أن أفعل هذا أنا أيضًا، فإن لم أتمكن، فسأبقى متمسكًا إذن بأفضل الأهواء.

تسألين عن خطوبتي. لقد خطبت مرتين (ثلاث مرات، إن شئت، ومعنى هذا أنني خطبت فتاة منهما مرتين)، وعلى هذا فقد فسخت خطبتي ثلاث مرات، قبل إتمام الزواج في كل مرة، ببضعة أيام قلائل فحسب. ولقد

انتهى تمامًا كل ما يتعلق بالخطيبة الأولى (سمعت أنها قد تزوجت أخيرًا، ورزقت أيضًا بطفل)، أما الخطوبة الثانية، فما زالت قائمة لكن دون أدنى أمل في إتمام الزواج، وهي لهذا خطوبة لا وجود لها في الحقيقة أو أن لها وجودًا مستقلًا وإن يكن استقلاله هذا على حساب آخرين. ولقد خرجت في النهاية من هذه التجربة، ومن تجارب أخرى غيرها بأن الجانب الأكبر من المعاناة ربما كان من نصيب الرجال، أو لو راق للمرء أن ينظر إلى المسألة من هذه الزاوية، فلعله أن يقول إن مقاومة الرجال أقل في هذا الصدد، وأن النساء يعانين معاناة أقرب إلى البراءة لا بمعنى أنهن (لسن مخططات)، بل بمعنى أكثر اقترابًا من الحقيقة، لعله يؤدي بنا مرة أخرى، على الرغم من هذا، إلى أنهن (غير ملومات). على أن التفكير في هذه الأمور لا يجدي فهو أشبه بمحاولة المرء أن يحطم مرجلاً واحدًا من مراحل الجحيم. لا جدوى أولاً، من محاولة كهذه، وثانيًا، حتى لو كانت هذه المحاولة ذات جدوى، فسوف يحترق المرء مع ذلك، ويهلك في ذوب اللهب الذي سيتدفق عند تحطيم ذلك المرجل، هذا... على حين سيبقى الجحيم بكل عنفوانه.

إن على المرء في الحقيقة أن يعالج ذلك بطريقة أخرى.

ونقطة بدايتنا في هذا السبيل، هي بعد هذا كله، أن تستلقي في إحدى الحدايق وتتخلصي من المرض، وخاصة إذا لم يكن مرضًا فعليًا، تخلصي منه بأقصى ما يسعك من الاستمتاع، فثمة متعة بالغة في تخلص المرء من المرض.

المخلص لك

فرانتس ك.

سيدتي العزيزة ميلينا

أصرح لك أولاً، في حالة ما إذا كنت قد قرأت ذلك بين السطور، رغم حرصي على ألا تظنني إليه: بأنني أعاني من الأرق المتزايد طوال ما يقرب من الأسبوعين، على أنني لم أهتم اهتمامًا زائدًا بهذا، ففترات الأرق تتابني وتزايطني، وتتوقف هذه النوبات على عوامل عديدة ثابتة، وإن تكن في غير حاجة إليها (فمن الممكن كما يقول بيديكر أن يكون هواء ميران وحده، سببًا كافيًا تمامًا)، وحتى لو لم يتوافر أدنى أثر لأي من هذه العوامل الخارجية، فسوف يجد المرء نفسه، في بعض الأحيان ثقيلًا كالكتلة، وقلقًا في الوقت نفسه، قلقًا كحيوان في داخل غابة.

عزائي الوحيد مع هذا أنك قد استغرقت في نوم هادئ، وإن كنت ما تزالين تحسين (بغربة ذلك)، على الرغم من أنك كنت غاضبة جدًا بالأمس، إلا أنك على الرغم من هذا كله، قد استغرقت في النوم، والآن، عندما يتجاوزني النوم، ويمر في الليل دون أن يحفل بي، فإنني أعرف عندئذ وجهته وأرضاها، وفوق هذا، فمن الغباء أن يثور عليه المرء، فالنوم هو أكثر (المخلوقات) براءة، والرجل الذي يهجره النوم، هو أكثر الرجال ذنوبًا.

إن ذلك الرجل الذي هجره النوم، هو الذي شكرته في رسالتك الأخيرة. فلو قُدر لغريب، لا يعلم شيئًا عن الحقيقة، أن يقرأ هذا فلعله أن يتعجب قائلاً: يا له من رجل!، يبدو عليه في حالته تلك، وكأنه قد حرك الجبال، على أنه في الحقيقة، لم يفعل شيئًا، لم يحرك أصبعًا (فيما عدا أصبعه التي يضغط بها على القلم). إنه يعيش على اللبن، وعلى أطايب الطعام دون أن يرى الشاي والتفاح، أمامه دائمًا، وهو فوق هذا لا يحاول

أن يقحم نفسه في أمر من الأمور، ويترك الجبال كما هي في أماكنها.

هل تعرفين قصة أول نجاح صادفه دوستوفسكي؟ إنها قصة تحفل بأشياء عديدة وأنا أذكر اسم الرجل العظيم فقط تأكيداً لما أريد قوله، ذلك أنك قد تسمعين هذه القصة من أحد جيرائك، قد تسمعين من هذا الجار أو من غيره قصة لها نفس المغزى، علاوة على أن تلك القصة ليست واضحة تمام الوضوح في مخيلتي، خاصة فيما يتعلق بالأسماء. فبينما كان دوستوفسكي يكتب روايته الأولى (الفقراء)، كان يقطن مع صديق له من الحقل الأدبي، يُدعى جريجوريث، ومع أن هذا الصديق كان يرى كل يوم صفحات الرواية الكثيرة فوق منضدة الكتابة أمامه، لشهور عديدة، إلا أنه لم يتناول ذلك المخطوط أبداً، إلا عندما كانت الرواية قد تمت. قرأها، فهزته، ودون أن يقول لدوستوفسكي كلمة واحدة، أخذها، وذهب بها إلى الناقد الشهير عندئذ (نكراسوف) وارتفعت دقات الجرس على باب دوستوفسكي في الساعة الثالثة من صباح اليوم التالي. كان الطارقان هما (جريجوريث) و(نكراسوف)، اندفعا عندما انفتح الباب إلى داخل الحجرة، فاحتضنا دوستوفسكي، وانها لا عليه تقبلاً، وأطلق عليه (نكراسوف) الذي لم يكن قد التقى به من قبل لقب (أمل روسيا). وانقضت ساعة ثم أخرى وهما يتحدثان إليه، ودار أغلب حديثهما حول الرواية. ولم ينصرفا إلا قرب الفجر، وانحنى دوستوفسكي الذي ظل دائماً يشير إلى هذه الليلة، على أنها أسعد ليالي عمره، انحنى على النافذة وتبعهما بنظراته، كان الانفعال لحظتها قد أفقده توازنه تماماً، فشرع في البكاء، وكان الشعور الذي سيطر عليه، وهو يبكي، هو ذلك الشعور الذي وصفه فيما بعد، لست أدري أين، بهذه الكلمات: «هؤلاء الناس الأصلاء،

يا لهم من نبل، وطيبين، وبألي من زائف، آه لو أتيح لهم فقط أن ينظروا في أعماقي!، ولو كان لي أن أقول لهم ما خفي عليهم، فقد لا يصدقون قولي! إن محاولة دوستوفسكي عندئذ لأن يماثلهما لم تكن ببساطة سوى مجرد حذقة، وعلى الشباب الذي لا يقهر أن يقتنص الكلمة الأخيرة وهذه الكلمة لا تنطوي عليها قصتي هذه التي انتهت عند هذا الحد! هل تبينت يا سيدتي ميلينا، ذلك المغزى الذي قد لا يتسنى للعقل أن يدركه؟ إنه هذا، على ما أظن: لم يكن جريجوريثف ونكراسوف، بلا جدال، على قدر ما يسعني أن أوجز القول في هذا المقام، أكثر نبلاً من دوستوفسكي، لكننا لو صرفنا نظرنا عن تلك النظرة الشاملة التي لم يدعيها دوستوفسكي أيضاً في تلك الليلة، والتي لا جدوى منها في مثل تلك الحالة الفريدة - ولو أنك استمعت فقط إلى دوستوفسكي، فسوف تقتنعين بأن جريجوريثف ونكراسوف كانا حقاً أصيلين وأن دوستوفسكي ليس نقيّاً، وأنه زائف إلى غير حد - وأنه لن يبلغ بالطبع نصف علو شأوهما - ولندع جانباً احتمال أنه كان بإمكانه أن يرد لهما دوماً عطفهما ذاك الهائل الذي غمراه به دون أن يستحقه منهما. إن المرء يوشك أن يراهما من خلال تلك النافذة، وهما يختفيان في البعد، وبهذا يوحيان باستحالة أن يبلغهما أحد! - إن مغزى هذه القصة، لسوء الحظ، قد تبدد نتيجة لضخامة اسم دوستوفسكي!

إلى أين سيؤدي بي سهادي؟

بالتأكد ليس إلى شيء لم يكن مقصوداً بالفعل.

المخلص

فرانتس ك.

سيدتي العزيزة ميلينا

بضع كلمات قليلة فحسب، وربما كتبت لك غداً مرة أخرى، أما اليوم، فإنني أكتب فقط للصالح، لمجرد أن أفعل شيئاً لنفسى، لمجرد أن أبعد قليلاً، ذلك الانطباع الذي أحدثته رسالتك، وإلا فإن ذلك الانطباع سيقبى مسيطراً عليّ ليلاً ونهاراً. إنك في غاية الغرابة، يا سيدتي ميلينا، فأنت تعيشين هناك في فيينا، وتقاسين من هذا الأمر، ومن ذاك، ولا يزال أمامك متسع من الوقت لكي يدهشك أناس آخرون. أنا مثلاً، لا أشعر بأنني على ما يرام، وأنني كل ليلة أنام نوماً سيئاً، أسوأ من نومي في الليلة التي سبقتها، ولصديقتاتي الثلاث اللاتي يعشن معي هنا (ثلاث أخوات أكبرهن في الخامسة من عمرها) موقف أكثر حساسية، فقد أردن أن يلقين بي في الماء، في أقرب فرصة، سواء كنا بالقرب من النهر، أو لم نكن، وليس ذلك لأنني قد تسببت في إلحاق أذى أذى بهن بحال من الأحوال. وعندما يهدد الكبار الأطفال على هذه الصورة، فإن الأمر بالطبع لا يعدو أن يكون سوى مجرد مزاح، دافعه الحب، ولا يعني سوى شيء من قبيل: على سبيل التسلية، هيا بنا نقول أكثر الأشياء استحالة، لكن الأطفال جادون، كما أنهم لا يكادون يعرفون المستحيلات. إن عشر محاولات فاشلة لطرح أي شيء أرضاً لا يمكن أن تقنعهم بأن الأمر لن يتم على نفس الصورة في المرة التالية. وهم في الحقيقة، لا يتحققون أيضاً من فشل المرات العشر السابقة. إن الأطفال خبثاء عندما يثقل المرء ألفاظهم ونواياهم بمعلومات الشخص الراشد. وعندما تهاجمني تلك الطفلة ذات الأعوام الأربعة - التي تبدو كأنها لم توجد في هذا العالم سوى لكي تتلقى

القبلات والأحضان، تلك الطفلة الممتلئة كالدبة الصغيرة، يبطنها التي ما تزال مستديرة من آثار أيام الطفولة الماضية - وعندما تسندها شقيقتها من اليمين ومن اليسار، ولا يكون خلفي سوى الدرايزين، وأبيهم العطوف، وتلك الأم الرقيقة الجميلة الممتلئة (التي توشك على الوضع) تبسم لهذا كله من على البعد، دون أن تبدو عليها النية في تخليصي من بناتها، عندئذ أكاد أشرف على نهايتي، وربما يمكن للمرء أن يصف كيف تم إنقاذه!

إن الأطفال الحساسين والملهمين يحاولون أن يدفعوني بعيداً دائماً دون سبب واضح؛ لعلهم يرونني زائداً على الحاجة، ولعلهم لا يعرفون شيئاً عن رسائلك أو عن ردودي.

إن (القصد الواضح)، في رسالتي الأخيرة، لا يجب أن يخيفك. لقد حدث في نوبة من نوبات الأرق، وهي ليست نادرة الحدوث هنا أن كتبت لك تلك القصة. إن استغراقي في التفكير فيها كان يبدو لي غائباً، شيئاً يتعلق بك على نحو ما، لكنني عندما فرغت من كتابتها أحسست بتوتر يشد جانبيّ جبهتي حتى أنني لم أعد أذكر تماماً ما الذي رويته لك فيها. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان قد تبقى ذلك الشكل غير المتبلور للأشياء التي كنت أنوي أن أرويها لك وأنا مستلقٍ فوق مقعدي الخشبي خارج غرفتي، في الشرفة. وهكذا لم أجد أمامي ما أفعله سوى أن أشير إلى الشعور الأساسي، ولا يمكنني حتى الآن أن أفعل شيئاً أكثر من ذلك.

إن لديك كل ما نشر لي، فيما عدا كتابي الأخير (طبيب الأرياف)، وهو مجموعة قصص قصيرة، سيرسلها لك فولف، أو أنني على الأصح قد كتبت له منذ أسبوع لكي يرسلها لك. لا يوجد شيء معد للطبع، كما

أنني لا أعرف ما عسى أن يتم، ولا اعتراض لديّ على أي شيء يروق لك أن تفعيله بالكتب والترجمات. إن ما يؤسف له أنها أشياء ليست ذات أهمية كبيرة عندي حتى يكون تركي لها بين يديك تعبيراً حقيقياً عن الثقة التي أشعر بها نحوك. ومن ناحية أخرى، فلقد أسعدتني قدرتي على أن أقوم بتلك التضحية الصغيرة، التي استلزمته ملاحظتك الصغيرة عن «العطشجي».

سوف يكون توقعاً سابقاً لأوانه، توقع تلك اللعنة الأبدية التي تنتج عن التورط مرة أخرى في ممارسة المرء لحياته بعين واعية، ذلك أن أسوأ ما في الأمر، ليس تبصر المرء بأخطائه الواضحة، بل تبصره بتلك الأعمال التي اعتبرها ذات مرة أعمالاً صالحة.

وعلى الرغم من كل ذلك، فالكتابة تفيد المرء، فأنا أكثر هدوءاً الآن مما كنت عليه قبل ساعتين، عندما كنت أقرأ رسالتك، على مقعدي في الشرفة. فبينما كنت أستلقي هنالك، سقطت خنفساء على ظهرها أمامي، على مسافة ياردة من مكاني، وبدا عليها اليأس لعجزها عن أن تعتدل، ووددت أن أساعدها، فقد بدا لي ذلك سهلاً، خطوة واحدة أخطوها، ودفعة بسيطة، كانت ستنتهي المشكلة، لكنني نسيتها بسبب رسالتك، كما أنني لم أتمكن من النهوض من مكاني، إلى أن أعادتني إلى وعيي بالحياة من حولى مرة أخرى، سحلية، اتجهت في طريقها نحو الخنفساء، التي كانت ساكنة في وضعها كما هي، قلت في نفسي، ومع ذلك فلم تكن حادثة تلك التي وقعت لها، لكنه كان صراع الحياة مع الموت، ذلك المشهد النادر لموت الحيوان، ميتة طبيعية، لكن السحلية عندما زحفت

فوقها، قلبتها إلى وضعها الطبيعي، ومع أن الخنفساء بقيت مستلقية لفترة قصيرة كما هي وكأنها ميتة، فقد انطلقت بعد ذلك فجأة تجري صاعدة حائط المنزل وكأن شيئاً لم يحدث. ولعل هذا أن يكون قد أعاد إليّ شيئاً من شجاعتي، فقد نهضت وشربت قليلاً من اللبن، وكتبت لك.

المخلص لك

فرانتس ك

غداً سأرسل لك التعليق، وسيكون بالمناسبة تعليقاً قصيراً للغاية، لن يشغل سوى حيز محدود. إن صدق الترجمة الواضح بذاته، هو بالنسبة لي عندما أحاول أن أتجاوز ذلك الوضوح) مثار دهشة دائمة، فلا يكاد يوجد التباس واحد، مع أن ذلك حتى لو وُجد، لن يكون أمراً بالغ الخطورة. ويقابلني التماسك دائماً، والفهم الواثق. إن الشيء الوحيد الذي أريد أن أعرفه هو ما إذا كان التشيكيون لن يلوموك على إخلاصك هذا، الذي هو ما أحبه في ترجمتك قبل أي شيء آخر (لا من أجل القصة بل من أجلي). إن إحساسي باللغة التشيكية - فإن لي إحساساً بها أيضاً - وهو إحساس قد أشبع تماماً - صار إحساساً بالزهو البالغ، وأياً ما كانت الحال فهل يمكن أن يوجد من يمكن أن يلومك على هذا. حاولي إذن أن تستعضي عن الإساءة بتقديري.

سيدتي العزيزة ميلينا

(لقد أخذ هذا الأسلوب الذي نلتزمه في حديث أجدنا إلى الآخر،
يسبب إرهاقاً لكلينا، ولكنه يعدّ يدًا من تلك الأيدي التي يتشبّث بها
المريض في دنيانا هذه الغادرة، ولا تعدّ مثل تلك الأيدي دليلًا على
التمائل للشفاء، عندما تتسبب في إرهاب هؤلاء المرضى). لم يسبق لي
أن اختلطت بالألمان. إن اللغة الألمانية هي لغة أُمّي، وهي لغة مألوفة لديّ
لهذا السبب، إلا أن التشيكية تبدو لي أكثر ألفة، لهذا السبب تؤكد رسالتك
كثيرًا من شكوكي. إنني أراك بصورة أكثر وضوحًا، حركات جسدك،
يديك بالغتي السرعة، الماهرتين غاية المهارة. إن رسالتك تكاد أن تكون
لقاء فعليًا، على الرغم من أنني كلما حاولت أن أرفع عيني إلى وجهك
اندلعت النيران عندئذ أثناء قراءتي لرسالتك - يا لها من قصة! فلا يسعني
أن أرى شيئًا بعد ذلك، سوى النيران.

من الممكن أن يحمل ذلك أي شخص على أن يقتنع بذلك القانون
الذي يحكم حياتك، تلك الحياة التي أهملتها وبأنك لا تريدين أحدًا أن
يشفق عليك انسياقًا مع ذلك القانون الذي تقرين بأن احتماله أمرًا ترينه
طبيعيًا، ذلك أن إهمال القانون ليس سوى محض غرور، وخيلاء (وأنا
من يتكبد ثمن هذا)، كما أن البراهين التي سقتها لإثبات ذلك القانون، لا
تحتاج من ناحية أخرى إلى مزيد من المناقشة. كل ما يسع المرء أن يفعله
هو أن يلثم يدك في صمت. أما من ناحيتي، فإنني مؤمن بقانونك، وإن يكن
في غير استطاعتي أن أقتنع بأن في مقدوره أن ينقذك، ويتسلط، على هذا
النحو الصارخ، فوق حياتك إلى الأبد. فعلى الرغم من أن هذا يعدّ تبصرًا

من ناحيتك، إلا أنها بصيرة على الطريق، وليست للطريق من نهاية.

وبغض النظر عن هذا كله، فإنه مما يرهق الذكاء البشري المحدود، أن يراك المرء في جوف ذلك الفرن مرتفع الحرارة الذي تعيشين فيه. سوف أتحدث الآن عن نفسي فحسب. ثمة احتمالات ثلاثة لديك فيما يتعلق بي، لو أن المرء نظر إلى الأمر كله كما لو كان واجباً مدرسياً. ففي مقدورك مثلاً، ألا تخبريني بشيء عن نفسك، لكنك ستحرميني عندئذ من متعة التعرف عليك، بل مما هو أكثر من هذا، من متعة اختبار نفسي عن أساس معرفتي بك. هذا هو السبب في أنك لم تتمكني من إخفاء نفسك عني، ثم إنك قد احتفظت بعدد من الأشياء كآسرار، أو ربما كنت قد تجاهلت ذكرها بالتفصيل، وهذا ما تصرين عليه حتى الآن، لكن ذلك في ضوء ما آلت إليه الأمور الآن هو ما قد أحسه، حتى ولو لم أشر إليه، وهو ما قد يسبب لي ألماً مضاعفاً. وهكذا فأنت لا يمكنك أن تفعلي هذا أيضاً. ويبقى بعدئذ ثالث تلك الاحتمالات: وهو محاولتك حماية نفسك إلى حد ما، وإن شيئاً من المجهود الذي تبذلينه في هذا السبيل يتبدى واضحاً بالفعل في رسائلك. كثيراً ما قرأت عن الهدوء والثبات مع أنني غالباً ما أقرأ الآن عن أشياء أخرى أيضاً، وأقرأ في النهاية حتى عن: «الرعب الحقيقي».

ماذا عن صحتك (صحتي أنا على ما يرام، نومي فقط هو أسوأ شيء في هواء الجبل). إن صحتك لا ترضيني ولا أجد نفعاً في تشخيص الأطباء لحالتي بصورة عامة، أو أنني أجد أن ذلك التشخيص لا يتمخض عن شيء من النفع أو الضرر، ورد الفعل وحده هو الذي ينجح في توضيح

حالة المرء الصحية. لا شك في أن الأطباء أغبياء، أو أنهم ليسوا أكثر غباء من سواهم من الناس، إلا أن ادعاءاتهم تبعث على الضحك، وإن يكن على المرء أن ينتبه إلى حقيقة أن غباءهم يزداد أكثر فأكثر في اللحظة التي يصبح بها بين أيديهم. عندئذ لا يحتاج الطبيب إلى أمر بالغ الغباء، أو إلى ما هو مستحيل. إن المستحيل هو أنك قد أصبحت مريضة بالفعل وأن هذه الاستحالة ستبقى. إلى أي السبل تحولت حياتك منذ أن تحدثت إلى الطبيب؟ - هذا هو السؤال الأساسي.

هناك بعد ذلك، بعض الأسئلة الأقل شأنًا، والتي قد تسمحين لي بتوجيهها: لماذا ومنذ متى تحتاجين إلى النقود؟ لماذا رأيت في وقت ما، كما تقولين، أناً كثيرين في فيينا، ثم لم تعودى ترين منهم أحدًا الآن؟ إنك لا تريدين أن ترسلني إليّ قصاصاتك، وعلى هذا فليست لديك الثقة في قدرتي على أن أضعها في المكان الملائم من تلك الصورة التي أكونها لنفسي عنك. حسنًا، سوف أغضب منك إذن لهذا، مع أن غضبي لن يكون هنا بالمناسبة، غضبًا بالغًا؛ ذلك أن شيئًا من الغضب يلزم بالفعل لإحداث التوازن، عندما ينزوي في ركن من أركان القلب قليل من ذلك الغضب، متحفرًا ضدك.

المخلص لك

فرانتس ك

الجمعة

قبل كل شيء يا ميلينا، ما شكل تلك الشقة التي كتبت لي منها يوم السبت؟ هل هي فسيحة وخالية؟ هل أنت وحيدة؟ نهارًا وليلاً؟

لا بد أن يكون هذا محزنًا حقًا، محزن أن تجلسي هنالك وحيدة في ظهيرة يوم السبت الرائع ذاك أمام «شخص مجهول». وجهه ليس سوى «صفحة مكتوبة» كم تحسنت أنا!، فعلى الرغم من صغر مساحة حجرتي، فإن ميلينا الحقيقية، تلك التي زايلتك صراحة يوم السبت، توجد معي هنا، وصدقيني إنه شيء رائع جدًا، أن أكون معها.

إنك تتشكين من اللاجدوى. في أيام أخرى كان الأمر يختلف، وسيبقى مختلفًا. إن تلك الجملة الوحيدة (في أية مناسبة قيلت تلك الجملة؟) تسبب لك الرعب، إلا أنها غاية في الوضوح مع ذلك، لقد ذكرت تلك الجملة، أو قتلت بحثًا بهذا المعنى، مرات لا حصر لها بالفعل. ويبدو حقًا أن الإنسان حينما تعذبه شياطينه، يثار لنفسه بصورة عمياء من أخيه الإنسان. لعلك في مثل تلك اللحظات قد أردت أن تفتدي الآخر تمامًا، فإن لم يتم لك ذلك اعتبرت نفسك عديمة النفع.

من ذا الذي يجروء على أن يتجه نحو ذلك الكفر؟ إن أحدًا لم يتمكن من تحقيق ذلك بعد، حتى ولا المسيح، يمكنه أن يقول فقط: «اتبعوني»، ثم ذلك السطر الرائع (الذي اقتبسته لسوء الحظ بصورة خاطئة): اسلكوا تبعًا (لكلمتي)، وسوف ترون أنها ليست كلمة رجل، ولكنها كلمة (الرب) ويطرد (الشيطان) وحده، بعيدًا عن هؤلاء الذين (تبعوه). وحتى

ذلك لا يدوم إلى الأبد، ذلك أنهم لو تبعوه، فلن يلبث حتى (هو) أن يفقد التأثير «والهدف». حقاً - وهذه هي النقطة الوحيدة التي أسلم بها - إنه قد استسلم هو أيضاً للإغراء.

الجمعة

اليوم حتى المساء، قمت وحدي للمرة الأولى بالفعل بجولة طويلة إلى حد ما سيراً على قدمي، وإلا لكنت قد ذهبت مع آخرين، أو بقيت على الأغلب مستلقياً في المنزل، ما هي تلك القرية؟ يا للسماء، لو أنك كنت هنا يا ميلينا - أنت «والعقل البائس، العاجز عن التفكير»! إلا أنها ستكون كذبة بالنسبة لي لو قلت إنني أفتقدك. إنه السحر الكامل، المؤلم، إنك توجدين هنا، مثلما أنا هنا، إن وجودك مؤكد أكثر من وجودي، إنك تكونين حيث أكون، وجودك كوجودي، وأكثر كثيراً من وجودي في الحقيقة. لست أمزح، ذلك أنني أتخيلك أحياناً، بما أنك هنا، تفتقدينني، وتتساءلين: «أين هو؟، ألم يكتب قائلًا إنه في ميران؟».

ف

هل تسلمت رسالتي ردًا على رسائلِك؟

سيدتي العزيزة ميلينا

إن النهار بالغ القصر، فكيف يبدو لك؟. إن المرء ما يكاد يفرغ من قضاء بضعة أمور يومية تافهة حتى ينقضي النهار، فلا تكاد تبقى لحظة

واحدة يفرغ فيها المرء للكتابة إلى ميلينا الحقيقية، ما دام أن ميلينا الأكثر حقيقة كانت هنا طوال النهار، في حجرتي هذه، وفي هذه الشرفة، وفي السحب.

من أين أتت تلك الحيوية، وذلك المرح، وخلو البال، التي تطبع جميعها رسالتك الأخيرة؟ هل تغير شيء؟ أم أنني أخدع نفسي، ولا يخرج الأمر عن أن تلك الفقرات الثرية الرفيعة التي خطها قلمك هي التي أحدثت في نفسي هذا الأثر؟ أو أنك قد أخضعت نفسك لشيء من هذا الانضباط، وبهذا أخضعتها كذلك للظروف، ما هي حقيقة الأمر؟

إن رسالتك تبدأ، كما يبدأ حديث القاضي، وأقول هذا جاداً. إنك محقة فيما توجهينه من تعنيف «أو لعلك ليس لك كل الحق في ذلك»، بقدر ما كان لك من الحق الواضح فيما يتعلق بذلك (الأمر الذي تعرفينه حق المعرفة). إن هذا واضح. ولو أن القلق البالغ المتصل يسيطر عليّ، على نحو ما كان يسيطر عليّ عندما كتبت لك، لما أمكنتني، على الرغم من كل العوائق، أن أبقى مستقرّاً فوق مقعدي، ولكنت قد دخلت عليك حجرتك في اليوم التالي - وهو البرهان الوحيد على الإخلاص، وما عداه ليس سوى مجرد لغو، بما فيه البرهان الأخير. أو هو لمحات إلى ذلك الشعور الذي يكمن تحت كل شيء، غير أن هذا الشعور، شعور صامت، ومستكين.

كيف حدث أن عجزت عن استيعاب هؤلاء الناس السخفاء الذين وصفتهم (وقد وصفتهم لهذا بحب يخلب الألباب)، مثلاً، ذلك الشخص الذي توجه بالسؤال وكثير من الآخرين. إن الأمر لك في النهاية، لتحكمي

بنفسك والمرأة هي التي تحكم دائماً في النهاية. (إن أسطورة باريس تترك هذا الأمر مبهمًا على نحو ما، لكن حتى باريس يحكم فقط لصالح أولئك الذين يرى أن أحكام آلهتهم النهائية، هي أقوى الأحكام جميعًا). إن السخافات التي من هذا القبيل لا تهم كثيرًا، فقد تكون سخافات اللحظة، التي تتحول بعد ذلك بصفة عاملة إلى جد وخير - هل هذا هو الأمل الذي يربطك بهؤلاء الناس؟ من الذي يستطيع أن يقول بأنه يعرف الأفكار السرية الى تدور في رأس قاض من القضاة، غير أن انطباعًا يملكني بأنك تتجاوزين مثل تلك السخافات، التي من قبيل الفهم، الحب، وأنك بحبك تضيفين هالة من الشرف على مثل تلك السخافات. إن هذه السخافات ليست سوى شيء من قبيل اهتزازات الكلاب، وحركتها المتعرجة عندما تعدو، بينما السيد يمضي مستقيمًا في طريقه إلى الأمام، لا في الوسط بالضبط، لكن حيث يفسح أمامه الطريق تمامًا. سوف يبقى مع ذلك، مكان ما لحبك وهذا ما أثق فيه مطمئنًا (على الرغم من أنني لا أستطيع أن أغالب التساؤل، والإحساس بغرابة هذا الاطمئنان الواثق) وهو ما يذكرني، لمجرد أن أؤكد لنفسي وجهًا من وجوهه، بما قاله ذات مرة، موظف معي في المكتب. اعتدت منذ سنوات عديدة أن أخرج غالبًا للنزهة في قارب صغير، فوق سطح (المولداو)، جددت في إحدى تلك المرات ضد التيار، ثم تمددت على ظهري، وتركت نفسي للتيار يجرفني تحت القنطرة. ربما كان منظري يبدو مضحكًا جدًّا، لشدة نحافتي، لمن قد يتطلع إليّ من فوق تلك القنطرة. وعندما شاهدني ذلك الموظف، على هذا النحو، في إحدى تلك المرات، وبعد أن ألح على الجانب الضاحك

في ذلك المشهد بما يكفيه، لخص انطباعه عن ذلك المشهد كما يلي: إنه يبدو مشهداً يسبق (الحساب الأخير) مباشرة، يمثل اللحظة التي ترتفع فيها الأغشية عن الأكفان، بينما يبقى الموتى كما هم بلا حراك.

لقد خرجت في نزهة قصيرة (ليست هي تلك النزهة الطويلة التي حدثتك عنها ولم تتحقق)، وقد ظللت عاجزاً نحو ثلاثة أيام من شدة الإرهاق (لم يكن إرهاقاً خطيراً) عن عمل أي شيء، عاجزاً حتى عن الكتابة إليك، قرأت فقط الرسالة - وقرأت (المقال)^(١) عددًا من المرات. وفي اعتقادي أن مثل تلك القطعة النثرية لم توجد، بالطبع في حد ذاتها، لكنها لا بد قد خرجت إلى الوجود لكي تكون شيئاً من قبيل لوحة الإعلانات على الطريق المؤدي إلى شخص ما، على طريق يواصل المرء سيره عليه بسعادة متزايدة، حتى يدرك المرء في لحظة إشراق، أنه لا يتقدم بل يجري بسهولة في صورة دائرية في متاهته الخاصة به، غير أنه يجري بتأثير متزايد، وبانفعال متزايد عن ذي قبل. لكن، أيّاً كانت الحال؛ فليس كاتباً عادياً، ذلك الذي يمكنه أن يخط مثل ذلك المقال.

فعندما قرأته امتلأت ثقة في كتابتك، كثقتي في شخصك. أعرف في اللغة التشيكية (في حدود معلوماتي المحدودة)، موسيقى واحدة فقط تستهويني في تلك اللغة، هي موسيقى لغة (بوتسينا نيمكوفا)^(٢)، وها هي ذي موسيقى أخرى، إلا أنها تنتمي إلى الموسيقى السابقة في الإرادة والعاطفة والجمال، وتتسم فوق ذلك كله بالذكاء الواعي. هل يمكن أن يكون هذا كله نتيجة للسنوات القلائل الأخيرة وحدها؟ هل تكتسب

(١) قصاصات ميلينا المنشورة في الصحيفة التشيكية.

(٢) كاتبة تشيكية كبيرة (١٨٢٠ - ١٨٦٢) من أشهر أعمالها روايتها (Babicka الجدة)

باستمرار؟ سوف تقولين بالطبع إنني أتحامل عليك بطريقة تثير الضحك، وإنك لمحققة بالفعل، إنني بالطبع متحامل، لكنني لست متحاملاً بما اكتشفته في المقال (وهو بالمناسبة) ليس مقالاً سلساً، وتشير بعض أجزائه من حين لآخر إلى تأثير الصحافة الضار. لكنني متحامل بما عدت فاكشفته مرة أخرى في المقال. في إمكانك أن تلحظي على الفور غرابة حكمي مع ذلك، فقد خدعتني فقرتان، فأوشكتنا أن تقنعاني بأن أسلوب المقال المبتور يمكن أن يكون من نتاج يدك. أحب جداً أن أحتفظ بالقصاصات، ولو لكي أطلع عليها شقيقتي، لكن بما أنك تريدني في الحال، فسوف أرسلها لك، خاصة، وأني أرى بعض المذكرات الحسائية في الهامش.

لقد كنت لنفسي صورة أخرى عن زوجك. بدا لي وسط جمع المقهى أشد الأشخاص جدارة بثقة المرء، وأكثرهم قدرة على الفهم، وأكثرهم هدوءاً. بدا لي شخصاً يفيض بمشاعر الأبوة إلى غير حد، على الرغم من أنه شخص غامض أيضاً، لكن ليس إلى الحد الذي يمكن أن يلغي ما قلته عنه الآن، إنني أكنّ احتراماً له دائماً، أما عما يمكنني أن أراه فيه، أبعد من ذلك، فليست لديّ الفرصة ولا المقدرة على أن أرى شيئاً فيما عدا ما ذكرته، لكن بعض الأصدقاء، وخاصة ماكس برود، له رأي قيم فيه، ولقد كنت دائماً على وعي بهذا الرأي عندما كنت أفكر فيه.

لقد أحببت بصفة خاصة في إحدى المرات غرابة طوره التي تبدى في اهتمامه بأن يُطلب للرد على التليفون في كل مقهى، عدة مرات خلال الليلة، ويبدو أن شخصاً ما، لا بد له، بدلاً من أن ينام أن يجلس

إلى التليفون، وهو يغالب نعاسه، ورأسه على ظهر مقعده، ويتفرغ هذا الشخص بين الحين والآخر، لكي يتصل به تليفونياً. إنها حالة أفهمها غاية الفهم، حتى أنني أذكرها فقط لهذا السبب.

المخلص لك

فرانتس ك

ماذا تعتقد؟ هل يمكن أن تصلني رسالة يوم السبت؟ من الممكن ذلك، لكنه مجنون ذلك الشوق إلى استلام الرسائل. ألا تكفي رسالة واحدة؟ ألا يكفي المرء أن يعرف مرة؟ لا شك أن مرة تكفيه. إلا أن المرء على الرغم من ذلك يميل إلى الخلف ويرتشف الرسائل، ولا يتوقف وعيه عند شيء سوى رغبته في ألا يتوقف عن الارتشاف. فسري لي هذا، يا ميلينا! يا مدرستي.

الخميس

لا أريد الآن أن أتحدث عن شيء سوى هذا (لم أقرأ رسائلك بعد جيداً)؛ فقد حومت حولها كما تحوم الفراشة حول الضوء، واحتقرت رأسي عدة مرات. لقد اتضح لي فجأة، وهذا ما اكتشفته الآن فحسب، أنهما رسالتان مختلفتان تمام الاختلاف، إحداهما يجب استنزافها إلى آخر قطرة، والأخرى يجب على المرء أن يتخذها نذيراً، ولعل الثانية أن تكون هي التي تأخرت.

لو أن المرء التقى بأحد معارفه، وسأله باهتمام عن حاصل ضرب ٢×٢ فسوف يبدو هذا السؤال عندئذ سؤالاً أبه، لكنه سيبدو في الصف الأول من المدرسة الابتدائية سؤالاً معقولاً للغاية. والآن بسؤالي الذي أوجهه إليك يا ميلينا، يبدو الأمر على هذا النحو الأبله، وإن تضمن في ثناياه سؤال المدرسة الابتدائية- إن في سؤالي أيضاً لحسن الحظ شيئاً من جوهر سؤال المدرسة الابتدائية. لكنه بدا لي دائماً أمراً غير مفهوم بالمرة، عندما كان يرتبط بي شخص ما، وقد حطمت لهذا عديداً من العلاقات الإنسانية (منها مثلاً علاقتي بفائس)^(١)، تبعاً لمزاج عقلي يعتقد دائماً في خطأ الآخر أكثر مما يعتقد في المعجزات (على الأقل إلى الحد الذي يعنيني).

إنني أعجب، لماذا تعكرين مزيداً من التعكير مياه الحياة العكرة بالفعل، بمثل هذه الأمور، إنني أرى أمامي امتداداً لطريق مفتوح، وأدرك كم هي هائلة تلك المسافة التي يشق عليّ غالباً أن أقطعها، وإن كان لا بد لي من أن أقطعها بادئاً من وضعي الحالي قبل أن أصبح جديراً بنظرة عابرة (ألقها بنفسي على نفسي، فكم يلزمني لكي أحظى بنظرة من الآخرين)- ليس هذا تواضعاً بل غروراً لو أنك تمعنت في الأمر جيداً - والآن لقد تسلمت رسالتك يا ميلينا، فكيف يمكنني أن أعبر عن الفارق؟ رجل يستلقي في القذارة والنتن الذي يفوح من فراش موته، وهنا يحضر ملاك الموت، أجمل الملائكة جميعاً، ويتطلع إليه، فهل يجروء هذا الرجل عندئذ أن يموت؟ إنه يستدير إلى الناحية الأخرى من الفراش، ويختبئ في فراشه أكثر، إنه عاجز عن الموت.

(١) أرنست فائس، شاعر وروائي من براغ.

باختصار، أنا لا أصدق ما تقولينه، يا ميلينا، ولا توجد أية وسيلة يمكنها أن تثبت لي ذلك - كما لم يتسن لأي شخص أن يثبت ذلك لدوستويفسكي في تلك الليلة، وإن حياتي لتستمر ليلة واحدة - يمكنني أن أثبت ذلك لنفسي، ويخيل لي أنني قادر على ذلك (بنفس الطريقة التي أتيح لك بها ذات مرة رؤية الرجل الجالس فوق المقعد الخشبي)، إلا أنني لا أصدق ذلك عن نفسي. لقد كان ذلك السؤال لهذا، خدعة غريبة - ولعلك قد تبينت هذا في الحال - كما يحدث أحياناً لمدرس، لإرهاقه، ورغبته في الهدوء أن يسمح لنفسه بأن يندفع بإجابة صحيحة من أحد التلاميذ، فيسمح لنفسه أن يقتنع بأن هذا التلميذ يفهم الموضوع حقاً، بينما هذا التلميذ في الحقيقة يفهمه فقط من زاوية لا علاقة لها بالموضوع أصلاً، ودون فهم كامل للموضوع نفسه دون شك. وليس للمرء أن يحاول شرح الموضوع شرحاً كاملاً لهذا التلميذ، لأن هذا، هو ما يجب أن يضطلع به المدرس وحده. لا يتم هذا، مع ذلك بواسطة التشكي، والنواح، والتدليل، والتوسل، والأحلام، (هل تسلمت الرسائل الأخرتين الخامسة والسادسة، لعلك أن تتفحصيهما، فهما تنتميان إلى الكل) أقول إن الأمر لا يتم بأية وسيلة أخرى سوى... ليق هذا الأمر معلقاً الآن.

بالتطلع إلى رسالتك، رأيت أنك أيضاً تذكرين الفتاة. لهذا، ولكي لا أَدع مجاًلاً للشك هنا، أقول إنك قد أسديت إلى هذه الفتاة أكبر خدمة ممكنة، بالإضافة إلى ألمك المؤقت، ولا يمكنني أن أفكر في أية وسيلة أخرى سوى هذه الوسيلة التي يمكنها أن تتحرر بها مني. إن لديها بالفعل إحساساً مريراً متشائماً، لكن ليست لديها القدرة على أن تفهم من أين

يحصل المكان الذي بجواري على دفئه (على اليسار، وإن لم يكن على يسارها). أذكر أننا كنا نجلس بجوار بعضنا البعض فوق الأريكة في شقة تتكون من حجرة واحدة في فرسوفتز)، ولعل ذلك كان في شهر نوفمبر، وكانت الشقة لنا لمدة أسبوع، كانت سعيدة لعثورها على هذه الشقة بعد عناء بالغ، ولأن زوجها المقبل يجلس بجوارها، (وأكرر قولي بأنني بصفة خاصة كنت أتعجل ذلك الزواج، وكانت هي قد استجابت فقط، ولقد تملكها الخوف، ثم قاومت، لكنها بالطبع روضت نفسها على الفكرة تدريجيًا) - عندما أفكر في هذا المشهد بكل تفاصيله مرات تفوق في عددها ضربات قلب المريض بالحمى، أعتقد عندئذ أنني قادر على فهم أي وهم بشري (في هذه الحالة كان الوهم، وهمي أنا أيضًا لعدة شهور، ولم يكن الأمر بالنسبة لي وهمًا فقط، بل كان أمرًا من نوع آخر، كما أنه كان من الممكن أيضًا أن يكون زواجًا عقليًا بالمعنى الصادق للكلمة). أقول إنني أعتقد أنني قادر على فهم أي وهم يمكن تخيله، وأخشى عندئذ أن أرفع كوب اللبن إلى فمي، ذلك أنه قد يرتطم بسهولة مباشرة، تحت عيني، لا مصادفة، بل عمدًا، وتتناثر شظاياها في وجهي.

سؤال: مم يتألف اللوم الموجه إليك؟ نعم، لقد سببت أنا أيضًا للناس شيئًا من التعاسة، في بعض الأحيان، لكنني أذكر تمامًا أنهم لم يوجهوا إليّ لومًا على شيء من هذا في نهاية الأمر. فقد ظلوا صامتين، بل إنني أعتقد حتى أنهم لم يلوموني على شيء فيما بينهم وبين أنفسهم. إنني أتمتع بهذا الوضع الاستثنائي بين الناس.

إلا أن هذا كله لا يهم إذا قورن بفكرة جاءني مبكرًا في هذا الصباح

عندما غادرت الفراش، ولقد استولت عليّ هذه الفكرة حتى لقد اغتسلت، وارتديت ملابسني دون أن أدري كيف فعلت ذلك، وربما كنت قد حلقت ذقني أيضًا على نفس الصورة، لو لم يزعجني أحد الزوار. إن الأمر هو ما يلي باختصار: لقد تركت زوجك لفترة قصيرة، وليس هذا شيئًا جديدًا بعد كل ما حدث من قبل. إن الأسباب هي: مرضك، وعصبيته (سوف يستفيد أيضًا من هذا)، ثم الأحوال التي تسود فينا بالإضافة إلى ذلك.

إلى أين تريد أن تذهبي، هذا ما لست أدريه، إن أفضل مكان تذهبين إليه قد يكون أحد الأماكن الهادئة في بوهميا. ومن الأفضل أيضًا ألا أتدخل أنا، أو أظهر. أما المال اللازم لذلك فيمكنك مؤقتًا (يمكننا أن نصل إلى اتفاق بخصوص رده) أن تحصلي عليه مني (أذكر فقط ميزة واحدة إضافية يمكنني أن أجنيها من وراء ذلك، هي أنني سأتحول إلى موظف ذاهل العقل، منهمك في العمل - إن وظيفتي، بالمناسبة، هي وظيفة غريبة مضحكة، وسهلة بصورة تدعو للأسف، سهلة سهلة لا يمكنك أن تتخيلها، ولست أدري لماذا يدفعون لي مرتبًا!)، فلو لم يكفك المال الذي أزودك به من حين لآخر على مدى شهر، فليس عليك سوى أن ترفعي المبلغ بإضافة الفارق المطلوب الذي لن يكون بالغًا. لن أقول الآن شيئًا أكثر من هذا مدحًا في هذه الفكرة، لكن لديك فرصة لكي تبيني لي بحكمك على هذه الفكرة إن كان لي أن أثق في أحكامك على أفكارى الأخرى (إنني مقتنع بقيمة هذه الفكرة).

المخلص لك

كافكا

ليس من السهل مطلقًا الآن، بعد أن قرأت هذه الرسالة المزعجة بالغة الإزعاج في الحقيقة، أن أشكرك على السرور الذي جلبته لي بوصولها. اليوم إجازة، ولم يصل البريد العادي بعد، ولا يمكنني أن أقطع بما إذا كان ثمة شيء سيصلني منك غدًا الجمعة، وعلى هذا فثمة نوع من الصمت الذي يبعث على الضيق، على الرغم من أنه لم يكن صمتًا حزينًا على الإطلاق بقدر ما يسعك أن تدركي ذلك. لقد كنت في غاية القوة، في رسالتك الأخيرة، حتى لقد رحت أرقبك، كما لو كنت أرقب متسلقي الجبال من مكاني على مقعدي الخشبي لأرى إن كان في استطاعتي أن أميزهم هنالك في أعلى الجبل وسط الثلوج. ثم، لقد وصلت رسالتك في النهاية، قبل الغداء، كان في استطاعتي أن أتناولها في الحال، أنزعتها من جيبِي، وأضعها على المائدة، ثم أضعها ثانية في جيبِي على نفس النحو الذي اعتادت الأيدي أن تسلكه في العبث بالرسائل. إن المرء يرقب الأيدي وهي تفعل ذلك، ويعجب بما فيها من طفولة. طوال ذلك الوقت لم أكد أتعرف على الجنرال والمهندس اللذين كانا يجلسان في مواجهتي (شخصين، مهذبين ودودين)، ونادرًا ما كنت أفهمهما، كما أن تناول الطعام الذي استأنفته اليوم ثانية (لم أتناول بالأمس شيئًا من الطعام)، فلا تزيدني خوفًا إذن، فمن الخدع الحسابية التي درستها بعد تناول وجبتي بدت لي المشاكل القصيرة أكثر وضوحًا بالنسبة لي من الحلول الطويلة، التي كان يتخللها رغم ذلك، مشهد من خلال النافذة المفتوحة، كان في مجال رؤيتي - منظر أشجار الشربين، والشمس، والجبال والقرية، ومنظر عام لمدينة فيينا بالإضافة إلى هذا كله.

لكنني قرأت الرسالة بعد ذلك بعناية، أعني أنني قرأت بعناية رسالة

السبت، وسوف أؤجل قراءة رسالة الإثنين حتى تصلني رسالتك التالية، فثمة أشياء في تلك الرسالة لا أحتمل قراءتها بعناية. ويبدو واضحاً أنني لم أشف شفاء تاماً، علاوة على ذلك فالرسالة أصبحت رسالة قديمة الآن بالفعل. أذكر طبقاً لإحصاء قمت به أن ثمة رسائل خمس في طريقها إليك حالياً، سوف تصل منها ثلاثة على الأقل إلى يدك الآن، حتى لو حدث أن فقدت إحدى تلك الرسائل، أو تأخرت الرسائل المسجلة، والآن لا يبقى أمامي بعد هذا سوى أن أطلبك بالرد عليّ، هنا في الحال، مجرد كلمة واحدة تكفيني، لكنها يجب أن تكون تلك الكلمة التي تكسر حدة اللوم الذي تحفل به رسالة الإثنين وتعينني على قراءة تلك الرسالة. اتفق لي، أن كنت خلال يوم الإثنين ذاك في نوبة صراع عقلي عنيف (وإن لم يصطبغ بصبغة يائسة).

والآن الرسالة الأخرى - إلا أن الوقت متأخر الآن، ذلك أنني كنت قد قبلت بصورة نهائية، بعد عدة وعود غير صريحة، أن أذهب لزيارة المهندس، وأن أفرج على صورة أطفاله، وهي صورة كبيرة إلى حد لا يسهل معه إحضارها إلى هنا. إنه لا يكاد يزيد عليّ في العمر إلا قليلاً، وهو باقاري، صاحب ورشة، مثقف جداً، إلا أنه مرح، وحساس، أنجب خمسة أطفال، بقي اثنان منهم فقط على قيد الحياة (ومع ذلك فلن ينجب مزيداً من الأطفال، بسبب زوجته)، ويبلغ ابنه الآن الثالثة عشرة من عمره، وتبلغ ابنته الحادية عشرة. يا له من عالم! ومع ذلك أمكنه أن يحتفظ بتوازنه. لا!..... لا تقولي شيئاً يا ميلينا.... ضد التوازن.

المخلص لك

ف

سأكتب لك أكثر غداً، وقد أكتب لك مع ذلك بعد غد، وأرجوك ألا
(تكرهي) مرة أخرى، لا تفعلي ذلك.

قرأت رسالة يوم السبت مرة أخرى، فبدت لي أشد إزعاجاً منها عندما
قرأتها لأول مرة، يجب على المرء يا ميلينا، أن يأخذ وجهك بين راحتيه،
وينظر مباشرة في عينيك، لعلك أن تتعرفي على نفسك في عيني الآخر،
فلا تقوين بعد تلك اللحظة حتى على مجرد التفكير في مثل تلك الأشياء
التي كتبتها في رسالتك تلك.

الجمعة

متى يأتي في النهاية شخص ما، فيقيم هذا العالم المقلوب رأساً على
عقب؟ في أثناء النهار يتجول المرء ورأسه تكاد تحترق - ثمة خرائب
رائعة في كل مكان، هنا في الجبال، ويحس المرء عند رؤيته لها بأن عليه
أن يصبح هو أيضاً في مثل روعتها - في الفراش، مع ذلك، يقتنص المرء،
بدلاً من النوم، أروع الأفكار. اليوم مثلاً، عن لي، بالإضافة إلى اقتراح
الأمس، أن بإمكانك قضاء الصيف في الريف مع (شتاشا)^(١) التي كتبت
لي عنها. سطرت أمس ملاحظة سخيفة، أشرت فيها إلى أنه قد تنقضى
بضعة شهور قبل أن تعجز إمكانياتي المالية عن الوفاء بالمطلوب، لقد
كان هذا محض هراء، إن المال سيكفي دائماً.

إن رسالتي صباح الثلاثاء، ومساء الثلاثاء، قد أكدت لي قيمة اقتراحي،
وهو أمر لا يعد مصادفة عارضة. ذلك أن قيمة الاقتراح لا بد من أن يؤكدها

(١) إحدى صديقات ميلينا.

كل شيء، كل شيء على الإطلاق. فلو كان ثمرة شيء من الخبث في ذلك الاقتراح - وأين هو المكان الذي يمكن ألا يوجد فيه ذلك (الحيوان) الشنيع الذي يمكنه أن يجعل نفسه صغيرًا غاية الصغر حتى لتصعب رؤيته، متى راق له أن يفعل ذلك؟ - عندئذ سأعيد النظر في الأمر، ويمكن أن يطمئن إليّ في هذا زوجك نفسه. إنني ميّال إلى المبالغة، ومع ذلك فيمكن الثقة بي. لم أرك مطلقًا، لا الآن، ولا فيما بعد، وسوف تعيشين أنت في ذلك الريف الذي تحبينه (إننا متشابهان في هذا: فالريف المنبسط، غير المقفر تمامًا، الريف الذي يزدحم بالغابات والبحيرات، هو ما أحبه غاية الحب).

إنك تبخسين قدر رسائلك يا ميلينا. إن رسائل يوم الإثنين (إنني مشغول بأمرك فحسب)، إنني لم أفرغ بعد من قراءة تلك الرسائل. (ولقد حاولت قراءتها هذا الصباح. لقد تحسنت رسائلك إلى حد ما - حقًا لقد أصبحت بالفعل، شيئًا أقرب إلى التاريخ بفعل اقتراحاتي، إلا أنني ما زلت عاجزًا عن قراءة تلك الرسائل إلى نهايتها).

أما عن رسالة يوم الثلاثاء، فهي (مثلها مثل تلك البطاقة البريدية الغريبة، المكتوبة في أحد المقاهي؟ ليست لديّ أية إجابة حتى الآن على اتهامك الذي يتناول موضوع فيرفل - وأخشى ألا أتمكن من الإجابة على أي شيء مما تنتظرين أن أجيبك عليه. إنك تجيدين الرد، على نحو أفضل مني، وهو ما يطمئن له المرء)، جعلتني رسالة الثلاثاء تلك هادئًا هدوءًا تامًا، وراضيًا على الرغم من ليلة قضيتها في أرق سببه رسالة يوم الإثنين. إن رسالة الثلاثاء لها بالطبع وخزتها هي أيضًا، وهي وخزة تنفذ في الجسم لكنك أنت^(١) من

(١) هنا يستخدم كافكا لأول مرة، ضمير الشخص الثاني المفرد (أنت) Du - في مخاطبة حبيبته، بدون تكلف، لكنه سرعان ما يعود ثانية إلى استخدام ضمير الجمع Sie الذي يستخدم في صيغة التحفظ.

تنخسين تلك الوخزات - هذا بالطبع هو مجرد حقيقة لحظة، لحظة
ترتعش بالسعادة والألم-، فما هو الشيء الذي يصدر عنك، ثم يصعب
عليّ تحمله؟

ف

لو وאתك الفرصة، ولم تجدي في الأمر غضاضة، أرجوك أن تقولي
كلمة رقيقة لـ (فيرفل) نيابة عني - ثمة أسئلة لسوء الحظ لم تجيبي عليها
مع ذلك. مثلاً، تلك الأسئلة التي تتناول كتاباتك.

لقد حلمت بك أخيراً مرة أخرى، ولقد كان حلمًا طويلًا إلا أنني لا
أكاد أذكر منه شيئًا. كنت في فيينا التي لا أذكر عنها شيئًا، ثم وصلت بعد
ذلك إلى براغ ونسيت عنوانك، لم أنس اسم الشارع فحسب، بل لقد نسيت
المدينة بأكملها أيضًا، نسيت كل شيء. فقط طفا على سطح ذاكرتي على
نحو ما اسم (شرايبر)، إلا أنني لم أر ماذا يمكنني أن أفعل به وعلى هذا فقد
فقدت نهائياً. وفي غمرة يأسٍ قمت بعدد من المحاولات الخبيثة التي
لم أدر كيف لم تنجح على الرغم من خبثها في تحقيق أي شيء، ولم أعد
أذكر من هذه المحاولات سوى واحدة فقط.

كتبت فوق أحد مظاريف الرسائل اسم (ميلينا)، وتحتته (أرجو
أن تسلم هذه الرسالة إليها، وإلا فإن وزارة المالية سوف تتكبد خسائر
فادحة)، وبهذا التهديد كنت آمل أن تتحرك كل إمكانيات الحكومة للعثور
عليك!

الخبث؟ لا تسمح لي لنفسك بأن تتهميني به لهذا. لقد كان ذلك في الحلم وحده. إنني لست شريراً إلى هذا الحد سوى في الأحلام فقط.

لقد أخرجت الرسالة مرة أخرى من داخل المظروف، فثمة متسع لها غيره، أرجوك قل لي مرة أخرى فحسب، - لا تقوليها دائماً، فلست أريد ذلك أيضاً، - قل لي أنت Du فحسب، عندما تخاطبيني، مرة أخرى.

إنني أقوم بشيء من قبيل الإحصاء. كتبت هذه الرسالة في يوم السبت، ووصلت يوم الثلاثاء ظهراً، على الرغم من عطلة الأحد، واليوم الثلاثاء، أنتزع من يد الخادمة ذلك الرباط البريدي البديع، وعليّ أن أرحل يوم الإثنين، وأتركها، أترك هذه الرسالة.

إنك بالغة الطيبة لانزعاجك بشأني، أنت تنتظرين الرسائل، نعم، في الأسبوع الماضي لم أكتب، انقضت بضعة أيام قلائل، لم أكتب لك فيها، لكنني كتبت لك يومياً ابتداء من يوم السبت، وعلى هذا فسوف تصلك الآن ثلاث رسائل، عند مقارنتها بما سبقها من رسائل، سوف تحمدين الفترة التي لم تصلك خلالها أية رسائل مني. ستتحققين من أن مخاوفك قد تحققت بصورة عامة، وإنني غاضب منك أيضاً، وأن ثمة أشياء لا أحبها في رسائلك على وجه الخصوص، وأن القصاصات قد ضايقتنني، وهكذا.

لا يا ميلينا، ليس لك أن تخشي شيئاً من هذا كله، ذلك أن العكس هو ما سوف يجعلك ترتعدين.

إنه لأمر بالغ الخطر أن يتسلم المرء رسالتك، وأن يكون عليه أن يرد

عليها بعقلي المؤرق. لا يمكنني أن أفكر في شيء يصلح لكي أكتب لك فيه، إنني أتسكع فحسب، هنا بين السطور، تحت ضياء عينيك، وتحت أنفاسك كما لو كنت أتنزه في يوم سعيد صحو، يظل صحوًا وسعيدًا، حتى عندما يكون الرأس متوعكًا، مرهقًا، وعندما يكون على المرء أن يرحل يوم الإثنين عن طريق ميونيخ.

المخلص لك

ف

هل عدت جريًا، متقطعة الأنفاس إلى المنزل بسببي؟ لكن، أأست مريضة، وهل لم يعد لي بعد أن أخاف عليك؟ إن هذه هي الحقيقة، إنني لم أعد أهتم بأمرك - لا، إنني أأبالغ الآن كما سأأبالغ فيما بعد، لكنه ذلك الاهتمام الذي كنت سأأبديه نحوك لو أنك كنت هنا تحت إشرافي، أسقيك اللبن الذي أشربه، وأنعشك كما أحاول أن أنعش نفسي باستنشاق الهواء الذي يهب عليّ من الحديقة - لا، سوف يكون هذا قليلًا جدًّا، أعني إنعاشك بصورة تفوق كثيرًا انتعاشي أنا.

قد لا أعادر هذا المكان يوم الإثنين لعدة أسباب، ولعلني أعادته بعد ذلك بقليل، سوف أسافر مباشرة، مع ذلك، إلى براغ، فلقد سيروا أخيرًا قطارًا سريعًا على خط بولتسانو - ميونيخ - براغ. إذا كنت ما تزالين ترغبين في أن تكتبي إليّ بضعة سطور، فيمكنك أن تفعلي ذلك، فهل لن تصلني هذه السطور، أظن أنها سوف تسبقني إلى براغ. فأمضي قدمًا في العناية بي.

ف

إن المرء بالغ الحمق حقًا، إنني أقرأ كتابًا عن التبت، وعندما بلغت وصف إحدى المستعمرات التي تقوم بالقرب من حدود التبت، في الجبال، أخذ قلبي فجأة يزداد ثقلًا. إن هذه القرية تبدو لي مقفرة بصورة موحشة للغاية وهي على هذا البعد من فيينا، إن ما أراه حمقًا هو فكرة، إن التبت بعيدة عن فيينا، فهل ستكون بعيدة حقًا؟

الخميس

ها أنت ترين يا ميلينا أنني أستلقي فوق المقعد الخشبي في الصباح، عاريًا، نصفني في الشمس، ونصفني الآخر في الظل، بعد ليلة مؤرقة بطولها تقريبًا. وكيف يتسنى لي أن أنام، وأنا، الخفيف كالريشة بالنسبة للنوم، أدور حولك باستمرار، وطالما كنت خائفًا (تمامًا كما كتبت أنت اليوم)، خائفًا حقًا من ذلك (الذي سقط في طوقي) خائفًا نفس الخوف الذي سمعناه عن الأنبياء، الذين كانوا أطفالًا ضعفاء (خائفين فعلاً، وإن يكن خوفهم هذا ما يزال في بدايته)، حين سمعوا صوتًا يناديهم، فخافوا وشقوا عصا الطاعة، ودقوا أقدامهم في الأرض، وأحسوا لحظتها بخوف يطير له العقل شعاعًا، لا بد أنهم قد سمعوا بلا شك، أصواتًا من قبل، لكنهم لم يفهموا كيف تأتي لهذه الرهبة أن تصدر عن هذا النداء بالذات، فهل كان ضعف آذانهم، أو كانت قوة الصوت هي السبب؟، كما أنهم لم يدركوا؛ لأنهم كانوا أطفالًا، أن ذلك الصوت كان قد ساد بالفعل، وأكد وجوده بذلك النذير السابق نفسه الذي أحسوه عند سماعه، والذي لم يثبت بعد بحدوثه مع ذلك، أي شيء يتعلق بأمر نبوتهم، ذلك أن الكثيرين قد سمعوا

ذلك الصوت، لكن جدارتهم بسماعه هو أمر يكتنفه الشك. فلكي يلزم المرء جانب الأمان، من الأفضل له أن ينكره بشدة، مقدّمًا - هذه إذن هي حالتي وأنا مستلقٍ هنا عندما وصلتني رسائلك.

ثمة صفة غريبة أظن أننا كلينا نشترك فيها يا ميلينا، ذلك أننا في غاية الخجل، والقلق، وتختلف كل رسالة من رسائلنا عن الأخرى على نحو ما، وترتعد كل رسالة عن الرسالة التي تليها، وترتعد أكثر من الرد. إنك لست كذلك بطبيعتك، من السهل أن يدرك المرء ذلك، وأنا، ربما كنت أنا أيضًا، مخالفًا لذلك بطبيعتي، إلا أن ذلك قد أصبح على الأغلب، هو طبيعتي الثانية بالفعل، إن حالتي هذه تختفي فقط عندما ينتابني اليأس، وأحيانًا عندما ينتابني الغضب، ولا حاجة بي إلى أن أقول إنها تزايدتني عندما أشعر بالخوف.

ينتابني أحيانًا إحساس بأننا كلينا في حجرة واحدة لها بابان متقابلان، وكل منا يقبض على مقبض أحد البابين، وما إن يطرف جفن أحدهما حتى يكون الآخر خارج الباب الذي يمسك بمقبضه، عندئذ لا يكون على الأول سوى أن ينطق بكلمة حتى يكون الآخر قد أغلق الباب خلفه، فلا تصبح رؤيته ممكنة. إنه سيفتح الباب ثانية بلا شك لأنها حجرة قد لا يتسنى للمرء أن يغادرها، فلو لم يكن الأول يشبه الثاني إلى هذا الحد، لو أنه كان هادئًا، أو لو أنه فقط تعمد ألا ينظر إلى الآخر، لو أمكنه بتؤدة أن يشرع في ترتيب الحجرة كما لو كانت مجرد حجرة كغيرها من الحجرات. لكنه بدلًا من أن يفعل ذلك، فعل ببابه نفس ما فعله الآخر تمامًا، حتى أن كليهما قد يكونان أحيانًا خارج البابين، بينما تبقى الحجرة البديعة خالية.

عن مثل هذه الحالة ينتج الكثير من سوء التفاهم المؤلم. تشكين
يا ميلينا من بعض الرسائل التي نفضتها جيداً فلم يسقط منها شيء، إلا
أنها، ما لم أكن مخطئاً، هي تلك الرسائل التي أحسست عند كتابتها أنني
قريب منك غاية القرب، وأن دمائي تألفك، وتحاول أن تروض دماءك.
إنها تلك الرسائل التي أحسست بنفسي فيها أغوص في أعماق الغابة،
وأحسست فيها بغاية الراحة، في ارتياحي، حتى أن المرء لا يريد في
الحقيقة أن يقول شيئاً سوى أن هناك في الأعالي، خلال قمم الأشجار،
يمكنه رؤية السماء، وهذا هو كل شيء. وطوال ساعة يظل المرء يردد
نفس الشيء ولا يوجد في هذا كله حقاً «كلمة واحدة لم يتدبرها المرء
تمام التدبر». غير أن ذلك لم يدم طويلاً مع ذلك، دقيقة على الأغلب،
وسرعان ما ارتفعت ثانية أصوات طبول الليل الساهر.

يجب أن تتدبري أنت أيضاً يا ميلينا، نوع الشخص الذي خطا نحوك،
إن رحلة الثمانية والثلاثين عاماً تستلقي خلفه (ولما كنت يهودياً فإن
الرحلة في حقيقتها أطول بالفعل من ذلك)، فلو أنني عند منعطف عارض
تبدى لي في طريقي، قد رأيتك، أنت التي لم أتوقع أن أراك مطلقاً، وأن
تجيء رؤيتي لك فوق ذلك متأخرة إلى هذا الحد، عندئذ لا يمكنني يا
ميلينا أن أصبح ملوِّحاً لك، ولا أن يهتف لك شيء في داخلي ولا أن أقول
آلاف الأشياء الحمقاء، التي لا أجد لديّ شيئاً منها (وأحذف الحماقات
الأخرى التي أحس أن لديّ منها ما يزيد على حاجتي)، أما عن حقيقة أنني
راكم فلعلني لم أكتشف تلك الحقيقة إلا من خلال رؤيتي لقدميك أمام
عيني مباشرة، فحسب، ومن تطويقي لهما بذراعي.

ولا تطالبيني بشيء من الإخلاص، يا ميلينا، فلا أحد يمكنه أن يطالبني بالإخلاص أكثر مما أطلب به نفسي، إلا أن أشياء كثيرة قد أفلتت مني. إنني واثق من ذلك، ولعل كل شيء يراوغني غير أن التشجيع في هذه المطاردة لا يدفعني، بل على العكس، فلعلني لا أستطيع عندئذ أن أخطو خطوة واحدة، فكل شيء يصبح على حين فجأة مجرد كذبة، ويحاصر الصيد الصياد، إنني أسير على مثل ذلك الطريق المحفوف بالمخاطر يا ميلينا.

إنك تقفين في ثبات بالقرب من إحدى الأشجار، صغيرة، وجميلة، وعيناك بتألفهما تفهران العالم الذي يعاني الآلام. إننا نلعب لعبة (الاستخفاء) فأنا أزحف من شجرة إلى أخرى في الظلال، إنني أسير في طريقي، وتناديني أنت وتبهييني إلى الأخطار، وتحاولين أن تبهي الشجاعة في نفسي، أنا المشدوه لخطوتي المتعثرة، تذكريني أنا (أنا!) بخطورة اللعبة - غير أنني لم أستطع أن ألعبها، سقطت، وها أنذا الآن مستلقٍ على الأرض، لا يمكنني أن أستمع في وقت ما إلى ذلك الصوت المزعج الذي يرتفع من أعماقي، وأن أستمع إليك، غير أنه يمكنني أن أستمع إلى الصوت الأول، وأن أستودعه لديك، لديك دون أي كائن آخر سواك في هذه الدنيا.

المخلص لك

ف

هذه المحاضرة التي تشغل صفحتي رسالتك يا ميلينا، تنبعث من أعماق القلب - القلب الجريح - (لقد جرحني ذلك - أليس هذا ما كتبته؟ - ولقد فعلت أنا ذلك حقًا، لقد جرحتك) ولقد بدا ذلك أمرًا بالغ البراءة ومدعاة للفخر، وكأنه لم يكن القلب وقد جرح، بل قطعة من الصلب قد طرقها المرء، يتطلب ذلك من المرء سلوكًا واضحًا، ويسيء تأويل قصده كذلك - ذلك أن «السخفاء» الذين يحسبون عليّ يحسبون عليك أيضًا، ولأوجه عندئذ هذا السؤال: متى حدث أن تدخلت بينكما؟ أين هو الحكم؟ وكيف يتسنى لي أن أكون لنفسي هذه الفكرة الخسيسة؟ ومن أنا حتى أدين الغير، أنا الشخص الذي أبدو في أي مجال يتطلب أن أكون واقعيًا كالزواج - العمل - الشجاعة - التضحية - النقاء - الحرية - الاكتفاء الذاتي - الصدق، أبدو في صورة أدنى بكثير في أي من هذه الأمور بالقياس إليكما، حتى أن مجرد الحديث في ذلك، يصيبني بالسأم. ومتى حدث أن تجرأت أنا على تقديم المساعدة الفعالة، وإذا كنت قد تجرأت، فهل كنت لأقدم هذه المساعدة؟

أسئلة وفيرة، كانت مستغرقة في النوم في العالم السفلي، فما الذي توسل إليها بالخروج إلى ضوء النهار؟ إنها أسئلة قاتمة وحزينة، وتجعل المرء مكتئبًا وحزينًا كذلك. لا تقولي لي أن ساعتين من الحياة، تزيدان قطعًا على صفحتين من الكتابة، (إن الكتابة أفقر، ولكنها أوضح) - وعلى هذا فقد أسيء تفسير قصدي، لا يهم، إن المحاضرة قد ألفت عليّ، وأنا لست بريئًا، إنني لست بريئًا بما يكفي، وهو ما يبدو لي أمرًا بالغ الغرابة،

أساسًا لأنه كان يجب الرد على الأسئلة السابقة بـ (لا)، وأبداً.

ثم تأتيني برقيتك العذبة، عزاء يعينني على مواجهة الليل، ذلك العدو العتيد (فلو لم تكن برقيتك بالعزاء الذي يفني تمامًا بحاجتي، فلا شك أن ذلك ليس خطأك، لكنها قسوة الليل، فهذه الليالي القصيرة الدنيوية، تبث عميقًا في نفس المرء بذور الخوف من الليل الأبدي). ومع أن الرسالة تحمل إليَّ عزاءً بالغاً ورائعاً، إلا أنها رسالة فريدة مفعمة غضبًا ينتشر في ثنايا صفحاتها. غير أن البرقية مع ذلك تبدو على العكس من تلك الرسالة ولا يبدو عليها أنها تدري شيئًا عن طبيعة الرسالة، غير أنني يمكنني أن أقول هذا يا ميلينا، عن البرقية: لو أنني، دون اعتبار لأي شيء آخر، قد حضرت إلى فيينا، وألقيت أنت تلك المحاضرة عليَّ (تلك المحاضرة التي كما قلت الآن لتوي، لا تتجاوزني، بل تلكزني عمداً، بقوة، وإن لم يكن ذلك بصورة مباشرة)، وجهًا لوجه - ولقد كانت تلك المحاضرة ستوجه إليَّ بصورة ما، وإن لم تكن في صورة كلمات، فلقد كانت ستوجه إليَّ في صورة أفكار، تشي بها نظرة، أو رمشة جفن، أو تضمين في ثنايا حديث آخر - عندئذ كنت سأنطح على وجهي أرضاً، ولم يكن ليوقفني ثانية على قدمي أي مجهود من جانبك، تبذله في تمرضي. فلو لم يحدث ذلك على هذا النحو، فلست أشك في أنه كان سيحدث بصورة أخرى أشد سوءاً. هل تفهمين، يا ميلينا.

المخلص لك

ف

ماذا عن خبرتك بالطبيعة البشرية يا ميلينا؟ لقد انتابني الشك بالفعل في خبرتك بها عددًا من المرات، عندما كتبت عن (فيرفل) مثلاً. فعلى الرغم من الحب الذي يتبدى فيما كتبتّه، ولعل ما كتبتّه عنه لم ينطو على شيء غير الحب، إلا أن ما كتبتّه لم يكن صحيحًا مع ذلك، فلو تجاهل المرء تجاهلاً تاماً جوهر شخصية فيرفل، وراح يعزف فقط على وتر وحيد هو التعريض ببدائته (التي تبدو لي بالمناسبة، مسألة لا مبرر للتعرض لها على الإطلاق، على أن فيرفل يزداد فيما أرى جمالاً وظرفاً من عام إلى عام، وإن كنت في الحقيقة لا أكاد أراه إلا رؤية عابرة)، ألا تعلمين أن البدناء من الناس هم وحدهم أهل الثقة؟ في هذه الأوعية سميكة الجدران وحدها يتسنى لكل شيء أن ينضج نضجاً تاماً، وهل تعلمين أن هؤلاء (الرأسماليين) الذين يشغلون أكبر حيز من (الفراغ)، محصنون، غاية الحصانة المتاحة للبشر ضد الخوف، والجنون، وأنهم قادرون على أن يمضوا بهدوء في أداء أعمالهم، وأنهم هم وحدهم، كما قيل ذات مرة هم النافعون في أنحاء العالم كله، باعتبارهم مواطنين عالميين، فهم يدفئون في الشمال، ويلقون ظلاً عريضاً في الجنوب (من الممكن أن يعكس المرء هذا القول بالطبع، إلا أنه لا يصبح قولاً حقيقياً عندئذ).

أما بالنسبة لليهود، أنت تسأليني عما إذا كنت يهودياً. ربما كان هذا السؤال مجرد مزحة فحسب، وربما كنت تسأليني فقط عما إذا كنت أُنتمي إلى أولئك اليهود القلقين. لا يمكنك على أية حالة باعتبارك مواطنة من براغ، أن تكوني في مثل سذاجة ماتيلدا، زوجة هاينز، في هذا الصدد. ولعلك لا تعرفين القصة. يبدو لي أن هناك بعض الأمور المهمة عليّ أن

أقصها عليك، ولا شك أيضًا في أنني سأذي نفسي على نحو ما، لا بالقصة، بل بمجرد سردها، غير أنك تستحقين على الرغم من كل شيء أن تستمعني مني مرة إلى شيء جدير بالسماع - هذه القصة يحكيها (مايسنر)، وهو شاعر بوهيمي - ألماني، وهو ليس يهوديًا؛ يحكيها في سيرته الذاتية. فلقد اعتادت ماتيلدا أن تضايقه بهجومها على الألمان، فقد قالت إن الألمان هم قوم خبثاء، صلفون، متعصبون لجنسهم، وتثيرهم توافه الأمور، وإنهم فضوليون، وإنهم باختصار أمة لا تطاق.

حتى قال لها مايسنر أخيرًا ذات مرة: «ولكنك لا تعرفين الألمان مطلقًا!». فهنري، لا يختلط على أية حالة، سوى بالصحفيين الألمان وحدهم، وهم هنا في باريس جميعًا من «اليهود!» فأجابته ماتيلدا قائلة: «أوه.... إنك تبالغ، فربما كان بينهم يهودي هنا، أو يهودي هناك (سيفرت) مثلاً-، قال مايسنر: «لا، إنه الوحيد غير اليهودي بينهم»، فقالت ماتيلدا: «ماذا؟ هل تعني بقولك هذا أن يتيليس مثلاً (وهو رجل طويل أشقر، قوي البنية) يهودي؟». قال مايسنر: «بالطبع إنه كذلك»، «لكن ماذا عن بامبيرجر؟» - «هو يهودي أيضًا!» و«أرنشتين؟»، «وأرنشتين كذلك!» وهكذا راحا يعددان جميع معارفهما، وأخيرًا استاءت ماتيلدا وقالت: «إنك تحاول أن تغيظني، ولعلك ستنتهي أيضًا إلى أن (كون) هو اسم لشخص يهودي، غير أن (كون) في نهاية الأمر، هو اسم ابن عم هنري، وهنري لوثري كما تعلم!»

عند هذا لم يجد مايسنر شيئًا ليقوله - وعلى أية حال، لا يبدو أنك تتوجسين خيفة من اليهود. إننا لو نظرنا إلى الجيل الأخير، أو الجيل

الأخير والوحيد من اليهود في مدننا، لبدا لنا الاختلاط بهم ضرباً من البطولة، و- لندع المزاح جانباً - لو أن فتاة بريئة قد قالت لذويها «إنني راحلة» ورحلت لتختلط بهؤلاء، لكان الأمر عندئذ شيئاً أخطر من رحيل (جان دارك) من قريتها.

قد تلومين اليهود على قلقهم البالغ، غير أن مثل هذا اللوم العام، إنما يكشف عن معرفة نظرية أكثر منها عملية بالطبيعة البشرية. معرفة نظرية أكثر، ذلك أن هذا اللوم، على أية حال، لا يناسب زوجك على الإطلاق بناء على وصفك السابق، وثانياً لأنني لا أراه لخبرتي منطبقاً على معظم اليهود، وثالثاً لأن مثل هذا اللوم ينطبق فحسب على الأفراد المنعزلين، غير أن هؤلاء أشد حدة، مثلي شخصياً. إن أغرب شيء هو أن ذلك اللوم هو لوم لم يصادف محله بصفة عامة. إن وضع اليهود المهدد، ذلك الشعور بعدم الأمان الذي ينبعث من داخلهم وشعورهم بعدم الأمان وسط الآخرين، يوضح جيداً، وقبل كل شيء ما يقوم في نفوسهم بأنه ليس لهم أن يمتلكوا سوى ما يقع في أيديهم، أو يقبضون عليه بأسنانهم. ذلك الشيء الذي تقع أيديهم عليه، أو تنطبق عليه أسنانهم والذي يتحدد فضلاً عن ذلك في صورة ملكيات صريحة، هو ما يعطيهم وحده الحق في الحياة، بالإضافة إلى شعورهم بأنهم لن يحصلوا مرة أخرى أبداً على ما يفقدونه ذات مرة، ذلك أن ما يفقدونه يسبح، بدلا من عودته إليهم، مبتعداً عنهم إلى الأبد. إن اليهود من جوانب عدة، بعيدة الاحتمال، مهددون بالأخطار، أو لنقل، حتى نكون أكثر دقة، ولنترك الأخطار جانباً، ونقول إنهم مهددون بالتهديدات. ثمة مثال يتصل بك عن نحو غير مباشر، كنت

قد انتويت بالفعل ألا أتحدث عنه (في وقت لم أكن قد عرفت فيه معرفة كافية)، غير أنني لا أجد ما يثقل ضميري لذكره لك، لأنه لن يحيطك علمًا بجديد، وإن كان سيوضح لك حب الأقارب، وإن كنت لن أذكر الأسماء والتفاصيل ما دام أنني لا أعرفها. كان من المفروض أن أختي الصغرى ستتزوج شخصًا تشيكيًا، مسيحيًا، وعندما أخبر ذلك الشخص إحدى قريباتك ذات مرة، بأنه ينوي الزواج من يهودية، قالت: «كل شيء إلا هذا، كل شيء إلا الاختلاط باليهود!» فتصورى هذا ما ميلينا...

إلى أين تراني أحاول أن أقودك بهذا كله؟، لقد ضللت طريقي إلى حد ما، إلا أن هذا لا يهم، ذلك أنك ربما كنت تتعقبيني، وعلى ذلك فقد ضل كلانا الآن. إن جمال ترجمتك يكمن فحسب في صدقها (انهريني ما دمت صادقة في هذا، في وسعك أن تفعلي أي شيء، غير أن أفضل ما يمكنك أن تفعليه، ربما كان هو التعنيف الذي توجهينه إليّ. يسعدني أن أكون تلميذك، وأن أرتكب الأخطاء طوال الوقت، فقط لمجرد أن تعنّفيني طوال الوقت. إن المرء ليجلس في مقعد الدراسة ولا يكاد يجرؤ على التطلع إلى أعلى فتتحنين أنت عليّ، ويتألق طرف أصبعك الذي ترفعين به احتجاجاتك، هل هذا صحيح؟) - حسنًا أن يكون هذا هو الصدق، وأن يكون لديّ إحساس باقتيادك من يدك خلفي بطول الممرات الأرضية المظلمة، المنخفضة، الكثيرة، ممرات القصة، التي لا نهاية لها على الأغلب (وهذا هو السبب في أن العبارات، عبارات طويلة لا نهاية لها، ألم تلاحظي ذلك؟)، تلك الممرات التي لا نهاية لها غالبًا (هل قلت شهرين فقط؟)، حتى يتتابك وهذا ما آمل فيه، الإحساس بالترايل عند التقائك

بالضوء الساطع، في نهاية الممر المؤدي إلى سطح الأرض.

مذكرة لأن أنطلق اليوم، أن أرخي اليوم تلك اليد التي تسعدني. غداً سأكتب ثانية، وأشرح بقدر ما يسعني أن أضمن ما قد ينتهي إليه الحال من ناحيتي، لماذا لن أحضر إلى فيينا، ولن أهدأ حتى أسمعك تقولين: إنه على حق.

المخلص لك

ف

أرجو أن تكتبي العنوان بوضوح أكثر قليلاً، فما أن تصبح رسائلك في داخل مظاريفها، حتى تصبح عندئذ ملكاً لي على الفور، وعليك أن تتناولي ممتلكات الغير بعناية أكثر، بشعور أكثر بالمسؤولية (هكذا!) ولديّ أيضاً انطباع ما، دون أن تكون لديّ القدرة الكافية لتحديد، انطباع بأن رسالة لي قد فقدت، قلق اليهود!، وهو بديل عن خوفي من أن تكون الرسائل قد وصلتني بسلام!

والآن سأقول شيئاً آخر أحقق في نفس الصدد. شيئاً أحقق، ذلك لأنني بسبيلي إلى أن أقول شيئاً اعتبره صحيحاً، بصرف النظر عن حقيقة أنه سيسبب لي ضرراً ما. وما تزال ميلينا عندئذ تتحدث عن القلق وتلطمني على صدري لطمة، أو تسألني (ما الذي سيجعل الصوت والإيقاع مترابطاً إلى هذا الحد، موحياً بنفس معناه في اللغة التشيكية): (Jste Zid) (هل أنت يهودي؟) ألا تلاحظين كيف تتراجع قبضة اليد في الـ (Jste) تتراجع

لكي تتجمع قوة عضلاتها؟ ثم في الـ (Zid)، تهوي اللطمة الخاطفة، المتعشة التي لا تخطئ هدفها؟ هذه هي الآثار الجانبية التي توحى بها اللغة التشيكية للأذن الألمانية.

لقد سألتني ذات مرة، على سبيل المثال، كيف أمكنني أن أجعل إقامتي هنا تعتمد على استلام رسالة، ورددت على نفسك في الحال بقولك:

«لست أدري» (nechápu) كلمة غريبة في اللغة التشيكية، وهي تبدو أكثر من ذلك غرابة عندما تصدر عن فمك، إنها كلمة بالغة القسوة والجمود، كلمة جافة، عديمة الرحمة وشبيهة فوق هذا كله بكسارة البندق، فالفكان يصران فوق بعضهما ثلاث مرات في أثناء نطقها - أو إن شئنا الدقة، فإن المقطع الأول منها يبدو وكأنه محاولة للإمساك بالبندقية، مجرد الإمساك بها فقط، ثم يفتح المقطع الثاني من تلك الكلمة، الفم على اتساعه، فتدخل البندقية في داخله عندئذ، ويكسرها المقطع الثالث في النهاية، ألا تسمعين صرير الأسنان^(١)، ثم إغلاق الشفتين بعد هذا كله في النهاية، تلك الحركة التي تمنع الآخر من أن يحاول القيام بأدنى اعتراض يحاول به تفسير الأمر، وهو ما يجب حدوثه بالفعل، لو كان الآخر مثلاً، لا يفعل سوى الثرثرة كما أفعل أنا الآن، عندئذ يعتذر الثرثار قائلاً مرة أخرى: «إن المرء، على أية حال، لا يثرثر إلا عندما يشعر مرة بشيء من السعادة».

(١) ربما كانت المقاطع الثلاث في هذه (الكلمة) تشير أيضاً إلى الحركات الثلاث التي يأتيها (الحواريون) فوق ساعة براغ. الوصول، وإثبات وجودهم ثم الرحيل الغاضب (تذليل كافكا).

بالمناسبة لم تصلني منك اليوم رسالة، وما أردت أن أقوله في الحقيقة بعد هذا كله، لم أقله لك بعد، ربما قلته لك في فرصة أخرى. يسرني كثيرًا جدًا أن أتلقى منك شيئًا غداً، ذلك أن الكلمات الأخيرة التي سمعتها منك قبل صفق الباب - إن صفق الأبواب أمر بالغ الفظاعة في كل الأحوال - كانت مزعجة.

المخلص لك

ف

الإثنين

والآن ها هو التفسير الذي وعدتك به بالأمس:

إنني لا أريد أن (ساعديني يا ميلينا وحاولي أن تفهمي أكثر مما أقوله!) لست أريد أن (ليس هذا ترددًا) أحضر إلى فيينا، ذلك أنني لا أحتمل الجهد العقلي، إنني مريض عقليًا، وإن مرض الرئة ليس سوى فيضان مرضي العقلي. إنني مريض على هذا النحو منذ السنوات الأربع أو الخمس التي انقضت في محاولتي الأوليين للخطبة (في البداية لم أستطع أن أفسر لنفسي بهجة رسالتك الأخيرة، ثم أدركت تفسير ذلك فيما بعد وإن ظلت أتجاهله. فأنت على أية حال، شابة صغيرة للغاية، لعلك لم تبلغ بعد الخامسة والعشرين من عمرك، وربما كنت في الثالثة والعشرين، بينما أنا في السابعة والثلاثين من عمري، أو أكاد أكمل الثامنة والثلاثين على وجه الدقة، أي أنني أكبرك بجيل تقريبًا، وقد ابيضّ

شعري بفعل الليالي الماضية وآلام الصداق). لن أعرض عليك قصتي الطويلة بغاباتها المتكاثفة من التفاصيل، تلك التفاصيل التي ما أزال أخافها كطفل، وإن لم تكن لديّ قدرة الطفل على النسيان. إن ما آلت إليه محاولات خطوبتي الثلاث بصفة عامة لا يعني سوى أنني كنت مخطئاً في كل شيء. لا شك في أنني كنت مخطئاً غاية الخطأ. لقد تسببت في تعاسة الفتاة في كلتا المراتين - إنني أتحدث الآن فقط عن الأولى، فلا يسعني الحديث عن الثانية، فهي فتاة بالغة الحساسية، حتى أن أية كلمة، وإن كانت أرق الكلمات، قد تكون من أقسى الإساءات التي توجّه إليها، وهو شيء أفهمه حق الفهم - ولأنه لولاها وحدها بالفعل (تلك الفتاة التي لو كانت قد لمست شيئاً من الإصرار من جانبي لكانت قد ضحت بنفسها) ما تسنى لي أن أذوق طعم السعادة المتصلة، ولا عرفت الهدوء، أو التصميم، وقد تلاشت قدرتي على مواجهة الزواج، على الرغم من أنني كنت قد أكدت لها تكراراً، ومن تلقاء نفسي عزمي على الزواج، وعلى الرغم من أنني أحببتها أحياناً حباً عنيفاً متهوراً، وعلى الرغم من أنني لم أعرف وقتها شيئاً أحب إليّ من فكرة الزواج في حد ذاتها. ولقد أنفقت خمس سنوات أطرق تلك الفتاة بمطرقتي، أو أطرق نفسي، إذا شئت - حسناً، كانت لحسن الحظ فتاة يهودية - بروسية، مولدة، غير قابلة للكسر، كانت خليطاً قوياً لا يقهر بينما لم أكن أنا ذلك الشخص القادر على رفع المطرقة. على أنها على أية حال، لم يكن أمامها سوى أن تعاني فحسب، بينما كنت أنا أهوي عليها بمطرقتي وأعاني.

كفى لا يمكنني أن أكتب أكثر من هذا، ولا أن أشرح أكثر من هذا،

على الرغم من أنني قد بدأت فحسب، وعلى الرغم من أنني سأشخص
المرض العقلي، وسوف أذكر أسبابًا أخرى لعدم حضوري. لقد وصلتني
برقية:

«مكان اللقاء كارلسباد، في الثامن من الشهر. أرجو أن تتصل برسالة»،
أعترف بأنني قد صدمت، عندما فضضت هذه البرقية، صدمة شديدة على
الرغم من أن من كان يختفي خلف تلك البرقية كانت أكثر المخلوقات
تنزهاً عن الأنانية وأكثرهم هدوءاً وأكثرهم تواضعاً، وعلى الرغم من أن
ذلك كله هو ما كنت أريده. لا يمكنني أن أوضح ذلك الآن، ذلك لأنني لا
يمكنني أن أشير إلى تشخيص للمرض. غير أنه من المؤكد تمامًا في هذه
اللحظة: أنني سأرحل من هنا يوم الإثنين. إنني أتطلع إلى البرقية من وقت
لآخر، ولا يمكنني أن أقرأها سوى بصعوبة بالغة كما لو كان ثمة سر يكمن
تحت كلماتها، سر يدفع الكلمات إلى السطح لتتضح من تحتها الكلمات
الحقيقية التي تتضمنها البرقية: «ارحل عن طريق فيينا!» أمر صريح، لكن
بدون ذلك الرعب الذي تتركه الأوامر في النفس عادة. لن أفعل ذلك، وإن
لم يبد لي أي معنى من الناحية العملية، لاتخاذ الطريق الطويل عن طريق
«لنتس» ثم الطريق الأطول منه عن طريق (فيينا)، بدلاً من الطريق القصير
الذي يمر (بميونيخ). إنني أجري اختباراً ما، فثمة عصفور في الشرفة،
يتوقع أن أقذف إليه ببعض فتات الخبز من على المائدة. توقف الطائر
خارج الحجرة وراح يتطلع من هناك إلى الطعام في العتمة، إن التوتر
يستولي عليه، إنه يتواجد هنا أكثر مما يتواجد في مكانه من الشرفة، لكن
هنا الظلام، وبجانب الخبز أوجد أنا، تلك القوة الغامضة، على أنه قفز مع

ذلك إلى العتبة، قفزات قليلة أخرى عليه أن يقفزها، إلا أنه لم يجرؤ على أن يتقدم أكثر من ذلك، وفي خوف مفاجئ طار بعيداً. لكن أية طاقة تلك التي تدفع ذلك الطائر متواضع التركيب، ذلك أنه لم يلبث أن عاد ثانية بعد فترة قصيرة وراح يتفحص الموقف ونثرت أنا بعضاً من فتات الخبز حتى أسهل عليه محاولته في الحصول عليه، على أنني لو لم أطارده، سواء كنت فعلت ذلك عن عمد أو بغير عمد (وهذه هي كيفية عمل القوى الغامضة)، بحركتي المفاجئة، لكان قد حصل على الخبز.

الحقيقة أن عطلتي تنتهي في نهاية يونيو، غير أنني أحب كمرحلة انتقال - إن الجو يزداد حرارة هنا، وهو أمر لن يضايقني كثيراً في حد ذاته - أن أقضي بعضاً من الوقت في مكان ما غير هذا المكان، في الريف - وتريد هي أن ترحل أيضاً، وكان المفروض أن نلتقي هناك الآن، سأبقى بضعة أيام قلائل، وقد أبقى بضعة أيام قلائل أخرى في كونستنتينباد بصحبة والدي، ثم بعد ذلك أذهب إلى براغ. عندما تمر ببالي كل الرحلات، ثم أفكر في حالتي العقلية، أشعر عندما أعقد مقارنة بينهما بنفس ما قد يشعر به نابليون لو أنه، وهو يعد خطته لحملته على روسيا، قد أتيح له أن يعلم مقدماً بالنتائج الخاسرة لتلك الحملة في لحظة إعداده لها.

وعندما وصلتني رسالتك الأولى، منذ فترة قصيرة، وأظن أن ذلك كان قبل موعد الزفاف المحدد مباشرة (ذلك الزفاف الذي كنت أنا نفسي قد قمت بالفعل بكل ترتيباته) فقد سررت لوصول تلك الرسالة منك، وأطلعته عليها، وفيما بعد - لا لن أمضي في ذلك ولن أمزق رسالتي هذه أيضاً مرة أخرى. يبدو أن لنا بعض الطباع المشتركة فيما عدا أنني لا أجد

موقدًا في متناول يدي، وأنني أخشى أن أكون - فثمة دلالة على ذلك أو دالتين - قد أرسلت في إحدى المرات إلى الفتاة ردًا على إحدى رسائلها، رسالة كتبها على ظهر أحد رسائلي تلك التي لم تتم، ولم أرسلها إليك. على أن هذا كله لا يهم، فلم يكن يسعني أن أحضر إلى فيينا حتى ولو لم تصلني برقية، على العكس، لقد حفزتني البرقية على القيام بالرحلة. من المؤكد أنني لن أحضر، غير أنني من ناحية أخرى - ولن يحدث هذا - قد أجدني لدهشتي البالغة في فيينا. عندئذ لن أكون في حاجة لا إلى الإفطار ولا إلى العشاء، بل سأجدني في حاجة إلى محفة أستلقي فوقها بعضًا من الوقت.

وداعًا. لن يمر هذا الأسبوع هنا في سلام.

المخلص لك

ف

لو رغبت في أن تكتبي إليَّ شيئًا، فاكتمي لي على العنوان التالي (كارلسباد، شباك البريد). لا، لا تكتبي شيئًا حتى أصل براغ.

ما هو نوع تلك المدارس الهائلة التي تقومين بالتدريس فيها؟ هل تضم مائتين من الطلبة، أم تراها تضم خمسين طالبًا. بودي أن أجد لنفسني مقعدًا بجوار إحدى النوافذ في الصف الأخير، لمدة ساعة، أرفض بعدها أي لقاء معك (ذلك اللقاء الذي لن يتم بحال من الأحوال)، وأرفض جميع الرحلات، و..... - كفى، إن هذه الورقة البيضاء التي لا تبدو لها

نهاية، تخطف عيني المرء، وهذا هو السبب في انسياق المرء في الكتابة. كان ذلك في الظهر، على حين تقترب الساعة الآن من الحادية عشرة مساءً، لقد رتبت كل شيء على النحو الوحيد الممكن في هذه اللحظة. لقد أبرقت إلى براغ بأنني لن أتمكن من الحضور إلى كارلسباد، وسوف أوضح ذلك في شيء من التضارب، هو غاية في الصراحة من ناحية، وإن لم يبد لائقاً من ناحية أخرى، وكنت قد قررت الذهاب في البداية، بسبب حالتي هذه إلى كارلسباد، هذا هو أسلوب في التعامل مع كائن إنساني حي. إلا أنني لا أستطيع أن أتمالك نفسي، ذلك أنني لا يمكنني في كارلسباد أن أتحدث، ولا أن أبقى صامتاً، أو أنني على نحو أكثر دقة سوف أتكلم. على أية حال حينما أكون صامتاً، ذلك أنني لست الآن سوى كلمة وحيدة، على أنني لا أريد على الرغم من ذلك أن أرحل عن طريق فيينا، بل عن طريق ميونيخ يوم الإثنين، إلى أين، لست أدري، إلى كارلسباد، مارينباد، وحيداً على أية حال، وسوف أكتب لك، و(ربما)^(١) تلقيت رسائل، خلا ثلاثة أسابيع، في براغ فقط.

السبت

إنني أسأل نفسي، إذا كنت قد فهمت أن ردي عليك كان مقدراً له أن يكون كما اتفق له، نظراً لحالتي العقلية في صورتها العامة - نعم لقد كان ردي غاية في الرقة، وكان غاية في المراوغة، وكان متألقاً غاية التآلق بعد هذا كله. إنني أسأل نفسي طوال الوقت، نهائياً وليلاً، هذا السؤال، مرتعداً

(١) مشطوبة في الأصل.

أمام ردك، أسأل نفسي عبثًا هذا السؤال، كما لو كنت قد أمرت بأن أدق مسمارًا في قلب حجر أسبوعًا بأكمله دون أن أستريح في أثناء الليل، بل أظل على الدوام طارقًا، ومسمارًا في وقت معًا، يا ميلينا.

يشاع- ولست أصدق ذلك- أن الاتصالات بالتيروول عن طريق السكك الحديدية سوف تتعطل الليلة بسبب الإضرابات.

السبت

لقد وصلت رسالتك، وصلتنني نفحة رسالتك، ووجدت في نهاية ما جاء بها- أن بها فقرة واحدة رئيسية: أنك قد لا تتمكنين من الكتابة إليّ بعد الآن في براغ.

هذا هو ما سوف أؤكدك قبل أي شيء آخر غيره، حتى يتسنى للعالم كله أن يراه دون بقية ما جاء في رسالتك- أنت أيضًا، يا ميلينا. هذا هو إذن ما يهدد به المرء شخصًا ما، ويعرف- على الأقل- من على البعد، بواعث هذا الشخص أيضًا، ويدعي المرء، فوق ذلك، أنه مغرم بهذا الشخص.

لكنك ربما كنت على حق في ألا تكتبي إليّ بعد الآن. فقرات عديدة في رسالتك تشير إلى هذا الاضطراب. لا يمكنني أن أتوسل بأي شيء ضد هذه الفقرات. إنها هي نفسها تلك الفقرات التي أعرف عندها حق المعرفة، وأتحقق عند قراءتها على نحو واضح، من أنني معلق على ارتفاع هائل، غير أن الهواء على هذا الارتفاع، يعد لهذا السبب نفسه أمرًا بالغ

الخطر بالنسبة لرثتي، وعليّ أن أستريح.

المخلص لك

ف

سأكتب لك غداً.

الأحد

ثمة جديد اليوم لعله أن يفسر عديداً من الأشياء يا ميلينا (يا له من اسم غني، له وقع ثقيل، في أغلب الأحيان، حتى ليصعب التقاطه، لم أكن أحبه كثيراً في البداية، ذلك أنه كان يبدو لي اسماً يونانياً أو رومانياً قد ضل طريقه إلى بوهيميا، فاغتصبه التشيكوسلوفاكيون، ولفقوا نطقه، لكنه قد تحول شكلاً ولوناً، إلى امرأة، امرأة يحملها المرء بين ذراعيه إلى خارج العالم، وخارج النيران، لست أدري أية نيران، بينما تضغط هي نفسها، راضية مطمئنة، إلى ذراعيك.... اللكنة القوية فقط في الـ (ي)^(١) سيئة، ألا يواصل ذلك الاسم قفزاته مبتعداً عنك؟ أو لعلها فقط تلك القفزات التي قفزتها أنت نفسك بكل العبء الذي يجثم فوق كاهلك؟).

أنت^(٢) تكتبين نوعين من الرسائل، لست أعني تلك الرسائل المكتوبة بالحبر، وتلك الرسائل المكتوبة بالقلم الرصاص، على الرغم من أن الكتابة بالقلم الرصاص في ذاتها توحى بأشياء عديدة، وتجعل

(١) التشديد في لفظة (ميلينا)، على المقطع الأول منها.

(٢) هنا يستخدم كافكا مرة أخرى ضمير الشخص الثاني المفرد (Du) أنت.

المرء يرهف أذنيه، إلا أن هذا الاختلاف في الحقيقة، ليس اختلافًا قاطعًا. إن الرسالة الأخيرة التي تتضمن خريطة الشقة مثلاً، مكتوبة بالقلم الرصاص، إلا أنها قد أسعدتني، وكان ما سعدت به (قدري سنّي يا ميلينا، وإنهاك قواي، والخوف الذي يستولي عليّ فوق هذا كله، وقدري شبابك، ونضارتك، وجرأتك، وخوفي الذي يتزايد كما ترين، لأنه يعني الانسحاب من العالم، لهذا تزداد وطأته، ولهذا يتكاثر الخوف، ويشد، لكن جرأتك على عكس ذلك تعني الزحف إلى الأمام، فلو ازداد ضغط زحفك الذي يدفعك إلى الأمام، ترعرت جرأتك، وازدهرت)، كان ما سعدت به هي رسائلك المسالمة، حتى ليتمكنني أن أجلس عند أقدام تلك الرسائل، سعيداً سعادة لا حد لها، فهي غيث انصبّ فوق الرأس الملتهبة، لكن عندما وصلتني تلك الرسائل الأخرى، يا ميلينا، حتى ولو كانت طبيعتها أكثر لباقة من سابقتها (لم يمكنني مع ذلك، لضعفي، أن أنفذ إلى ما يشيع فيها من سعادة إلا بعد أيام)، هذه الرسائل تبدأ بألوان التعجب (وأنا، على هذه المسافة البعيدة، مع ذلك)، وتنتهي برعب لا أدري كنهه، عندئذ أبدأ في الارتعاد فعلاً يا ميلينا، كما لو كنت أقف تحت جرس من أجراس الخطر، فلا يسعني قراءة تلك الرسائل، وإن كان لا بد لي من قراءتها، كما يشرب الحيوان العطشان، وهو يشعر بالخوف، بينما يتزايد خوفه أكثر فأكثر، لهذا أبحث عن قطع الأثاث التي يمكنني أن أختبئ تحتها مرتعداً، أُصَلِّي، وأنا لا أكاد أعي شيئاً من صلواتي في أحد الأركان، عساك أن تندفعي طائراً في الهواء، خارجة من النافذة، كما اندفعت فجأة داخله من خلالها في رسالتك، ذلك أنني لا يمكنني على أية حال، أن أحتمل عاصفة

في حجرتي. في تلك الرسائل لا بد أن يكون لك رأس (الميدوزا) الهائل، ذلك أن ثعابين الرعب تفح حول رأسك، على حين تفح في الحقيقة حول رأسي أنا، ثعابين الخوف فحيحًا أشد ضراوة.

(في الهامش الأيسر): وصلتني رسالة الجمعة يوم الأربعاء، أما الرسائل المسجلة المستعجلة فهي أبطأ من الرسائل العادية.

رسالتك التي وصلتني يوم الأربعاء، وتلك التي وصلتني يوم الخميس. لكنك طفلة، طفلة صغيرة (إنني بالفعل من يخاطب الميدوزا، على هذا النحو)، يبدو عليك كما لو كنت تحملين كل فكاهااتي السخيفة (التي تدور حول- اليهودي - و«لست أدري»، و«الكرامية») محمل الجد، لقد أردت فقط، على أية حال، أن أضحك قليلاً، على أن كلاً منّا يخطئ بسبب الخوف، فهم الآخر، فأرجو ألا تجبريني على الكتابة إليك بالتشكيكية، لم يكن ثمة أثر مطلقاً للملام في كتابتي، يمكنني بالأحرى أن ألومك لأن لديك مثل هذا الظن الحسن، الذي يبلغ هذا الحد البعيد باليهود الذين تعرفينهم هذه المعرفة الكافية (بمن فيهم أنا) - فثمة يهود آخرون! - أحياناً أود لو أحشر هؤلاء اليهود جميعاً (وأنا أيضاً بينهم) في أحد أدراج دولا ب الغسيل، وأنتظر قليلاً، ثم أفتح الدرج قليلاً، لأرى إن كانوا قد اختنقوا جميعاً، فإن لم أجدهم قد اختنقوا، أغلقت الدرج، و... أمضي في تلك المحاولة إلى نهايتها.

ما قلته عن (محاضرتك) كان قولاً جاداً (Ernst) في الحقيقة (ها هي لفظة Ernst - ^(١) تحشر نفسها في الرسالة، المرة بعد المرة)، ربما كنت

(١) Ernst (ارنست) هو اسم زوج ميلينا.

أظلمه - ولا أحتمل التفكير في هذا - ظلمًا بالغًا، غير أن شعوري بأنني متورط معه الآن أكثر فأكثر، وأنني أشد ما أكون التصاقًا به، إنه شعور مساوٍ في عنفه، لشعوري بأنني أظلمه ظلمًا بالغًا، وغالبًا ما أقول في (الحياة والموت). فلو أمكنني فقط أن أتحدث إليه! إلا أنني أخشاه، فهو متفوق عليّ. أتعلمين يا ميلينا، إنك عندما تذهبين إليه فإنك تخطين بذلك خطوة واسعة إلى أسفل، بالنسبة لمستواك - لكنك إذا خطوت نحوي فسوف تتردين في الهاوية. هل تدريكين ذلك؟ لا، لم يكن ذلك هو (مستوي الرفيع) كما جاء في تلك الرسالة، بل (مستواك أنت) - كنت أتحدث عن (المحاضرة)، ولقد حملت كلامي عنها أيضًا محمل الجد. إنني واثق من أنني لست مخطئًا فيما يتعلق بذلك.

علمت ثانية بمرضك، لنفرض أن عليك يا ميلينا أن تذهبي إلى فراشك، ولعلك ستأوين إليه، وربما كنت تستلقين فوقه، بينما أكتب أنا هذه الرسالة ألم أكن قبل مضي شهر، رجلاً أفضل مما أنا عليه الآن؟، لقد كنت مشغولاً بأمرك (ولم يتعد هذا الانشغال حدود تفكيري فحسب)، وكنت قد علمت بمرضك، ولم أعد الآن كذلك، ذلك أنني الآن أفكر في مرضي وحده، وفي صحتي، مع أنهما كليهما، سواء كان مرضي أو كانت صحتي، هما أنت.

ف

خرجت اليوم في رحلة قصيرة، بصحبة صديقي الحميم، المهندس، لمجرد أن أنتزع نفسي من قلب ذلك الجو الناعس. وكتبت لك أيضًا بطاقة من هناك، غير أنني لم أستطع أن أوقع عليها، ولا أن أرسلها. لا يسعني أن أكتب لك بعد الآن كما لو كنت أكتب إلى غريبة.

الإثنين

في وقت مبكر من هذا الصباح، قبل أن أستيقظ بفترة قصيرة (وقد استيقظت أيضًا بعد فترة قصيرة من استغراقي في النوم). حلمت حلمًا مزعجًا، ولا أقول مرعبًا (فقد كان أثر الحلم قد تبخر سريعًا لحسن الحظ). إنني مدين أيضًا، في الحقيقة، لهذا الحلم، بتلك الفترة القصيرة التي استغرقت فيها في النوم، بما أن المرء لا يستيقظ من مثل ذلك الحلم إلا بعد أن يكون الحلم قد بلغ غايته، ولا يمكن للمرء أن يتشغل نفسه منه قبل ذلك، فهو يمسك بالمرء من لسانه.

كان ذلك في فيينا، بقدر ما يمكنني أن أتخيلها في أحلام يقظتي، استعدادًا لذهابي إليها (وفي أحلام يقظتي تلك تتألف فيينا فحسب، من ميدان صغير هادئ، ويقع منزل في أحد الجانبين، وفي مواجهته يقوم الفندق الذي سأنزل فيه، وعلى يساره تقوم المحطة الغربية التي وصلت إليها، وإلى يساره (أيضًا) تقوم محطة فرانتس - يوزيف التي سأرحل منها، نعم، ويوجد في الطابق الأرضي من المبنى الذي أقيم فيه، مطعم، بالغ الاستعداد يقدم الأطعمة النباتية. هو المطعم الذي أتناول فيه وجباتي، لا لمجرد تناول الوجبات بل لكي أذهب إلى براغ، وقد ازداد وزني بعض الشيء.

لماذا أقول هذا؟ إنه لا يمت بالفعل إلى الحلم بأية صلة، (إنني فيما يبدو ما زلت أخشى ذلك الحلم)، حسنًا، لم يكن الأمر تمامًا على هذا النحو، فلقد كانت مدينة عادية، وكان الوقت يقترب من المساء، كانت المدينة مبتلة، ومظلمة، وثمة إحساس بحركة هائلة للمرور في شوارعها،

وكان يفصل المنزل الذي أقيم فيه عن ذلك الذي تقيمين فيه، حديقة عامة مربعة الشكل.

لقد وصلت فجأة إلى فيينا، وصلت على رأس رسائلتي التي كانت ما تزال في طريقها إليك (وهو ما أحزنني فيما بعد)، ومع ذلك فقد تنهى إليك نبأ قدومي، وكان المفروض أن نلتقي، غير أنني لم أكن وحيداً لحسن الحظ (على الرغم من أنني كنت أضيق بذلك في الوقت نفسه)، فقد كنت وسط جماعة قليلة العدد، وكانت ثمة فتاة أيضاً، كانت ترافقني فيما أظن، غير أنني لا أعرف شيئاً من التفاصيل التي تتعلق بأمر هؤلاء، فلقد ظهروا أمامي جمعياً على نحو ما، كشهود في صفي. فلو كانوا قد لزموا الصمت فقط، ذلك أنهم كانوا يتكلمون بلا انقطاع، ربما يتناولون شئوني الخاصة في حديثهم، ولقد تناهت إلى سمعي همهمة عصبية فحسب، غير أنني لم أفهم منها شيئاً، كما أنني لم أرغب في أن أفهم شيئاً. وقفت إلى يمين منزلي، على حافة الرصيف، أطلع إلى منزلك. كان عبارة عن فيلا منخفضة، لها سلم جميل بسيط من الحجر في واجهتها، ينتهي إلى الطابق الثاني.

والآن، كان الوقت فجأة وقت تناول الإفطار، وكانت المائدة قد وضعت في الشرفة، ولمحت من على البعد كيف وصل زوجك، وجلس إلى اليمين فوق مقعد من الخيزران، وهو ما يزال يغالب نومه، وكان يتمطى بذراعيه المفرودين على اتساعهما، ثم ظهرت أنت وجلست خلف المائدة، بحيث كان من الممكن أن يراك المرء رؤية تامة. ليس بكامل التفاصيل، بالطبع، مع ذلك، فلقد كانت المسافة بعيدة، كان من الممكن رؤية الخطوط الخارجية التي تحدد هيئة زوجك العامة بوضوح

أكثر، لست أدري كيف، على حين بقيت أنت كيأنا يتنازعه اللونان الأزرق والأبيض، كيان فياض، متألق، وكانت ذراعاك أيضاً مفرودين على اتساعهما، وإن لم يتضح من ذلك أنك كنت تتمطين، بل كانت حركة ذراعيك المفرودين توحى بشيء أبعد من ذلك، كانت حركة ترحيب.

وبعد ذلك مباشرة، لكن... لقد وجدني ثانية في الليلة التي سبقت ذلك، وكنت تسيرين في الشارع برفقتي، كنت تقفين على الرصيف، وكانت إحدى قدمي على الطريق، وكنت أمسك بيدك، ثم بدأ بيننا عندئذ حديث ما، سريع مقتضب العبارات، ولا معنى له، وقد اتصل ذلك الحديث في كلمة منك وأخرى مني ردّاً عليها، اتصل بغير توقف حتى نهاية الحلم. لا يمكنني أن أتذكر ذلك الحوار، وإن كنت أذكر فقط العبارتين الأوليين، والأخيرتين، أما لب الحوار فكان عبارة عن قطعة من العذاب لا يمكن نقلها إليك الآن بواسطة الكلمات.

قلت مسرعاً، بدلاً من التحية التي كان يجب أن أستقبلك بها «لقد كنت تتوقعين أن أبدو في صورة غير التي أبدو بها الآن»، تعبير ما كان قد ارتسم على وجهك، هو ما دفعني إلى أن أتفوه بذلك، وأجبتني أنت بقولك: «لكي أكون صريحة معك غاية الصراحة»، أقول إنني كنت قد توقعت أن تبدو أكثر ظرفاً، (ولقد استعملت في الواقع تعبيراً شائعاً في فيينا، غير أنني قد نسيتَه).

كانت هاتان هما العبارتين الأوليين (في هذا المقام يتبادر إلى ذهني هذا السؤال: هل تحققت من أنني لا أحس الإيقاع^(١) مطلقاً، وأنني

(١) جملة تقابلها في الألمانية (satz) وهي تعني أيضاً (حركة) في الاصطلاح الموسيقي.

لخبرتي لا أظن أن لمثل عجزني التام عن الإحساس به وجودًا بالمرّة في أي مكان؟).

بهاتين العبارتين في الحقيقة كان كل شيء قد تقرر، فما الذي يمكن أن يكون قد تبقى؟ غير أن الجدل كان قد بدأ عندئذ بشأن لقاء آخر، ذلك الجدل الذي كان يتبدى فيما كان يصدر عنك من التعبيرات بالغة الغموض، وفي تساؤلاتي الملحة التي لا تنتهي عند حد.

عندئذ تدخل رفاقي، وصرح أحدهم بأنني كنت قد قدمت أيضًا إلى فيينا لزيارة إحدى المدارس الزراعية في ضواحي فيينا. وبدا عندئذ أن الوقت سيتسع لي على الرغم من كل شيء للقيام بهذه الزيارة. بدا لي أنهم كانوا يحاولون أن يتخلصوا مني رحمة بي. ومع أنني كنت قد تبينت ذلك إلا أنني على الرغم من ذلك توجهت نحو المحطة لا ألوي على شيء، يداعبني الأمل دون شك، في احتمال أن يكون لإظهار رغبتني الحاسمة تلك في الرحيل تأثير ما عليك، وبلغنا تلك المحطة القريبة جميعنا، ثم اتضح عندئذ أنني قد نسيت اسم البلدة التي توجد بها تلك المدرسة. توقفنا أمام جداول مواعيد القطارات الضخمة، بينما راح شخص ما يمر بأصبعه على أسماء المحطات وهو يسألني إن كانت هذه المحطة أو تلك، هي المحطة التي أريدها، غير أن المحطة التي كنت أريدها لم توجد بين تلك المحطات جميعًا.

وسنحت لي الفرصة في تلك الأثناء لكي أرقبك بعضًا من الوقت، ولم يكن مظهرك ليغير من الأمر شيئًا في الحقيقة بالنسبة لي. كان الشيء الوحيد الذي يعينني هو كلمتك. على أنك لم تكوني على أية حال كعهدي

بك، كنت تلوحين لي أشد سمره، بدا لي وجهك نحيلًا، إلا أن من لها مثل هذين الخدين الممتلئين لا يمكن أن تكون في مثل قسوتك (لكن هل كان الموقف قاسيًا بالفعل إلى هذا الحد؟)، ثوبك الذي بدا لي غريبًا جدًا وكان من نفس قماش بدلتني، وكان أقرب ما يكون إلى القماش الرجالي، لم أحبه لهذا، في الحقيقة، مطلقًا غير أنني تذكرت عندئذ فقرة وردت في إحدى الرسائل (تقول الأغنية لست أملك سوى ثوبين فحسب، لكنني أبدو جميلة ما أزال^(١))، إلى هذا الحد البالغ، كانت قوة تأثير عبارتك في نفسي، حتى أنني قد أحببت ثوبك غاية الحب منذ تلك اللحظة.

ثم كانت النهاية، كان رفاقي ما يزالون يبحثون في جداول مواعيد القطارات فتحنينا جانبًا، وتناقشنا.

وكان ما انتهت إليه المناقشة شيئًا من هذا القبيل: إن اليوم التالي هو الأحد، بدا لك ذلك أمرًا يكاد يدفعك إلى الكراهية، فكيف أمكنني أن أفترض أن وقتك سيتسع لي يوم الأحد، بدا مع ذلك أنك قد أذعنت أخيرًا، وقلت إنك ستحاولين أن تعطيني من وقتك أربعين دقيقة (لم يكن أشد ما يثير الرعب في نفس المرء في هذا الحديث مجرد كلماته بالطبع، بل كانت لهجته المستخفية، إحساس المرء البالغ باللا جدوى في تلك اللهجة، ذلك الإحساس الذي كان يتأكد في مجادلته المتصلة (لا أريد أن أحضر، فإذا حدث أن تمكنت من الحضور على الرغم من ذلك فما الذي ستجنيه من حضوري؟، لكنك ما إن قررت تدبير تلك الدقائق الأربعين، حتى وجدتني لا أكاد أقوى على الانفصال عنك، إنك لا تعلمين شيئًا، فعلى الرغم من

(١) لعلها أغنية شعبية.

كل ما بدا عليك من الاستغراق في التفكير، لم يسعك أن تتخذي قرارًا، وتساءلت أنا في النهاية قائلاً: «هل سأنتظرك طوال اليوم؟»، فأجبتني قائلة: «نعم» وتركنتني إلى جمع من الناس الذين كانوا يقفون هنالك في انتظارك. كان معنى إجابتك هو أنك لن تحضري مطلقاً وأن الامتياز الوحيد الذي أمكنك أن تقدميه إليّ هو السماح لي بانتظارك. قلت في صوت خفيض «لن أنتظر»، ولما بدا لي أنك لم تسمعي ما قلت، وأن ما قلته كان هو ورقتي الأخيرة في نهاية الأمر، صحت في يأس مردداً ما قلته عندما استدرت مبتعدة عني. غير أن ذلك لم يغير من الأمر شيئاً بالنسبة لك، ذلك أنه لم يبد عليك أدنى اهتمام بما قلت فترنحت أنا على نحو ما راجعاً إلى المدينة.

ثم وصلتني بعد مضي ساعتين رسائل وزهور، ودُّ وسلوى.

المخلص لك

ف

العناوين ليست واضحة مرة أخرى يا ميلينا، ولقد أعاد موظفو البريد كتابتها وإكمالها. كانت العناوين بعد أن التمتست منك توضيحها أول مرة مدهشة، كانت مجموعة من النماذج الخطية الجميلة المتنوعة، وإن لم تكن واضحة مع ذلك. فلو كان لمكتب البريد عيناى، لما أمكنه أن يقرأ سوى عناوينك وحدها، لكنه لما لم يكن سوى مكتب بريد.....

الإثنين

أنت على حق، الآن فقط عندما كنت.... - لقد وصلت الرسائل، يا للأسف، وصلتي متأخرة في المساء، وأريد في صباح الغد الباكر أن أخرج في نزهة قصيرة مع المهندس إلى (بولتسانو) - قرأت اللوم الذي توجهينه إلى (الطفل الصغير)، لقد قلت لنفسني بالفعل: كفى، لا يمكنك أن تواصل قراءة الرسائل الليلة، لا بد لك من أن تنالي قسطاً من النوم، إن شئت أن تمضي في نزهتك القصيرة في صباح الغد الباكر - انقضى بعض الوقت قبل أن أمضي في القراءة، وقبل أن أفهم، وقبل أن ينحل التوتر، وقبل أن أدفن وجهي بزفرة ارتياح في صدرك، لوجودك هنا (ولست أعني بذلك وجودك الجسدي وحده). إن هذا معناه بلا شك أنني مريض، أليس كذلك؟ إنني أعرفك على أية حال، وأعرف أيضاً أن (الطفل الصغير) ليس أسلوباً بالغ السوء في مخاطبة شخص ما.

يمكنني أن أعتبر هذه العبارة هي أيضاً مجرد مزحة، إلا أن كل شيء يمكن كذلك أن يتحول بالنسبة لي إلى تهديد. فلو حدث أن كتبت إليّ قائلة: «لقد أحصيت بالأمس عدد المرات التي وردت فيها (واو) العطف، في رسالتك، ولقد وجدت منها ما يقرب من كذا، فكيف وانتك المرأة على أن تكتب إلي (و)، وأن تكتبها علاوة على ذلك بمثل تلك الكثرة؟» - ثم لعلني أن أكون، - بشرط أن تلتزمي بجديتك - قد اقتنعت بأنني قد وجهت إليك إساءة ما، وأن أغرق في تعاسي البالغة لهذا. ولعل ثمة إساءة تكون قد وجهت إليك بالفعل على أية حال، من الصعب أن يراجع المرء نفسه لكي يتأكد من هذا.

كما لا يجب عليك أن تنسي أن المزاح والالتزام بالجد، وإن كان من السهل التفريق بينهما في سهولة، إلا أنه عندما يقع في روع ذوى الشأن من الناس أن حياة المرء الخاصة تعتمد عليهما، هنا لا يبدو التفريق بين المزاح والجد بمثل السهولة التي سبق لها أن تبدى بها. هنا في الحقيقة، تكون مجازفة المرء بالغة الخطورة عندما يمعن في تدقيق نظرته الفاحصة، وما إن تنهياً للمرء مثل تلك النظرة البالغة التدقيق، حتى يكون قد أسلم نفسه كلية للضياح. في هذا المقام، لم أكن أتمتع بالقوة، حتى في لحظات قوتي، في الصف الأول، من المدرسة الابتدائية، مثلاً. فطباختنا، وهي امرأة نحيلة، ضئيلة، معروقة، لها أنف مدبب، وخطود مجوفة، مصفرة البشرة وإن كانت شديدة، ونشطة ومتفوقة، كانت تقودني كل صباح إلى المدرسة. كنا نعيش في ذلك المنزل الذي يفصل (الساحة الصغيرة) عن (الساحة الكبيرة). وعلى هذا فقد عبرنا (الساحة) أولاً، ثم سرنا عبر (تاينجاسه) واخترقنا نفقاً ذا سقف مقبب في ممر (سوق اللحم)، منحدرين نحو (سوق اللحم). وذات يوم بعد أن انقضى ما يقرب من العام، ونحن نقطع كل صباح نفس الطريق قالت الطباخة في اللحظة التي غادرنا فيها المنزل، إنها سوف تخبر المدرسة بشقاوتي الزائدة في المنزل. ولعل وصف الشقاوة الزائدة لم يكن لينطبق عليّ في الحقيقة، فقد كنت عنيداً على نحو ما، وخائفاً وحزيناً، وسيئ الطبع، وكان من الممكن اختلاق شيء ما من بين هذا كله، وتبليغه إلى المدرسة. كنت أعلم هذا، لذا لم يبد لي تهديد الطباخة مما يستهان به، ومع ذلك فقد اعتقدت أن شيئاً ما قد يطرأ على جدية هذا التهديد، في طريقنا إلى المدرسة، ذلك أنه كان طريقاً بالغ الطول (ينبع

ذلك القلق، وتلك الجدية العمياء من مثل خفة القلب الصببانية تلك التي
تزداد في مثل تلك الحالة شيئاً فشيئاً، فقط عندما لا تكون الطريق بمثل
ذلك الامتداد البالغ). كان الشك يراودني أيضاً، خاصة عندما كنا نجتاز
ساحة (ألتشتاتر)، فيما إذا كانت الطباخة، تلك المرأة التي، وإن كانت
توحي بالاحترام في أوساط الخدم، ستجروء على أن تتحدث إلى المدرسة،
تلك الشخصية التي تفرض على العالم احترامها. ربما كنت قد تفوهت
بشيء من هذا، على حين كانت الطباخة تجيبني دائماً باقتضاب، بشفتيها
الرفيعتين، القاسيتين، قائلة إنني لا أصدق أنها ستفعل ذلك إلا أنها ستفعله.
وفي مكان ما، على مقربة من مدخل ممر سوق اللحم، (هو مكان ما يزال
ذا أهمية تاريخية بالنسبة لي بصورة ما،..... في أي حي من أحياء براغ
قضيت طفولتك؟)، تملكني تماماً الخوف من عاقبة ذلك التهديد، كانت
المدرسة في حد ذاتها كابوساً لا أقوى على احتماله، والآن تحاول الطباخة
أن تزيد الأمر سوءاً، ورحت أتوسل إليها، فهزت رأسها، وكلما أمعنت في
التوسل، اتضح لي هول ما كنت أتوسل من أجله، ونضخم الخطر أمام
عيني، فتوقفت في مكاني، ورجوتها أن تغفر لي، جرجرتني خلفها في
الطريق، وهددتها بانتقام والدي، فضحكت، (هنا) بدت لي غاية في القوة،
فتشبثت بأبواب الحوانيت، وبأحجار الزوايا، ورفضت أن أخطو خطوة
واحدة، ما لم تعلن صفحها عني، وتشبثت بردائها، أجذبها إلى الخلف
(ولم تلزم هي الأخرى بدورها جانب الحلم)، بل ظلت تجرجرنني خلفها،
وهي تؤكد لي بلهجة قاطعة إنها ستخبر المدرسة عن هذا أيضاً، وتأخر بنا
الوقت، ودقت ساعة (كنيسة ياكوب) معلنة تمام الثامنة، وبلغت أسماعنا

رنات أجراس المدرسة، وأسرع الأطفال الآخرون بالجري، وكان أشد ما يزعجني دائمًا هو خوف التأخير، كان علينا أن نسرع نحن أيضًا بالجري، وكنت طوال الوقت نهبًا للتفكير في أنها: ستقول، لن تقول - حسنًا، لم تقل شيئًا، لم تتفوه مطلقًا بشيء، غير أن الفرصة كانت أمامها دائمًا في أي وقت، لكي تقول ما تشاء، بل إن الفرص لتزايد أمامها يومًا بعد يوم (لم أقل شيئًا بالأمس، لكنني سأقول اليوم حتمًا)، لم تقلع عن ذلك مطلقًا وكانت أحيانًا - تصوري هذا يا ميلينا - تدق قدمها في الأرض، غضبًا مني، وكان يتصادف وجود بائعة الفحم هناك، تتطلع إليها حينذاك. يا لها من حماقات يا ميلينا!، وكم يبدو ارتباطي بك وثيقًا، بكل الطباخات، والتهديدات، وكل ذلك الغبار الرهيب، الذي أثارته سنابك الأعوام الثماني والثلاثين، حتى استقر في رئتي.

لم أقصد في الحقيقة أن أخبرك بهذا كله، أو أنني على الأقل لم أقصد أن أخبرك به على هذه الصورة. لقد تأخر بي الوقت، ويجب عليّ أن أكف عن الكتابة، لكي آوي إلى النوم، ولن أتمكن من الاستغراق في النوم، لأنني قد توقفت عن الكتابة إليك. لو راودتك الرغبة، في أي وقت، في أن تعرفني النهج الذي كانت تسير عليه طفولتي المبكرة، فسوف أرسل إليك من براغ تلك الرسالة الهائلة، التي كتبتها إلى أبي، منذ ستة شهور، وإن لم أسلمها إليه بعد.

وسوف أرد على رسالتك غدًا، فإذا تأخر بي الوقت في المساء، فسوف أرد بعد غد.

سوف أبقى بضعة أيام أخرى لأنني قد نبذت زيارة والدي في

(فرانتسباد)، على الرغم من أن أحدًا لا يمكنه بسهولة أن يطلق على ذلك
(الاسترخاء في أركان الشرفة) نبذاً.
ومرة أخرى أشكرك على رسالتك.

ف

الثلاثاء

اليوم في الصباح الباكر، حلمت بك مرة أخرى. كنا نجلس بجوار
بعضنا البعض، وكنت تبعدينني في غير غضب، بل كنت تبعدينني عنك
بود، وكنت غارقاً في تعاسي. لا بسبب إبعادك لي، بل كنت أحس التعاسة
لأنني كنت أعاملك كأية امرأة صامتة أخرى، ولأنني كنت قد فشلت في
أن أسمع ذلك الصوت الذي تنهى إليّ صادراً عنك، ذلك الصوت الذي
تحدث إليّ ببلاغة، ولعل تعاسي لم يكن مرجعها فشلي في أن أسمع ذلك
الصوت، بل عجزني عن إجابته.

انصرفت مبتعداً، ويأسي يفوق ما أحسسته من يأس في حلمي الأول.
تذكرت في هذا الصدد شيئاً كنت قد قرأته ذات مرة، في مكان ما، هو ما
يلي، وإن يكن على شيء من الغموض:

«حبيبتني نهر هائج يتدفق فوق سطح الأرض، نهر يطوقني الآن، ومع
ذلك فهو لا يصطحب هؤلاء الذين يطوقهم، بل أولئك الذين يتطلعون».

لك

(الآن، حتى اسمي فقدته، فقد أخذ

ينكمش طوال الوقت فأصبح الآن: لك)

الأربعاء

وصلتني رسالتك معاً عند الظهر، ولم يكن الوقت يسمح بقراءتهما، بل بنشرهما حتى يتسنى للمرء أن يمرغ وجهه على صفحاتهما، وأن يفقد صوابه، وإن بدا لي الآن أنني قد فقدت بالفعل بعضاً من صوابي، وعليّ لهذا أن أحفظ بالبقية الباقية منه، لأطول فترة ممكنة. وما يلي هو كيف واجهت سنواتي اليهودية الثماني والثلاثين بسنواتك المسيحية الأربع والعشرين:

كيف يمكن ذلك؟ وأين هي القوانين التي تحكم العالم، وأين هم جند السماء جميعاً؟ لقد بلغت الثامنة والثلاثين من عمرك وقد نال منك التعب كما لم ينل ممن لم يتقدم مطلقاً في العمر، أو أنك على نحو أكثر دقة: لست متعباً بالفعل، في حقيقة الأمر، لكنك قلق، تخشى أن تخطو خطوة على هذه الأرض، التي تنتشر فوقها الكمائن، التي أعدت لاصطياد الإنسان، وهذا هو السبب في أنك تجهد في أن تظل قدماك كلتاهما في الهواء دائماً، في وقت معاً. إنك لست متعباً، لكنك خائف من ذلك التعب اللانهائي، الذي سوف يعقب ذلك القلق اللانهائي، والذي (وأنت يهودي، على أية حال، وتعرف ما هو الخوف!) يمكن تجسيده للرؤية، أوضح ما يكون في صورتك كشخص مختل العقل يحدق أمامه في الفراغ، في حديقة مستشفى المجاذيب، خلف ميدان كارلسبلاتز.

حسناً، هذا هو إذن وضعك، لقد اشتركت في العديد من المناوشات، وعلى هذا فقد كدرت كلاً من الصديق والعدو على حد سواء (ولم يكن هنالك بالفعل، سوى الأصدقاء فقط، هم هؤلاء الطيبون الأعزاء، ولم

يكن ثمة أعداء لك)، وأصبحت لهذا مريضًا بالفعل، أصبحت واحدًا من هؤلاء الذين يرتعدون عندما تقع أعينهم على مسدس يشهره في وجوههم طفل، والآن، الآن فجأة تشعر بشعور من وجهت إليه الدعوى للاشتراك في معركة لتحرير العالم كله، وسوف يبدو لك هذا أمرًا بالغ الغرابة، أليس كذلك؟

تذكر أيضًا، أنه ربما كانت أفضل فترة في حياتك كلها، هي تلك الفترة التي ربما لم تتحدث عنها بصراحة إلى أي شخص بالفعل، وهي تلك الشهور الثمانية التي قضيتها في إحدى القرى القريبة منذ ستين، حيث ظننت هناك أنك قد تخلصت من كل شيء، وحيث انشغلت فقط، بما لم يكن بينك وبين نفسك محلًا للتساؤل. هناك، حيث عشت طليقًا، بلا رسائل، وبغير ذلك الاتصال الذي دام خمس سنوات ببرلين عن طريق البريد، وحيث عشت هناك في حماية مرضك، حين لم يكن عليك أن تغير كثيرًا مما بنفسك، بل كان عليك فقط أن تتعقب مرة أخرى - بمزيد من الحزم - آثار الخطوط الخارجية الضيقة التي تحدد طبيعتك (فوجهك على أية حال، تحت شعرك الرمادي، لم يطرأ عليه تغير ذو بال، منذ أن كنت في السادسة من عمرك).

لم تكن هذه هي النهاية التي انتهيت إليها للأسف، خلال الشهور الثمانية عشرة الأخيرة، لم يكن يسعك - بصعوبة بالغة - سوى أن تغطس في هذا الاتجاه إلى عمق أبعد من هذا (أستثني هنا الخريف الماضي الذي ناضلت خلاله مخلصًا من أجل الزواج)، ولم يكن يسعك أن تخرج رجبك خلفك مخلوقًا بشريًا آخر، فتاة طيبة، تستهلك نفسها في الأنانية، وتهبط

بك إلى أعماق أبعد، لا، ليس أبعد، بل هي أعماق لا مخرج منها، حتى ولو إلى القرار.

حسنًا، والآن تدعوك ميلينا بصوت يتطرق إلى عقلك، وإلى قلبك بنفس العمق، ولا تعرفك ميلينا بالطبع، فقد خطفت بصرها بضع قصص قليلة، وبضع رسائل، إنها كالبحر، جبارة كالبحر بمياهه التي تمتد إلى غير حد، وإن كان، وهذا هو عيبه، يتقهقر بكل جبروته، وينزل على رغبة القمر الميت هناك، على ذلك البعد اللامتناهي. إنها لا تعرفك ولعل لديها شعورًا صادقًا خفيًا يجعلها ترحب بحضورك، وإن حضورك بالفعل سيهرها في التو، شيء يمكنك أن تتيقن منه، فلعل هذا إذن أن يكون، يارقيق الروح، هو السبب في رغبتك عن الذهاب، لأنك تخشى أن يحدث لها شيء من هذا؟

لكن لنفرض أن لديك مئة سبب آخر خاص، يمنعك من الذهاب (ولديك بالفعل ما يمنعك)، وأن لديك، بالإضافة إلى ذلك، سببًا آخر لا يتعلق بك وحدك، هو ذلك السبب الذي يتلخص في أنك لن تتمكن من مخاطبة زوج ميلينا، وأنت لن تقوى حتى على مجرد رؤيته، وأنت لن تقوى أيضًا، وبفس الدرجة، على أن تتحدث إلى ميلينا، أو أن تراها حيث لا يكون زوجها حاضرًا. لو أننا فرضنا هذا كله، لبقى مع ذلك اعتباران آخران ليواجهها ما سبق أن سلمنا به جدلاً.

أولهما، عندما قلت أنك ستحضر، لعل ميلينا ألا تكون لديها الرغبة في حضورك، لا لتردها، بل لإرهاقها الواضح، ولعلها ستسمح لك بكل سرور وارتياح أن ترحل لو شئت.

لكن ثانيهما: هو رغبتك في مجرد الذهاب إلى فيينا، ولنر ما يحدث! إن ما يشغل بال ميلينا هو فتح الباب! ولسوف يفتح الباب بالفعل، لكن بعد ذلك؟ بعد ذلك سيقف هنالك في فتحته كائن ما، نحيل، على شفتيه ابتسامة ودية (وستعلو وجهه الابتسامة طوال الوقت، ابتسامة ربما كان قد ورثها من إحدى العمات المسنات، اللواتي يتسمن على الدوام، وإن لم تفعل أي منهن ذلك عن قصد، لكنهن يتسمن ببساطة لارتباكهن)، وبعد ذلك سيجلس ذلك الكائن حيث اعزم أن يجلس، وبهذا يكون التكلف قد بلغ غايته بالفعل، ذلك أنه لا يبدو أن ذلك الكائن سيتحدث كثيرًا، فسوف يفتقد الحيوية اللازمة لذلك، (بالأمس قال جاري الجديد على مائدة الطعام في مجال الحديث عن الغذاء النباتي الذي يتناوله الرجل الصامت: «أعتقد أن اللحوم لا غنى عنها مطلقًا، كعنصر أساسي في غذاء من يمارس العمل الذهني»)، كما أن ذلك الكائن لن يشعر، حتى بالسعادة، ذلك أنه سيفتقد الحيوية اللازمة لممارسة مثل ذلك الشعور، أيضًا.

ترين من هذا، يا ميلينا، أنني أتحدث بصراحة، إلا أنك تتمتعين بالذكاء وستدركين طوال الوقت، أنني وإن كنت أقول الحقيقة (الحقيقة الكاملة، الصادقة، بحذافيرها)، إلا أنني أتحدث، على الرغم من ذلك في صراحة بالغة. في مقدوري على أية حال، أن أحضر بدون هذا الإعلان، وفي مقدوري أن أنبهك، دون أن أتوسل إلى ذلك بمثل هذه الضجة التي أثيرها الآن، فإن كنت لم أفعل ذلك، فلا معنى لهذا، سوى أنه دليل آخر على صدقي، أو دليل آخر على ضعفي.

سأبقى أسبوعين آخرين؛ لأنني أشعر بالخجل، وهو شعوري الغالب،

وأخاف من العودة بهذه النتيجة التي انتهى إليها علاجي. إن الضيق الذي أشعر بأنني سأواجهه عند عودتي إلى منزلي، وإلى عملي بصفة خاصة، لن يسببه سوى توقعهم هناك، عند عودتي، شيئاً يقرب من الشفاء التام، في نهاية هذه العطلة.

بالإضافة إلى العذاب الذي تسببه لي تلك الأسئلة: كم بلغ وزنك في هذه المرة؟ على حين أن وزني قد نقص لا. تقتصد! (توجه إليّ هذه الكلمة، إشارة إلى بخلي)، وإنني أدفع فاتورة البنسيون كاملة، إلا أنني لا أستطيع أن أتناول ما يقدمونه لي من الطعام ونكات عديدة من هذا القبيل. وجدت أنك ما زلت ترغيبين في حضوري، في نهاية الأسبوعين، رغبة صريحة، كتلك التي صرحت لي بها يوم الجمعة، فسوف أحضر عندئذ.

المخلص لك

ف

السبت مرة أخرى

يجب أن نكف عن كتابة هذه الرسائل التي تشطب بعضها بعضاً، يا ميلينا، إنها تدفعنا إلى الجنون، إن المرء لا يكاد يعرف ما كتبه، ولا ما أجاب به، ويرتعد طوال الوقت، أيا كان الأمر. إنني أفهم لغتك التشيكية غاية الفهم، ويمكنني كذلك أن أسمع الضحكة، إلا أنني أنقب في رسائلك، أنقب حتى بين الكلمة والضحكة، ثم أسمع الكلمة فقط، وعلاوة على ذلك، فإن طبيعتي هي الخوف.

لا يمكنني أن أقطع بما إذا كنت ما تزالين ترغبين في رؤيتي بعد رسالتي إليك يومي الأربعاء والخميس. إن الرابطة التي تربطني بك، هي رابطة أعرفها) فأنت تنتمين إليّ حتى ولو قدر لي ألا أراك ثانية على الإطلاق) - رابطة أعرفها بقدر ما تنقطع صلتها بذلك الشعاع من الخوف الذي لا يمكنني أن أسبر غوره، غير أن ما يربطك بي هو ما لا أعرفه مطلقاً، ذلك أن تلك الرابطة التي تربطك بي، تنتمي كلية إلى الخوف. لكنك لا تعرفيني يا ميلينا، وأكرر هذا القول.

(في الهامش الأيسر) لا، أنت لا تفهميني، أيضاً، يا ميلينا، فلقد كانت (المسألة اليهودية) على أية حال، مجرد نكتة سخيفة.

فيما يتعلق بي، لعلك ترين أن ما يحدث لي، هو حدث خطير. إن عالمي يتهاوى، إن عالمي يتعالى، ويرقب (وهذا هو أنا) كيف تحينه أنت. لست أرثي للانهييار، فلقد كان مجرد انهيار وسط موكب الانهييار، إلا أن ما أرثي له حقاً، هو نهوضه، يؤسفني افتقاري إلى القوة، يؤسفني أنني ولدت، أرثي لضوء الشمس.

كيف ستمكن من أن نواصل الحياة؟ لو أنك قلت (نعم)، ردّاً على رسائلي، فلا يجب عليك عندئذ أن تواصل حياتك في فيينا، فهذا مستحيل.

ميلينا، أنت بالنسبة لي، لست امرأة، أنت فتاة لم أر مثلها أبداً من قبل، لست أظن لهذا أنني سأجرؤ على أن أقدم لك يدي أيتها الفتاة، تلك اليد الملوثة، والمعروقة، المهترئة، المترددة، التي تتناوبها السخونة والبرودة.

ف

بخصوص ساعي بريد براغ، أراها خطة فاشلة، فسوف تجددين فقط بيتًا خاويًا، هو مكتبي، بينما أكون جالسًا في تلك الأثناء في رقم ٦ ساحة ألتشتاتر، في الطابق الثالث، إلى إحدى المناضد ووجهي بين يدي.

الأربعاء

من الصعب قول الصدق، فعلى الرغم من أنه لا يوجد سوى (صدق) واحد فقط، لكنه صدق مفعم بالحياة، وعلى هذا فإن له وجهًا متغيرًا، ممتلئًا حيوية: «وهو ليس وجهًا جميلًا على أية حال، ليس جميلًا في الحقيقة، لكنه قد يبدو جذابًا في بعض الأحيان».

لو أنني قضيت الليل كله من مساء الإثنين حتى صباح الثلاثاء في الإجابة على رسالتك، لكان ذلك مرعبًا. لقد استلقيت على فراشي، كما لو كنت قد تمددت فوق آلة تعذيب، لقد قضيت الليل كله في الرد عليك، في الشكوى إليك، قضيته محاولًا أن أخيفك حتى تبتعدي عني، وكنت ألعن نفسي (كان السبب في هذا أيضًا أنني كنت قد تسلمت رسالتك في الحقيقة في ساعة متأخرة من المساء، وأنني كنت وأنا في أحضان الليل، متأثرًا غاية التأثير، ومرتاحًا إلى الإجابة على ما جاء فيها من التساؤلات الجادة).

ثم رحلت في الصباح الباكر إلى بولتسانو، فأخذت القطار الكهربائي إلى كلوبنشتاين، على ارتفاع ١٢٠٠ متر، واستشقت، وإن لم يكن بكل طاقتي، هواء نقيًا يميل إلى البرودة، أمام بداية سلسلة جبال دولومايت، ثم كتبت لك

في طريق عودتي ما أنسخه لك الآن، حيث وجدت أن ما كتبتك لك، كان شيئاً بالغ الحدة، كما يبدو لي اليوم على الأقل، وعلى هذا فالأيام تتفاوت:

أصبحت وحدي أخيراً، فقد بقي المهندس في بولتسانو، وأنا في طريق عودتي. إنني لم أتألم كثيراً من حقيقة أن المهندس والطبيعة كانا قد اندسا بيني وبينك، ذلك أنني لم أكن مع نفسي، لقد أمضيت مساء الأمس حتى الساعة الثانية عشرة والنصف معك، أكتب إليك ثم بعد ذلك كنت معك بأفكاري، ثم ظللت مستلقياً في فراشي حتى السادسة صباحاً، وكنت قد استغرقت أثناء ذلك في النوم بضع دقائق قليلة فقط، ثم انتزعت نفسي من الفراش، كما ينتزع غريب غريباً من فراشه، وكان هذا كله حسناً، ذلك أنني لم أكن لأفعل غير هذا سوى التسكع بلا هدف، وقضاء اليوم هناك في ميران.

لا يعنيني كثيراً أنني لم أكن في كامل وعيي في أثناء هذه الرحلة، وأن هذه الرحلة ستبقى في ذاكرتي فقط كحلم غامض إلى حد ما. كانت الليلة شبيهة بهذه؛ ذلك أنك برسالتك (إن لك لنظرة ثابتة وإن لم يبد أن لهذا أهمية خاصة، مع أن الناس يتجولون دائماً في الشوارع، ويتهجمون على نظرة المرء، لكنك تتمتعين بشجاعة تنطق بها نظرتك في مواجهة ذلك التهجم وتتمتعين فوق هذا كله بالقوة على أن توجهي نظرتك إلى ما هو أبعد من هذا، وهذه النظرة إلى البعيد هي أكثر الأشياء أهمية، وإنك لتتمتعين بقدرتك على توجيه هذه النظرة)، قد أيقظت كل الشياطين القديمة التي تنام بعين مغلقة واحدة، وبعينها الأخرى المفتوحة تتحين الفرصة، تلك الفرصة التي تبدو، على الرغم من الرعب الذي تثيره، حتى

ليتصبب المرء عرقًا باردًا (وأقسم لك أن ذلك العرق لا يتصبب من شيء آخر سواها، سوى تلك القوى غير المحسوسة)، فرصة طيبة على الرغم من هذا، وصحية، وإن المرء ليتطلع إليها، إلى تلك الشياطين ويعلم أنها هناك، ومع ذلك فإن تفسيرك لنصيحتي بأن (عليك أن تغادري فيينا) ليس تفسيرًا بالغ الدقة. إنني لم أكتب ذلك دون تدبر، كما أنني لست عاجزًا عن تحمل العبء المادي (دخلي ليس كبيرًا، لكنني أعتقد أنه يكفيني معًا، ولا يعني هذا بالطبع، أن كفايته تغطي أيضًا احتمالات المرض)، كما أنني مخلص، علاوة على ذلك، في حدود قدرتي على التفكير والتعبير (ولقد كنت هكذا دائمًا على الرغم من أنك كنت أول من شملني بنظرة العطف التي شجعتني على أن أبقى هكذا). إن ما أخافه، ما أخافه وعيناي مفتوحتان على اتساعهما، بعد أن غرقت في أعماق خوفي، عاجزًا حتى عن محاولة النجاة (لو أمكنني أن أستغرق في النوم، كما أغرق في خوفي على هذا النحو، فلن أكون حينئذ على قيد الحياة) هو تلك المؤامرة التي تقوم في داخلي ضد ذاتي، تلك المؤامرة وحدها هي ما أخشاه، وهذا ما سوف تفهمينه بصورة أوضح بعد قراءة رسالتي إلى أبي، وإن كنت لن تفهمي ذلك منها تمام الفهم مع ذلك؛ لأن تلك الرسالة قد وجهت في إحكام بالغ نحو هدفها) وهي مؤامرة لعلها قد قامت على أساس أنني في مباراة الشطرنج الهائلة، التي لا دور لي فيها سوى دور حصان، بل دور أهون منه بكثير، أجدني الآن خلافًا لكل القواعد المتبعة في اللعبة، وعلى حسب اللعبة، راغبًا في احتلال مكان الوزير - أنا (الحصان) وذلك الشيء الذي لا وجود له، والذي لا أهمية مطلقًا لدوره في المباراة-

وربما كنت راغبًا أبعد من هذا في أن أحتل مكان (الملك) نفسه، وربما راودتني الفكرة في أن أحتل وحدي رقعة الشطرنج كلها، وهكذا لو أنني كنت حقًا قد أردت ذلك، لكان حتمًا أن يتم هذا بطريقة أخرى أبعد ما تكون عن الإنسانية.

هذا هو السبب في أن الاقتراح الذي اقترحته عليك، له بالنسبة لي أهمية تفوق كثيرًا أهميته بالنسبة لك، ذلك أن هذا الاقتراح هو الشيء الوحيد المؤكد الآن، الخالص من الشوائب، وهو الشيء الوحيد الذي يسعدني سعادة كاملة.

كان هذا هو الحال بالأمس، سأقول لك اليوم مثلاً، إنني لن أحضر قطعاً، إلى فيينا، لكن لما كان اليوم هو اليوم، وكان الغد هو الغد، فسوف أسمح لنفسي بشيء من الحرية. لن يدهشك أمري بحال من الأحوال، كما أنني لن أتأخر عن الحضور أكثر من يوم الخميس، فلو وصلت إلى فيينا فسوف أرسل لك برقية (لا يمكنني أن أقابل أحداً سواك، أعلم هذا)، من المؤكد أنني لن أصل قبل يوم الثلاثاء، سوف أصل إلى المحطة الجنوبية وإن كنت لا أعلم حتى الآن إلى أين سأذهب بعد ذلك عندما أبلغها، وعلى هذا فسوف أبقى بالقرب من المحطة الجنوبية. يؤسفني أنني لا أعرف أين تقومين بإلقاء دروسك في المحطة الجنوبية، فيمكنني أن أنتظر هناك في الساعة الخامسة (لا بد أنني قد قرأت هذه الجملة من قبل في إحدى القصص الخرافية، في مكان لا يبعد كثيراً عن الجملة التالية: إن لم يكونوا قد ماتوا فلا شك أنهم ما يزالون اليوم على قيد الحياة).

رأيت اليوم خريطة لثيينا، فبدأ لي، للحظة أنه مما يستعصي على الفهم، قيامهم بتشييد مثل تلك المدينة على حين أنك تريد فقط، حجرة واحدة.

ف

قرأت بإمعان تلك اللحظة التي تتعلق بالطعام، نعم، هذا أيضًا سوف يترتب تلقائيًا، لقد أصبحت ذلك الرجل المهم الآن- وأنني أقرأ الرسائل بنفس الطريقة التي يلتقط بها العصفور الفتات في حجرتي، مرتعشًا مرهفًا سمعه، متفحصًا ما حوله، نافثًا كل ريشه.

الخميس

يكون المرء أشد يقظة بعد ليلة يقضيها مسهدًا، منه بعد ليلة يستغرق فيها في النوم. بالأمس استغرقت في نوم عميق إلى حد ما، ثم كتبت في الحال تلك الحماقات عن رحلتي إلى فيينا. ليست هذه الرحلة، في نهاية الأمر بالشيء الهين، إنها ليست موضوعًا للتسلية. تيقني من أنني لن أفاجئك بحال من الأحوال، إن مجرد التفكير في ذلك يجعلني أرتعد، لست أنوي مطلقًا الحضور إلى شقتك. إذا لم تصلك برقية مني حتى يوم الخميس فسوف أكون قد ذهبت حينئذ إلى براغ. سأصل بالمناسبة، بناء على ما بلغني، إلى المحطة الجنوبية (أظن أنني قد كتبتها في الليلة الماضية المحطة الجنوبية)، إلا أن هذا لا يهم. وعلاوة على هذا فلست شخصًا شاردًا، ولا متبذلًا ولا مهملاً إلى أقصى حد- بل لقد استغرقت

قليلاً في النوم بعد أن فرغت من ترتيب كل شيء. فلا تخشي شيئاً في هذا الخصوص، ذلك أنني إن خطوت إلى داخل العربية قاصداً فيينا، فلن أغادرها إلا في فيينا، غير أن الصعود إلى العربية يثير بعضاً من الصعوبات. إلى اللقاء إذن (وقد لا يكون اللقاء في فيينا، فمن الممكن أيضاً أن نلتقي في الرسائل).

ف

لا علاقة لاسم ميلينا على أية حال بالجرمانية أو اليهودية، وإن من يجيدون فهم اللغة التشيكية (فيما عدا اليهود التشيكيين بالطبع) هم السادة الذين ينحدرون من أصل جرمانى، ويليهم قراء المجلة، ثم يليهم المشتركون فيها، وأنا واحد من بين هؤلاء المشتركين.... أقول لك هذا لأن علاقة اسم ميلينا باللغة التشيكية لا تتعدى تصغيره (ميلينكا)، وسواء راق لك هذا التصغير أو لم يرقك، فهو ما يقوله^(١) فقه اللغة (الفيلولوجي). لو أنني وصلت إلى فيينا فعلاً، فسوف أكتب لك، أو أرسل لك برقية على مكتب البريد يوم الثلاثاء أو الأربعاء، لقد وضعت الطوابع بالتأكيد فوق مظاريف الرسائل جميعاً، ألا يبدو لك أنها قد انتزعت من فوق المظروف؟



(١) يرى كافكا أن اسم (ميلينا)، اسم لاتيني الأصل، إلا أن تصغيره (ميلينكا) هو اسم تشيكي أصيل، على الرغم من ذلك، ومعناه (الحبيبة)، ويرى كافكا لهذا أن التركيب الصحيح للاسم في اللغة التشيكية هو (ميلادا).

مساء الجمعة

كتبت لك بغباء صباح اليوم، والآن وصلتي رسالتك الغاليتان الفياضتان، وسوف أرد عليهما شفويًا، فسأصل إلى فيينا يوم الثلاثاء، ما لم يقع ما ليس في الحسبان، ظاهرًا كان أو باطنًا. وربما كان من الأصوب، لو استطعت أن أحدد لك الآن في أي مكان سأنتظرك (أظن أن يوم الثلاثاء عطلة، وقد يكون مكتب البريد الذي سأرسل لك إليه رسالتي أو برقيتي، مغلقًا) على أنني، لو استطعت أن أعين لك اليوم، وفي هذه اللحظة مكانًا، لا بد لي أن أراه بعين الخيال شاغراً طوال ثلاثة أيام، وثلاث ليالٍ مقدمًا، في انتظار وصولي يوم الثلاثاء في ساعة معينة لا ختنت لهذا قبل أن أبلغه. فهل يوجد يا ميلينا، ثمة مكان في هذه الدنيا يسعه أن يطيق معي صبرًا. حدثيني عن هذا يوم الثلاثاء.

ف

(بطاقة بريدية، خاتم بريد) ٢٠ / ٢ / ١٩ (فيينا)

الثلاثاء - الساعة العاشرة

قد لا تصلك هذه البطاقة في الثانية عشرة، أو أنها بالأحرى لن تصلك قطعًا في ذلك الموعد، فالساعة الآن تمام العاشرة. ستصلك إذن في الغد وقد لا تصلك أيضًا في الغد، ذلك أنني أنا أيضًا على الرغم من وجودي

في فيينا الآن، جالسًا في مقهى بالقرب من محطة الجنوب (ما نوع هذه الشيكولاتة؟ وأية بقلادة هذه؟ هل هذه هي الأظعمة التي تعيشين عليها؟) إلا أنني لم أصل بالفعل في الحقيقة إلى مكاني هذا الذي أجلس فيه الآن، فلم أذق للنوم طعامًا طوال ليلتين، وإن كنت لا أكاد أصدق أنني سأستغرق في النوم، في الليلة الثالثة، التي سأقضيها في (فندق ريثا) بالقرب من محطة الجنوب، حيث تطل حجرتي على أحد الجاراجات. لن أصادف ما يطيب لي أكثر من: إنني سأنتظر صبح الأربعاء في العاشرة، أمام الفندق. أرجوك يا ميلينا ألا تفاجئيني بالقدوم من أحد الجانبين، أو من الخلف، وأعدك بأنني لن أفعل ذلك بدوري أيضًا. ربما نظرت اليوم إلى المشاهد التي تحيط بي: شارع (ل)^(١)، ومكتب البريد، والساحة الخارجية التي تمتد من محطة الجنوب إلى شارع (ل) وبائعة الفحم، وغير ذلك - بقدر ما أسعفتني الرؤية.

لك

من براغ

الأحد^(٢)

اليوم ميلينا، ميلينا، ميلينا - لا يمكنني أن أكتب شيئًا آخر. لكنني سأكتب. وعلى هذا فإنني أكتب ميلينا اليوم فقط متعجلًا مرهقًا، شاردًا إلى

(١) حيث تقطن ميلينا.

(٢) كانا قد التقيا في فيينا في تلك الأثناء.

حد ما (أما ميلينا الثانية فسأكتبها غداً بالفعل، هي أيضاً) كيف يمكن ألا ينال الإرهاق من المرء؟ لقد وعدوا المريض بثلاثة شهور إجازة ومنحوه فقط أربعة أيام وجزءاً من الثلاثاء ومن السبت، وحتى الأمسيات والفترات الصباحية قد فقدها. أأست محققاً لهذا في ألا أتماثل تماماً للشفاء؟ أأست محققاً في هذا؟

ميلينا (همسة، همستها في أذنك اليسرى، بينما كنت تستلقين هنالك فوق الفراش المتواضع، مستغرقة في إغفاءة عميقة، يشغلك شاغل يبدو ملحقاً، وبينما كنت تستديرين في بطاء، لا شعورياً من اليمين إلى اليسار، نحو شفتي).

الرحلة؟ في البداية بدا الأمر بسيطاً غاية البساطة، وكان من المستحيل أن يبتاع المرء الصحف من نافذة القطار. مجرد عذر للخروج، غير أن عيني لم تقعا لك على أثر. تبينت هذا تماماً ثم دخلت إلى العربة ثانية، وتحرك القطار وشرعت في قراءة الصحف. كان كل شيء ما يزال على ما يرام، وتوقفت عن القراءة بعد لحظة، لكنك فجأة لم تكوني معي، أو أنك كنت معي، فهذا ما كنت أشعر به بكل كياني، غير أن وجودك معي على هذا النحو، كان يختلف مع ذلك اختلافاً بالغاً عن وجودك بجانبني خلال تلك الأيام الأربعة، وكنت قد اعتدت على ذلك في أول الأمر. شرعت مرة أخرى في القراءة إلا أن صفحة اليوميات التي يكتبها (بار)^(١) بدأت بوصف (حمام الصليب) بالقرب من (جراين). انصرفت عن القراءة عندئذ وعندما تطلعت إلى الخارج مر بنا أحد القطارات

(١) يوميات هيرمان بار، التي كانت تظهر في طبعات الأحد من جريدة (نويه فاينر).

وفوق إحدى عرباته وقعت عيناى على كلمة (جراين). سحبت نظراتى إلى داخل الديوان. كان يجلس أمامى شخص يقرأ نسخة الأحد الماضى من جريدة (نارودنى ليستى)، لمحت بها مقالاً بقلم روتسينا ييزينسكا، فاستعرتها وبدأت فى قراءته شاردًا، ثم وضعت الجريدة جانبًا، وبقيت بعد ذلك، جالسًا فى مكانى، ووجهك يتبدى لى، تمامًا كما بدا لى فى لحظة وداعنا فى المحطة. بدت لى لحظة وداعنا تلك على رصيف المحطة ظاهرة طبيعية لم أشهد لها مثيلًا من قبل أبدًا، فلقد غشي ضوء الشمس قتامة لم تسببها الغيوم، كان ضوء الشمس قد خفت من نفسه.

ماذا عساى أن أقول أيضًا؟ إن حلقي لا يطاوعنى، ولا تطاوعنى يداى.

لك

غداً يصلك وصف الحكاية الغريبة، لبقية الرحلة.

الأحد - بعد قليل من كتابة الرسالة السابقة^(١)

أحضر ساعى البريد هذه الرسالة المغلقة (أرجوك أن تفضيها فى الحال، وكذلك الرسالة التى أرسلها ماكس)^(٢)، إنه يريد ردًا عاجلاً، لهذا أكتب له قائلاً إننى سأكون هناك فى الساعة التاسعة، إن ما ينبغى أن أقوله شيء بالغ الوضوح، أما كيف سأقوله، فلست أدري كيف؟ فلترحمنى السماء، لو أننى كنت متزوجًا وعدت إلى منزلى فلم أجد ساعى البريد، بل وجدت فراشًا من المستحيل أن أختبئ فيه، دون أن أجد سردابًا يصلنى بقيينا!

(١) الرسائل التالية من براغ.

(٢) الشاعر ماكس برود.

أقول لنفسي هذا، حتى أقنعها بمدى سهولة تلك الصعوبات التي تواجهني.

إنني أرسل إليك تلك الرسالة كما لو كان يسعني بذلك أن أدعوك للمجيء وحدك - لكي تكوني بجواري، وأنا أتمشى ذهابًا وجيئة أمام ذلك المنزل.

الأحد - الساعة الحادية عشرة والنصف

أرقم هذه الرسائل على الأقل، حتى لا يتاح لأي منها أن تضل طريقها إليك إلا بقدر ما يمكنني أن أفتقدك في الحديقة وقتئذ.

لا فائدة على الرغم من أن كل شيء، كان في نهاية الأمر، واضحًا غاية الوضوح، وأنني كنت من جانبي قد أوضحت غاية الوضوح. لا أريد أن أخوض في التفاصيل، سوى أنها لم تتفوه بكلمة واحدة تشي بشيء من الغضب فيما يتعلق بك أو بي. ولست أشعر لهذا الوضوح الصريح بأدنى شعور بالأسف. كل ما يمكنني أن أقوله صادقًا، إن شيئًا بينها وبينني لم يتغير ولا يبدو أن شيئًا سيتغير على الإطلاق فيما عدا - لا شيء، إن هذا مخيف كله، إنها مهمة تتطلب جلدًا ليضطلع بعبثها، وليست هي بالمهمة التي أقوى عليها. يبقى أمر واحد يا ميلينا، هو احتمال أن تمرض مرضًا خطيرًا (فهي لا تبدو مطلقًا في صحة حسنة وسيطر عليها يأس بالغ، ولا بد لي من أن أذهب لزيارتها مرة أخرى بعد ظهر الغد) - حسنًا، هل سيدهمها المرض، أو أن شيئًا آخر غيره سيقع لها، لم يعد لي بعد أي سلطان عليها،

فلا يمكنني سوى أن أوصل إخبارها فقط بالحقيقة، غير أن الحقيقة ليست هي مجرد الصدق، لكنها شيء أكثر من هذا، ذلك أن تلك الحقيقة تتحلل في داخلي، بينما أسير إلى جوارها - لهذا، عليك إذن أن تحضري يا ميلينا مرة أخرى، لو حدث شيء.

ف

يا له من هراء! لن يمكنك بالطبع أن تحضري، (لنفس) السبب. غداً سأرسل (رسالة الأب) على عنوان شقتك، فأرجوك أن تعتني بها، فلعلني أن أعطيها لوالدي يوماً ما. ولا تسمح لي لغيرك بقراءتها لو أمكنك هذا، وحاولي أن تفهمي أثناء قراءتها كل حيل رجال القانون، فهي رسالة كتبها أحد رجال القانون. ولا تتخلي في أثناء ذلك عن لا مبالتك البالغة.

صباح الإثنين الباكر

أرسل لك (عازف الكمان الفقير)^(١) - لا لأن لها أهمية خاصة عندي، مع أن تلك الأهمية كانت لها عندي قبل سنوات - بل أرسلها لك لأنها قصة تنتسب إلى فيينا كل الانتساب؛ ولأنها بالغة البساطة - ونكاد تدفع المرء إلى البكاء لأنه ينظر إلى أسفل، ينظر إلينا في الحديقة العامة (إلينا؛ لأنك كنت يا ميلينا، تسيرين إلى جانبي، فتصوري هذا، تصوري أنك تسيرين إلى جانبي!) ولأنه بيروقراطي إلى أقصى حد، ولأنه كان يحب فتاة، كانت تجيد عملها.

(١) قصة قصيرة بقلم فرانتس جريلبارتسر.

(١) صباح الإثنين

تسلمت رسالة الجمعة في ساعة مبكرة من هذا الصباح، ثم وصلتني بعد ذلك رسالتك التي كتبتها مساء الجمعة، كانت الرسالة الأولى رسالة بالغة الحزن، يتبدى على صفحتها وجهك الحبيب الحزين على رصيف المحطة، كانت رسالة حزينة، ليس لما كان يشيع فيها من الرضا، بل لأنها لم تصل في حينها..... لأنها تنتمي إلى الماضي، إلى الغابة المشتركة والضاحية المشتركة والرحلة المشتركة، إلا أن مسيرتنا معًا، قدمًا إلى الأمام، عبر الطريق الحجري، لم تنته، ولا انتهت عودتنا بطول الشارع تحت شمس المساء، لم ينته شيء من هذا، وإن كانت مجرد نكتة سخيفة عندما يقول المرء إن ذلك لم ينته. ثمّة وثائق، هنا في متناول يدي، هي بضع رسائل قليلة انتهت الآن من قراءتها، رسائل تتضمن تحيات ودية من المدير (لم أفصل إذن من العمل)، وتحيات من آخرين هنا وهناك، ويرن في أذني وسط هذا كله، ناقوس صغير يقول: «إنها لم تعد بعد معك»!، على الرغم من أن ناقوسًا آخر أكثر ارتفاعًا يرن من مكان ما، في السماء، قائلاً «إنها لن تتركك»!، إلا أن رنات الناقوس الصغير تدوي في داخل أذني، وها هي مرة أخرى رسالة المساء، وهي رسالة لا يكاد المرء يدرك شيئًا مما بها، رسالة مستغلقة حتى ليتسع صدر المرء وينقبض في قوة محاولاً أن يتنفس تلك الأنفاس التي تشيع فيها. رسالة لا يكاد المرء يصدق، لانغلاقها، أنه من الممكن أن يكون بعيدًا عنك إلى هذا الحد.

إلا أنني لست أشكو، على الرغم من ذلك، ليس هذا كله نواحا، بعد أن بلغتني كلماتك.

أحكى لك الآن قصة الرحلة، ولعلك تواصلين بعدها القول، بأنك لست ملاكًا: في طريق عودتي عرفت أن تأشيرة دخولي إلى النمسا كانت قد انتهت مدتها بالفعل قبل شهرين، لكنهم كانوا قد قالوا في ميران، إن أحدًا لن يلتفت إلى تأشيرة الدخول في حالة دخولي إلى النمسا عابرًا، ولم تواجهني بالفعل أية صعوبات عند اجتياز حدود النمسا. وكانت هذه السهولة هي السبب في أنني قد نسيت هذا الإهمال نسيانًا تامًا، أثناء وجودي في فيينا. ومع ذلك فقد اكتشف، في جموند، أحد موظفي مكتب جوازات السفر - وهو شاب قاسي القلب - هذا الإهمال للوهلة الأولى واحتجزوا جواز سفري، وأصبح في مقدور كل شخص أن يجتاز المنطقة الجمركية ما عداي. كان هذا أمر سيئًا للغاية (لم أنعم طوال الوقت بلحظة راحة واحدة خالية من الإزعاج، وهذا هو أول يوم لي في مقر عملي، على أية حال، فلم أصبح بعد مجبرًا على الاستماع إلى أحاديث الغيبة التي تجري في المكتب، إلا أن شخصًا أو آخر لا يكف عن الدخول، ويحاول أن يصرفني عنك - أي يبعدك عني إلا أنهم لن ينجحوا في ذلك، يا ميلينا، هل ينجحون في ذلك؟ لن ينجح واحد منهم) كان هذا هو ما حدث، غير أن سحرك كان قد بدأ مفعوله في الحال. جاء حارس من حرس الحدود، رجل ودود، صريح، نمساوي، رحيم، مخلص، واقتادني، فارتقينا درجًا وعبرنا ممرات إلى حيث مفتش الحدود، وهناك كانت تقف أيضًا امرأة يهودية من رومانيا، ويدها جواز سفر تنقصه أيضًا تأشيرة الخروج، وكانت، ويا للغرابة البالغة، واحدة هي أيضًا من مبعوثيك الودودين، أيتها الملاك الحارس لليهود، غير أن القوى المضادة كانت لها اليد العليا ما تزال.

أمسك المفتش العظيم ومساعدته الضئيل - وكان كلاهما شاحب اللون، نحيلًا، متكدرًا، في تلك اللحظة على الأقل، بجواز السفر، وكان القرار الذي انتهى إليه المفتش من فوره هو «عد إلي فيينا واحصل على تأشيرة الخروج من قسم البوليس!» ولم أقو سوى على أن أقول: «إن هذا شاق بالنسبة لي!» وأجابني المفتش أيضًا مرات عديدة في تهكم وهياج قائلاً: «إن هذا الأمر يبدو لك شاقًا فقط»، «ألا يمكن طلب التأشيرة ببرقية؟» «لا» «حتى ولو كان المرء مستعدًا لدفع كل ما يلزم من النفقات؟» «لا!» «ألا توجد أية سلطة أعلى هنا؟» «لا». هنا توجهت المرأة التي كانت قد شعرت بعذابي، والتي كانت تلزم الصمت التام طوال الوقت، إلى المفتش تسأله أن يسمح لي، على الأقل، بالمرور. كان المجهود بالغ الضعف ياميلينا! لم يكن هذا هو السبيل الذي يمكنني أن أسلكه، وكان عليّ أن أقطع الطريق الطويل راجعًا مرة أخرى إلى مكتب جوازات السفر بحثًا عن أمتعتي، ذلك أن فرصة السفر في ذلك اليوم كانت قد ضاعت نهائيًا. وكنا نجلس معًا عندئذ في حجرة مفتش الحدود، وحتى الحارس كان لديه عزاء بسيط يمكنه أن يقدمه لنا، فيما عدا أن صلاحية أوراقنا من الممكن أن يمد أجلها، أو أي شيء من هذا القبيل. وكان المفتش قد قال كلمته الأخيرة وانسحب إلى مكتبه المنعزل، وكان الحارس النحيل، هو وحده الذي كان قد بقي هنالك. ورحت أحسب الأمر: إن القطار التالي المتجه إلى فيينا، يتحرك في الساعة العاشرة بعد الظهر، ويصلها في الثانية والنصف. وكنت ما زلت أعاني من اللدغات التي نالتني من البق الذي يملأ فراش فندق ريثا، فكيف ستكون حال حجرتي في فندق محطة فرانتس - يوزيف؟ إلا

أنني لن أحصل على حجرة فيه على أية حال، حسنًا، ثم سأتجه بعد ذلك) نعم، في الثانية والنصف صباحًا) إلى شارع ل.

وأسأل عن مأوى (نعم، في الخامسة صباحًا). لكن أيًا كان الأمر، فعليّ أن أذهب وأحصل على التأشيرة اللازمة في صباح الإثنين، على أية حالة (وهل سأتمكن من الحصول على تلك التأشيرة في الحال، وليس في يوم الثلاثاء؟)، ثم أذهب إليك، وأصيبك بالدهشة في فرجة الباب الذي ستفتحه لي، يا للسماء! هنا توقفت أفكاري، غير أنها واصلت تدفقها ثانية: كيف سيكون مذهري بعد انقضاء الليلة في القطار؟ وسيكون عليّ في المساء أن أقفل راجعًا في الحال رحلة الستة عشرة ساعة، ففي أية صورة سأبلغ براغ؟ وما الذي سيقوله المدير الذي يتعين عليّ الآن أن أبرق له طالبًا مهلة لرحيلي من هنا؟ قلت لنفسي، لا شك أنك لا تريد هذا كله؟ لكن ما الذي تريده إذن؟ ليس أمامك مخرج آخر من ورطتك هذه. كان العزاء الوحيد الذي تبدّى لي، هو أنني سأمضي الليلة في جموند، ومن ثم أتجه إلى فيينا في صباح الغد الباكر، وعلى هذا، وبينما كنت مرهقًا غاية الإرهاق، سألت المساعد الصامت عن موعد أحد القطارات الصباحية المتجهة إلى فيينا. هناك واحد - يتحرك في الخامسة والنصف صباحًا، ويصلها في الحادية عشرة، حسنًا، هذا هو القطار الذي سأصحب السيدة الرومانية إليه، لكن الحديث اتجه في تلك اللحظة اتجاهًا مختلفًا فجأة لست أدري كيف. على أية حال اتضح من الحديث أن المساعد الضئيل يحاول مساعدتنا، فلو أننا قضينا الليل في جموند، فسوف يحاول عندما يكون بمفرده في المكتب في الصباح الباكر، أن يسمح لنا سرًا بركوب

قطار الركاب إلى براغ، وسنبليج براغ عندئذ في الرابعة بعد الظهر. وعلينا أن نتظاهر أمام المفتش بأننا سنأخذ القطار الصباحي إلى فيينا، رائع! إنه في الحقيقة، أمر بالغ الروعة، ذلك أنه ما يزال في مقدوري أن أبرق إلى براغ. ليكن، وجاء المفتش وقمنا بتمثيل مهزلة صغيرة تدور حول قطار الصباح الذاهب إلى فيينا، ثم طلب منا المساعد أن ننصرف، وكان علينا أن نلتقي به سرًا في المساء لنناقش بعض الترتيبات التالية. لقد اعتقدت أنا اعتقادًا قاطعًا بأن هذا كله هو من صنع يدك، على حين لم يكن ذلك في الحقيقة سوى الهجوم الأخير للقوى المعادية. عند هذا سرنا، أنا والمرأة مبتعدين في تناقل عن المحطة (كان القطار السريع الذي سيحملنا إلى براغ، ما يزال واقفا في المحطة، ذلك أن تفتيش أمتعة الركاب يستغرق وقتًا طويلاً) كم تبعد المدينة عن هنا؟ ساعة واحدة. هذا أيضًا! ثم اتضح لنا أن ثمة فندقين بالقرب من المحطة، سوف نذهب إلى أحدهما، وكان ثمة قطار من قطارات البضاعة تكاد آخر عربة من عرباته تبلغ مكانًا يقرب من الفندقين، وكان علينا أن نعبر إلى الجانب الآخر، وكنت أوشك على أن أعبر الخط مسرعًا، عندما تشبثت المرأة بي، تجرني إلى الخلف عندئذ، ذلك أن أحد قطارات البضاعة كان يقترب من مكاننا في تلك اللحظة، ثم توقف قطار البضاعة أمامنا، وكان علينا أن ننتظر. كان ذلك إضافة قليلة أخرى تضاف إلى حظنا التعس، هذا ما جال بخاطرنا. غير أن ذلك الانتظار وحده، الذي لم أكن بدونه لأصل إلى براغ يوم الأحد، كان هو نقطة التحول في رحلتي. ويبدو كأنك كنت قد هرولت عندئذ - كما هرولت من فندق إلى آخر عند محطة الغرب - من بوابة من بوابات السماء إلى الأخرى، تشفعين لي،

ذلك أن حارسك كان يسرع خلفنا في تلك اللحظة متقطع الأنفاس، صائحًا بنا من الطريق الذي خلفناه وراءنا إلى المحطة: «عودا بسرعة إلى المحطة، فإن المفتش يسمح لكما بالسفر!» «هل يمكن أن يحدث هذا؟» إن مثل تلك اللحظة تأخذ بخناق المرء، ورجونا الحارس عشر مرات أن يقبل منا نقودًا، وكان علينا أخيرًا أن نسرع عائدين جريًا ونبحث عن أمتعتنا في مكتب المفتش، وندفع بها نحو مكتب جوازات السفر، ومنه إلى الجمرك، غير أنك كنت فيما يبدو قد رتبت بنفسك كل شيء منذ تلك اللحظة - فعندما لم أجد لدي القدرة على أن أقبض على أمتعتي وجدت في الحال، حمالًا إلى جانبي بالصدفة، وعندما اندفعت نحو أحد الأركان في مكتب جوازات السفر، أفسح لي الحارس الطريق، وعندما فقدت الصندوق الذي يحتوى على أزرار القمصان الذهبية في الجمرك، دون أن أتبين ذلك، كان أحد الموظفين قد عثر عليه، وسلمه إليّ. وصعدنا إلى القطار الذي تحرك في الحال وأصبح في مقدوري أخيرًا أن أجفف العرق من على وجهي وصدري، أرجوك أن تكون دائمًا بجواري!

ف

(٥) أظن

الاثنين

بالطبع سوف آوي إلى النوم، فالساعة الآن الواحدة صباحًا، وكان يجب عليّ أن أكتب لك من قبل، في المساء، لكن ماكس كان هنا، وكنت

أترقب أن تسنح لي فرصة لقائه بفارغ الصبر، غير أن ما كان يحول بيني وبين الذهاب لزيارته إلى الآن، كانت هي الفتاة، وقلقي بشأنها.

لقد بقيت إلى جوار الفتاة حتى الثامنة والنصف، ووصل ماكس في التاسعة، ثم تحولنا معًا حتى الساعة الثانية عشرة والنصف. تصوري أن ما ظننته، كنت قد أوضحته وضوحًا بالغًا في رسائلي، هو أنك، أنت، أنت، أنت - مرة أخرى تضطرب كتابتي بعض الشيء - التي كنت أتحدث عنها، إلا أنه لم يدرك ما كنت أرمي إليه، لقد عرف اسمك الآن فقط (بالطبع لم أكتبه في رسائلي إليه، فربما كانت زوجته تقرأها).

فيما يتعلق بالفتاة، تبدو الحال اليوم أحسن، لكنني لم أسمح لها بالكتابة إليك إلا بعد عناء بالغ. وإني آسف لذلك غاية الأسف. إن ما يدل على خوفي عليك هو البرقية التي أرسلتها اليوم إليك على مكتب البريد (إن الفتاة تكتب إليك فردي عليها برقة و- هنا قصدت بالفعل أن أضيف بغاية الحزم، ولا تتخلي عني). كانت الأمور جميعًا أكثر هدوءًا اليوم، ولقد قسرت نفسي على أن أتحدث في سلام عن ميران، ذلك أن الجو كان أقل تهديدًا، غير أن الموضوع الرئيسي عندما أثير مرة أخرى - ارتعد جسد الفتاة كله بجانبني لبضع دقائق في ميدان كارل - كان في استطاعتي فقط القول بأن كل شيء آخر بمقارنته بك مهما بقي دون أن يطرأ عليه أدنى تغيير يتخفى ويتحول إلى لا شيء. ووجهت هي سؤالها الأخير، الذي أجدني أمامه دائمًا بلا حيلة - وهو «لا يمكنني أن أتركك، لكن لو أنك أبعدتني عنك، فسوف أباعد، فهل تبعدني عنك؟» (ثمة أمر بالغ الفظاعة، بصرف النظر عن الغرور، فيما يتعلق بحقيقة ما يدفعني إلى أن أحكي لك هذا الذي

أحكيه لك الآن، لكنني أحكيه لك بدافع مما أحسه من قلقي عليك، وما هو الشيء الذي لا أفعله لقلقي عليك؟ فتصوري إذن، أي خوف غريب جديد، خوفي هذا!)، أجبته: «نعم»، على حين أجابتنني هي بقولها: «غير أنني لا يمكنني أن أتركك على أية حال!» وعندئذ، راحت تلك المخلوقة العزيزة الطيبة تقول، في ثرثرة تتجاوز حدود طاقتها، إنها لا يمكنها أن تفهم الأمر كله، وهو أنك تحبين زوجك، على حين تتحدثين سرًّا إليّ، وما إلى ذلك. ولكي ألزم الحقيقة، أقول إنه كانت هنالك ثمة كلمات سيئة أيضًا تناولتكم من بين ما قالته، ولقد أوشكت بالفعل أن أضربها عندما تفوهت بها أمامي، لكن ألم يكن عليّ أن أفسح أمامها الفرصة لكي تصب شكواها على الأقل في تلك المناسبة الوحيدة؟ ولقد صرحت بأنها أرادت أن تكتب إليك سرًّا، وسمحت لها أنا بذلك، للترامي أمامها، ولثقتي التي لا حد لها بك. سمحت لها به على الرغم من أنني أدركت أن ذلك سوف يكلفني عديدًا من الليالي، إلا أن ما أزعجني، هو أن ما هدا من ثائرتها كان هو مجرد سماحي لها بذلك. فكوني رقيقة، وقاسية، بل كوني معها أشد قسوة مما تبدينه لها من الرقة. لكن ما هذا الذي أقوله؟ أأست أعرف أنك ستكتبين فقط ما سوف تقدريين على كتابته في هذه الحال، وأليس خوفي، من أنها، في غمرة يأسها، قد تكتب شيئًا يتصف بالغدر فتقلبك بهذا عليّ. ألا يعد مثل خوفي هذا إساءة لك. لكن ما الذي يمكنني أن أفعله لو ظل ذلك الخوف ينبض في جسدي بدلًا من القلب؟ لم يكن لي في الحقيقة أن أسمح لها بذلك. حسنًا، غدًا أراها مرة أخرى، غدًا الجمعة عيد (هوس)^(١) وقد طلبت في

(١) يوم (يان هوس) وهو عيد قومي في عهد جمهورية تشيكوسلوفاكيا.

إلحاح أن نخرج معاً في نزهة قصيرة، بعد الظهر، وأنه لن يكون عليّ طوال بقية الأسبوع أن أذهب لزيارتها بعد ذلك، لعلني أستطيع أن أقنعها بالعدول عن كتابة رسالتها إليك، إن لم تكن قد كتبتها بالفعل، لكنني، قلت لنفسني عندئذ: لعلها تريد حقاً تفسيراً فقط، وربما كان لكلمتك الرقيقة رغم قسوتها أن تهدئها، ربما- هذه هي الطريقة التي تدور بها أفكارني في هذه الأيام- خرت على ركبتيها أمام رسالتك.

فرانتس

غير أن هنالك سبباً آخر لسماحي لها بالكتابة إليك، فقد أرادت أن تطلع على رسالتك إليّ، إلا أنني لم أستطع أن أتيح لها أن تطلع عليها. (في الهامش الأيمن) ورغم كل ذلك، فإنني أعتقد أحياناً أنه لو أمكن أن يهلك شخص ما بفعل السعادة، فإن ذلك ما سوف يقع لي، ولو قدر لأمري، أن يموت، وأمكن للسعادة أن تعيده إلى الحياة، فسوف أبقى على قيد الحياة.

(٦)

الثلاثاء - في الصباح الباكر

لطمة صغيرة تلقيتها: هي برقية من باريس تفيد أن واحداً من أعمامي المسنين، وهو شخص أهيّم به إعجاباً في الحقيقة، يعيش في مدريد، ولم تتح له فرصة زيارتنا هنا منذ سنوات عديدة، سوف يصل مساء الغد، لطمة لأن هذه الزيارة سوف تستنفد جزءاً من وقتي، ولأنني في حاجة إلى وقتي كله، وإلى الآلاف من الأوقات التي تماثلها، علاوة على كل ما يمكن أن

يتوافر من الزمن، لك، التفكير فيك واستنشاق نفحاتك. أما الشقة هنا، فسوف ينتابها الاضطراب بدورها أيضًا، وسوف تفسد الأمسيات، فكم أتمنى أن أكون في أي مكان آخر، أشياء عديدة أود لو أنها تتغير عما هي عليه، أما عملي الرسمي فكم أود لو أنه لم يوجد على الإطلاق، ثم أرى مرة أخرى أنني أستحق اللطمات على وجهي، عندما أنفوه برغباتي التي تتجاوز هذه اللحظة، هذه اللحظة التي تخصك.

لا يمكنني بصورة ما أن أكتب المزيد عن أي شيء آخر سوى ما يتعلق بنا، ما يتعلق بنا وسط اضطراب العالم، نحن فحسب. كل شيء آخر هو شيء بعيد، خطأ! خطأ! غير أن الشفاء تغمغم، ووجهي يستلقي في أحضانك.

ثمة شيء من المرارة تبقت من فيينا، هل لي أن أذكرها؟ هناك في الغابة، في يومنا الثاني، أظن أنك قد قلت شيئًا بهذا المعنى: «إن المعركة التي تدور حول الحجرة السابقة لا يمكن أن تستمر طويلاً جداً» والآن تكتبين، في رسالتك الوحيدة الأخيرة من ميران^(١)، عن مرضك فكيف يتسنى لي أن أجد لنفسي مخرجًا بين هاتين الحقيقتين؟ لست أقول هذا بدافع الغيرة، لست أعاني من الغيرة يا ميلينا، كما أن العالم ليس ضئيلاً لهذا الحد، ولا نحن بهذه الضخامة، وإن كنا نملأه تمامًا على أية حال، ممن تراني أغار؟

(١) يبدو أنها رسالة سبقت.

مساء الثلاثاء

ها أنا الآن يا ميلينا، أرسل لك الرسالة بنفسى، ولست أدري حتى ماذا بها، وهذا هو ما حدث. لقد وعدتها بأن أكون أمام منزلها اليوم بعد الظهر في الساعة الثالثة والنصف، وكنا قد اتفقنا على أننا سنخرج للنزهة بالباخرة، غير أنني في الليلة الماضية، كنت قد أويت إلى فراشي في وقت متأخر جدًا ولم أكد أنعم بشيء من النوم، ولهذا فقد كتبت لها برقية، قلت لها فيها إنني سوف أنام في فترة الظهيرة وسأحضر في الساعة السادسة، وفي قلقي الذي لم تكن لتهدئه الرسائل أو البرقيات جميعًا، أضفت: «لا ترسلي الرسالة إلى فيينا، حتى نتناقش بشأنها» لكنها كانت قد كتبت الرسالة بالفعل في الصباح الباكر، معتمدة على أفكارها الخاصة في نصف ما جاء بها - إنها لم تقل حتى ما الذي كتبه في رسالتها تلك - وأرسلتها في الحال، وعندما تلقت برقيتي، امتلأ قلب الفتاة المسكينة بالرعب وانطلقت تجري إلى مكتب البريد الرئيسي واستطاعت بصورة ما، أن تحصل على الرسالة، وقد أسعدها ذلك حتى أنها منحت الموظف كل ما كان معها من النقود (وقد ارتاعت فيما بعد لضخامة المبلغ)، وأحضرت لي الرسالة في المساء، فما الذي ينبغي لي أن أفعله الآن؟ إن أملني في الاهتداء إلى حل عاجل، وبالع التوفيق، يعتمد في نهاية الأمر على هذه الرسالة، وعلى تأثير ما تردين به عليها. لقد سمحت بذلك، حقًا، وإنه لأمل مجنون، غير أنه أملني الوحيد، فلو أنني فضضت الرسالة الآن وقرأتها، فسوف أؤذيها بذلك، كما أنني من المؤكد ثانيًا أنني لن أكون قادرًا على إرسالها، ولهذا فإنني أضعها مغلقة كما هي بين يديك، وأسلم نفسي أيضًا بين يديك في آن معًا.

إن الجو موحش في براغ على نحو ما، فلم تصلني رسالة منك بعد، والقلب مثقل ببعض الشيء. من المستحيل بالفعل أن تصلني أية رسالة الآن، لكن حاولي أن تشرحي هذا للقلب.

ف

(٨)

الثلاثاء - في ساعة متأخرة من الليل

لم أكد أرسل الرسالة حتى تبادر إلى ذهني ما يلي: كيف أمكنني أن أسألك شيئاً من هذا القبيل؟ فبصرف النظر عن حقيقة أنه من شأني بصفة خاصة، في نهاية الأمر، أن أفعل ما يبدو لي صحيحاً وضرورياً في تلك الحالة، ربما كان يستحيل عليك أن تكتبي ردّاً من هذا القبيل، وتأتمني عليه شخصاً غريباً. حسناً، أرجوك يا ميلينا أن تغفري لتلك الرسائل والبرقيات، وأن تنحي بالملامة على عقلي الضعيف، عقلي الذي أضعفه بعدي عنك. لن يحدث شيء إذا لم ترددي على رسالتها، فثمة حل آخر يمكن أن يوجد، أرجوك ألا تنزعجي لهذه الرسالة، إنني متعب بالفعل غاية التعب من تلك النزعات (نزهة اليوم على منحدر فيشيرادر)، هذا هو حالي، وغداً أيضاً سيصل عمي، وسوف تتضاءل فرصتي للانفراد بنفسي.

ولتحدث عن شيء أفضل: هل تدركين متى كنت قد بلغت غاية الأناقة في فيينا، وكنت جميلة حقاً جمالاً لا يكاد يصدق؟ ليس هناك أدنى

جدل في هذا الخصوص، فقد كان ذلك يوم الأحد.

(٩)

مساء الأربعاء

فقط بضع كلمات متعجلة للغاية لتدفئة شقتي الجديدة، كلمات متعجلة جدًا، ذلك أن والديّ قد وصلا في الساعة العاشرة من فرانتسباد، وفي الساعة الثانية عشرة وصل عمي من باريس، وكان عليّ أن أستقبل الجميع: أما الشقة الجديدة، فلأنني قد انتقلت إلى شقة أختي الخالية، حيث توجد أختي الآن في مارينباد؛ لكي أفسح مكانًا لنزول العم. إنها شقة خالية فسيحة، وهو أمر سار حقًا، إلا أن الشارع أكثر ضجة - لهذا كم بدت لي مبادلة بالغة السوء. ولا بد لي من الكتابة إليك، يا ميلينا، لأنك يمكنك أن تستخلصي من رسائلي الأخيرة التي تمتلئ بالنواح (لقد مزقت أسوأ هذه الرسائل صباح اليوم بدافع الخجل، تصوري أنه لم يصلني منك شيء حتى الآن، غير أن الشكوى من الخدمة البريدية ستكون أمرًا سخيفًا، فما هو شأني بالخدمة البريدية؟) إن ثقتي قد تزعزعت فيما يتعلق بك، وإنني خائف من أن أفقدك، لا، إن الشك فيك لا يتسرب إليّ، فهل يمكن أن تكوني بالنسبة لي في الموضع الذي تربعين فوقه الآن لو لم أكن واثقًا فيك؟ إن الشيء الذي سبب لي هذا الشعور هو قربك الجسدي القصير، والفراق الجسدي المفاجئ. (لماذا كان ذلك يوم الأحد بالذات، ولماذا في الساعة السابعة بالذات؟ ولماذا كان ذلك بالمرة؟) إن هذا قد يسبب اضطرابًا للحواس إلى حد ما، اغفري لي! وفي هذا المساء لك

مني، كتحية للمساء، فيض وجودي كله، وكل ما لديّ، وكل ما هو سعيد مبارك، ليستقر في أعماقك.

(١٠)

صباح الخميس الباكر

الشارع غارق في الضجيج، وثمة بناء يجري بناؤه، على ناحية، في مواجهتي، ولا أرى أمامي الكنيسة الروسية، بل توجد بدلاً منها شقق تمتلئ بالناس، وأن أكون وحيداً في حجرة، ربما كان هو على أية حال، شرط الحياة، وأن أكون وحيداً في شقة - مؤقتاً، حتى أكون دقيقاً - هو شرط من شروط السعادة (شرط واحد فقط، ذلك أنني لا أرى خيراً في وجود الشقة، إذا لم أكن أنا حياً، إذا لم يكن لي بيت يمكنني أن أستريح فيه، مثلاً عINAN زرقاوان متألقتان تمتلئان بالحياة، تمتلئان بالحياة خارقة الجمال) لكن الشقة لما كانت تنتمي إلى سعادي بطبيعة الحال، فإن كل شيء هادئ، الحمام، والمطبخ والبهو، والحجرات الثلاث الأخرى، على خلاف الحال في تلك الشقق المشتركة، حيث الضجة، والفسق، وهتك الداعر لمحارمه، وحيث الأجساد، والأفكار، والرغبات المنفلتة من إسارها، بحيث توجد الأمور المحرمة الخارجة عن الاحتشام في كل ركن، وبين كل قطع الأثاث، وتقع الأحداث المبالغية، ويولد أطفال غير شرعيين، وحيث لا تسير الحياة كما تسير في ضاحيتك الهادئة الخالية يوم الأحد، بل تسير كما تسير في الضواحي، البدائية، المزدحمة، المختنقة في ليلة سبت لا يكدر صفوها شيء.

لقد قطعت شقيقتي كل ذلك الطريق الطويل، لكي تجيئي بإفطاري
(الذي لم يكن ضروريًا، ذلك أنني كان يجب أن أذهب إلى المنزل) وقد
ظلت بضع دقائق تطرق الباب قبل أن تتمكن من أن توقظني من استغراقي
في هذه الرسالة ومن شرودي.

ف

إن الشقة لا تخصني بالطبع، فلسوف يعيش فيها بين الحين والآخر
زوج أختي أيضًا.

(١١)

صباح الخميس

رسالتك أخيرًا، مجرد كلمات قليلة متعجلة حول الموضوع الرئيسي،
حتى ولو نتج عن هذه العجلة قليل من الأخطاء التي سأسف عليها فيما
بعد: هذه هي حالة لا أعرف لها مثيلاً، في علاقتنا الخاصة التي نشترك فيها
ثلاثتنا في وقت معاً، وعلى هذا فلا يجب أن تضطرب بتفاصيل تجارب
الحالات الأخرى. (الجثث، العذاب الثلاثي، عناؤنا الشنائي، الاختفاء على
نحو ما). إنني لست صديقاً له^(١) إنني لم أكن صديقاً. لست مجرد واحد
من معارفه، كما أنني لا أرتبط به بعلاقة وثيقة، وإنني من كثير من النواحي قد
أكون له أكثر من صديق، وأنت من ناحية أخرى لم تخونيه، لأنك تحبينه،
مهما قلت، ولو كان لنا أن نتحد (أشكرك، أيتها الأكتاف!) فسوف يتم

(١) عن الزوج.

ذلك على مستوى آخر لا ينتمي إلى مجال نفوذه. والنتيجة هي أن هذا الموضوع، لعله ألا يكون موضوعنا كلية، حتى يبقى سرًا، ولعله ليس عذابًا مطلقًا، وخوفًا، وألمًا، وحسرة- (لقد أخافتني رسالتك بسبب الهدوء النسبي الذي لا يزال باقيًا من اجتماعنا معًا، والذي ربما تحول الآن مرة أخرى إلى دوامة ميران، على الرغم من وجود أسباب قوية تقف في وجه العودة إلى أحوال ميران) - غير أنها الصراحة- التي يتبدى بها ارتباطنا الواضح ثلاثتنا، حتى لو فضلت أن تلتزمي الصمت بعضًا من الوقت، إنني، أيضًا، أعارض التفكير التي تدفع إليه الاحتمالات- إنني أعارضه لأنني أحس بأنك لي، فلو أنني كنت وحدي لما أمكنني أن أتوقف عن التفكير في الأمر- لو زج المرء بنفسه الآن في خضم المستقبل بالفعل، فكيف سيتسنى للأرض الخراب أن تحمل بيت المستقبل؟

لست أعرف المزيد فيما يتعلق بذلك الآن، هذا هو يومي الثالث في مقر عملي، ولم أكتب بعد سطرًا واحدًا، ولعل الأمر أن يتحسن الآن. في الحقيقة، لقد زارني ماكس، بينما كنت أكتب هذه الرسالة، كان صمته أمرًا يمكن للمرء أن يعول عليه، يعرف الجميع ما عدا شقيقتي، ووالدي، والفتاة، وهو إنني قد حضرت إلي هنا عن طريق لتس.

ف

هل يمكنني أن أرسل إليك بعض النقود؟ ربما عن طريق ل، الذي سأقول له إنني كنت قد اقترضت بعض النقود منك في فيينا، والذي سيرسل لك هذه النقود مع مكافأتك عن الكتابات التي ينشرها لك.

(في الهامش الأيسر): إنني خائف بعض الشيء أنا أيضًا مما أعلنت أنك تكتبينه إليّ عن الخوف.

(١٢)

الجمعة

تبدو لي الكتابة عبثًا كلها - وإنها لذلك بالفعل، إن ما يمكنني أن أقوم به ربما كان الحضور إلى فيينا لكي آخذك بعيدًا، وربما فعلت ذلك، أيضًا، على الرغم من معارضتك الشديدة له. يوجد في الحقيقة احتمالان فقط كل منهما أجمل من الآخر، فإما أن تحضري إلى براغ أو إلى ليبترج. إن الريبة في تراث اليهود القديم قد بعثتها بالأمس في نفس ل. فقد لحقت به مباشرة قبل رحيله إلى ليبترج، وكانت معه رسالتك إلى شتاشا، إنه شخص ممتاز، مرح، صريح، ذكي، يأخذ بذراع المرء، ويتحدث في رقة، وهو على استعداد لكل شيء، ويفهم كل شيء وربما فهم أكثر قليلًا، مما يلزم، كان ينوي الرحيل برفقة زوجته إلى فلوريان^(١) الذي يعيش على مقربة من برنو، ومن هناك إليك في فيينا، في هذه الظهيرة يعود هو ثانية إلى براغ، وهو بسبيله لأن يحصل على رد شتاشا، وسوف ألتقي به في الثالثة بعد الظهر، وسأبرق لك بعدها. اغفري لي اللغو الذي جاء في رسائلي الإحدى عشرة، ألقى بها جانبًا. والآن تأتي الحقيقة التي هي أكبر وأفضل. إن الشيء الوحيد الذي يخشاه المرء الآن هو، فيما أظن، حبك لزوجك. وبقدر ما يتعلق بالأمر

(١) الكاتب والناشر الكاثوليكي المعروف - وابن زوجة ليون بلويز، وكانت شتاشا تعمل لديه في ذلك الوقت.

بالعبء الجديد الذي كتبت لي عنه، فإنه بلا شك أمر صعب، لكن لا تبخسي قدر الطاقات التي أعطانيها قربك. ومع أنني لم أكن نائمًا منذ وقت قريب، إلا أنني أكثر هدوءًا مع ذلك، مما كنت أظنه في إمكاني في الليلة الماضية بعد أن تسلمت رسالتك (كان ماكس موجودًا بالصدفة الأمر، الذي لم يكن طيبًا بالضرورة، ذلك أن الأمر كان في النهاية، أمرًا يخصني وحدي، آه، هنا بالفعل تبدأ غيرة الرجل الذي لا يغار، يا ميلينا المسكينة!)، كذلك أصابني برقيتك التي أرسلتها اليوم بشيء من تجدد الثقة. لا أشعر بخصوص زوجك في هذه اللحظة، في هذه اللحظة على الأقل، بالكثير. لا أحس انزعاجًا بالغا. لقد أخذ على عاتقه عبئًا هائلًا، وقد أنجزه جزئيًا، وربما كان قد أنجزه كلية، بأمانة، وأشك في أنه يمكنه أن يطبق احتمال ذلك العبء أكثر من ذلك، ليس لأنه لا يملك القوة (فما هي قوتي بمقارنتها بقوته؟) بل لأنه يحمل أعباء ثقلاً للغاية، ولأنه بالغ الأسى، ولأنه يفتقر تمامًا إلى التركيز المطلوب لذلك، بسبب كل ما ظل يحدث حتى الآن، ربما أمكن، بصرف النظر عن كل شيء آخر، أن يكون في هذا عزاء له؟ فلماذا لا أكتب إليه؟

ف

(١٢)

الجمعة

بضع كلمات قلائل عن رسالة شتاشا- ذلك أن العم، مع أنه بالغ السحر حقًا، إلا أنه مزعج الآن إلى حد ما، ما زالت تبقى أمامي. حسنًا، إن

رسالة شتاشا هي رسالة ودية، ولطيفة، غير أن بها بعض الخطأ مع ذلك - بعض الأخطاء البسيطة - ربما الشكلية (لا أعني أن الرسائل التي لا تتضمن أخطاء من هذا القبيل تكون أكثر ودًا، بل العكس هو الصحيح)، وعلى أية حال فثمة شيء ينقص تلك الرسالة، أو لعل شيئًا ما يزيد على الحاجة فيها. ربما كان ذلك الشيء هو قوة الانعكاس، الذي يبدو بالمناسبة أنه قد انعكس عن زوجها، ذلك أنه كان قد تحدث إليّ بالأمس على هذه الصورة، لكن كيف يتحدث حقًا على هذا النحو هؤلاء الناس الطيبون؟ الغيرة، إنها في الحقيقة هي الغيرة، لكنني أعذك يا ميلينا، بأنني لن أعذبك بعد ذلك بغيرتي هذه، سأعذب نفسي فقط، سأعذب نفسي فقط، يبدو ثمة سوء فهم، مع ذلك، في الرسالة - فأنت، في نهاية الأمر، لست في حاجة إلى نصيحة شتاشا، ولست في حاجة إلى أن تذهب لتتحدث إلى زوجك، إن ما تريدينه منها حقًا في هذه اللحظة - هو شيء لا يمكن استبداله بأي شيء آخر سواه: هو حضورها أو على الأقل هذا ما بدا لي.

ما زلت آمل في الحصول على شيء ما منك اليوم. إن المرء هو بالصدفة رأسمالي لا يدرك كل الأشياء التي يمتلكها. في هذه الظهيرة عندما كنت أسأل عبثًا عن أخبار في المكتب تسلمت رسالة منك كانت قد وصلت في الحال بعد رحيلي عن ميران. وكانت قراءتها تبدو لي غريبة.

لك

السبت

هذا سيء، أمس الأول واصلتني رسالتك التعيستان، وأمس فحسب واصلتني البرقية (على الرغم من أنها كانت تعيد تأكيد ذلك، فإنها كانت مرممة مع ذلك إلى بعضها قليلاً، كما هي طبيعة التلغرافات عادة)، ولم يصلني منك اليوم شيء بالمرة. ولم تكن هذه الرسائل، في نهاية الأمر، مريحة بالنسبة لي على أي وجه من الوجوه، وأوضحت هذه الرسائل أنك ستكتبين ثانية في الحال، لكنك لم تكتبي. ومنذ ليلتين أرسلت لك برقية عاجلة نفقات ردها خالصة، وكان على الرد أن يصلني منذ وقت طويل. وأعيد نصها: لم يكن أمام المرء ما يفعله سوى هذا، فكوني هادئة، فأنت هنا في منزلك، ج، وزوجته قد يصلان إلى فيينا في خلال أسبوع، كيف يمكنني أن أرسل النقود؟ إلا أن الرد على هذا لم يصلني. قلت لنفسي: «اذهب إلى فيينا»، لكن ميلينا لا ترغب في ذلك، إنها لا ترغب في ذلك بصورة مؤكدة، عليك أن تتخذ قراراً، إنها لا تريدك، إنها تقلق، وتتناهبها الوسواس، وهذا هو ما يجعلها تريد شتاشا. وعلى الرغم من هذا فقد رغبت في السفر، غير أنني لست على ما يرام، على الرغم من أنني هادئ، هادئ نسبياً، هدوءاً لم يحدث خلال تلك السنوات الأخيرة أن ساورني الأمل في أن أجربه ثانية، وإنني أسعل مع ذلك سعالاً سيئاً في أثناء النهار، وفي الليل أحياناً لمدة ربع ساعة في المرة الواحدة. وربما كان الأمر هو فحسب تكرار هذه الأيام الأولى، التعود من جديد على مناخ براغ، وعواقب الأوقات العصيبة في ميران قبل أن أعرفك، وقبل أن أتطلع إلى

عينيك. كم أصبحت فيينا مظلمة، وكانت قد تألقت ذلك التألق لمدة أربعة أيام، ما الذي كان يدبر لي هناك وأنا جالس هنا، وبينما أقطع كتابتي لكي أضع وجهي بين راحتي؟

ف.

(في الهامش الأيسر): لا، أنت لا تفهميني، أيضًا، يا ميلينا، فلقد كانت (المسألة اليهودية) على أية حال، مجرد نكتة سخيفة.

ثم تطلعت إلى أعلى بينما كنت جالسًا في مقعدي عبر النافذة المفتوحة خلال المطر. وبدأ لي عدد من الاحتمالات - أن تكوني مريضة، أو متعبة، أو مستلقية في فراشك، وأن السيدة شتاشا كان يمكنها أن تتوسط، ثم عندئذ، وعلى نحو بالغ الغرابة، كان أكثر تلك الاحتمالات اقترابًا من الواقع وكان أكثرها وضوحًا هو أن - يفتح الباب وأن تكوني أنت واقفة في فتحته.

(١٥)

الإثنين

مر يومان بالغا الإزعاج، هذا أقل ما يمكن قوله في وصفهما، لكنني أرى الآن أنك كنت بريئة، غاية البراءة، ذلك أن شيطانًا خبيثًا كان يمسك كل رسائلك، منذ يوم الخميس حتى الآن. تسلمت يوم الجمعة برقيتك فقط، ولم أتسلم شيئًا يوم السبت، لم أتسلم شيئًا أيضًا يوم الأحد، وتسلمت اليوم أربع رسائل، هي رسائل الخميس والجمعة والسبت.

وإنني لفي غاية التعب، حتى أنني لا يمكنني أن أكتب كما ينبغي. في غاية التعب حتى أستخلص من الرسائل الأربع، من جبل اليأس هذا، جبل العناء والحب، ما يتبقى لي منه. إن المرء يكون بالغ الأنانية عندما يكون متعباً، وقد استهلك نفسه لمدة يومين وليلتين مستغرقاً في أشد الأفكار إرعاباً. لكن على الرغم من ذلك - ويعود هذا مرة أخرى إلى قدرتك على منح الحياة، أيتها الأم ميلينا - على الرغم من ذلك، فإنني أساساً لست متضعضاً تماماً، كما لعلي كنت خلال تلك السنوات السبع الأخيرة، فيما عدا تلك السنة التي قضيتها في القرية.

لماذا لم توجد أية إجابة على برقيتي العاجلة، في مساء الخميس، هذا ما لست أفهمه حتى الآن. ثم أرسلت برقية إلى السيدة ك، ولم أتلّق ردّاً أيضاً. ليس لك أن تخافي من أن أكتب إلى زوجك، فليست لديّ بالفعل رغبة شديدة في أن أفعل ذلك. إن الرغبة الوحيدة التي تتملكني، هي رغبتى في أن أحضر إلى فيينا، إلا أنني لن أفعل هذا أيضاً، حتى ولو لم تكن هناك تلك العقبات، من قبيل اعتراضك على تلك الرحلة، ومصاعب جواز السفر، وعملي الرسمي، والسعال، والإرهاق، وعقد قران شقيقتي (الخميس). على أية حال سيكون من الأفضل أن أرحل، بدلاً من أن أمر بمثل فترات الظهيرة تلك التي من قبيل ظهيري السبت والأحد. ففي ظهيرة السبت، تجولت قليلاً مع عمي، وتجولت قليلاً مع ماكس، وكنت أمضي إلى مقر عملي كل نحو ساعتين لأسأل عن البريد، وفي المساء كانت الأحوال أفضل، فقد مضيت لزيارة ل، فلم أجد لديه أخباراً سيئة منك، وذكر رسالتك التي جعلتني سعيداً، واتصلت تليفونيا بك الذي يعمل

في (الصحافة الجديدة الحرة)، فلم يكن يعلم هو أيضًا أي شيء، لكنه لم يشأ أن يستفسر عنك من زوجك، وكان من المفروض أن يتصل الليلة تليفونيًا مرة أخرى، وعلى هذا فقد جلست مع ل، وسمعت اسمك يذكر عدة مرات، وكنت مدينًا له لهذا بالكثير.

إنه ليس أمرًا سارًّا، من ناحية أخرى، ولا سهلًا، أن أتحدث معه، فهو كالطفل، كطفل غير بالغ التلق، فهو يتباهى، ويكذب، ويبدو أبله كالطفل، ويشعر المرء، شعورًا بالغًا بالخبث، وبعدم الإخلاص بصورة مقرزة، عندما يجلس المرء هناك هادئًا يستمع إليه، وخصوصًا وأنه ليس طفلًا فقط، ولكنه في كل ما يتعلق بالخير، والحب، والميل للمساعدة، هو شخص كريم، وشخص مسئول بصورة جادة للغاية. ليس ثمة سبيل إلى التوفيق بين هذه الأحاسيس المتناقضة، ولولا أن المرء كان يقول لنفسه طوال الوقت: «مرة أخرى، مرة أخرى فقط، أرغب في أن أسمع اسمك!» لكنت قد رحلت منذ وقت طويل. ولقد تحدث أيضًا عن عقد قرانه (الثلاثاء) بنفس الطريقة.

أما يوم الأحد فقد كان أشد الأيام سوءًا، كنت في البداية أنوي الذهاب إلى الجبانة، وكان هذا هو الشيء الحق الذي يصح فعله، لكنني قضيت فترة الصباح كلها في فراشي، وكان عليّ في الظهيرة أن أذهب إلى حموي شقيقتي، حيث لم أذهب إليهما من قبل، وكانت الساعة قد بلغت السادسة، عندما عدت مرة أخرى إلى مقر عملي لأسأل إن كان ثمة برقية تنتظرني فلم أجد شيئًا. في العمل عندئذ؟ قلت لنفسي، اذهب وألق نظرة على برنامج المسرح، ذلك أن ج. في عجلته، كان قد ذكر في

نحو عارض تمامًا أن شتاشا ستذهب لمشاهدة أوبرا لفاجنر يوم الإثنين،
وها أنا أقرأ الآن أن البرنامج يبدأ في الساعة السادسة، وفي السادسة كان
موعدنا سيئ، وما هو العمل الآن؟ أذهب وأطلع إلى ذلك المنزل في ممر
الفاكهة، إنه ساكن، لا أحد يدخله، ولا يخرج منه، ويتنظر المرء برهة إلى
جانب المنزل، ثم في الجانب الآخر، ولا شيء، مثل هذه البيوت تبدو
أكثر حكمة من الناس الذين يتطلعون إليها!

والآن، في داخل مبنى لوسيرنا حيث جرت العادة على أن يقام معرض
(دويرى ديلو)^(١)، فلم أجد ثمة معرض هناك، وعلى هذا فإلى شتاشا،
وهي مغامرة يمكن القيام بها حيث إنها ليست في منزلها الآن بكل تأكيد.
منزل هادئ جميل، وحديقة صغيرة خلفه، وفوق باب الشقة قفل، وعلى
هذا ففي وسع المرء أن يرن الجرس دون خوف من العقاب، وفي أسفل
الدرج جرت مناقشة قصيرة مع حارسة الباب لمجرد أن أنطق الكلمات
«ليترج». و«ج» ذلك أنه «يا ميلينا» لم يكن هناك للأسف أدنى فرصة،
والآن؟ الآن يقع أشد الأمور غباء على الإطلاق، لقد ذهبت إلى مقهى
أركو^(٢)، حيث لم أذهب منذ سنوات طويلة، لعلمي أجد أحدًا يعرفك،
ولحسن الحظ لم يكن هناك أحد، وكان في مقدوري أن أغادر المكان في
الحال، لا تكثري من مثل أيام الأحاد هذه، يا ميلينا!

ف

(في الهامش الأيمن): لم أستطع بالأمس أن أكتب، كل ما في فيينا
كان شديد التجهم أمامي.

(١) أتيليه للفن التطبيقي.

(٢) مقهى في (هيبيرنسكا أوليتشي)، يؤمّه الكتاب والفنانون.

الثلاثاء، بعد ذلك بوقت قليل

كم يبدو عليك التعب البالغ من رسالتك التي وصلتني مساء السبت، كان لديّ الكثير مما يمكنني أن أقوله لتلك الرسالة، لكنني لن أقول شيئاً من اليوم لتلك الفتاة المتعبة، فأنا أيضاً متعب، وقد أحسست بالفعل منذ مجيئي من فيينا للمرة الأولى برأسي المرهقة إرهاقاً شديداً، رأسي المعذبة، لن أخبرك بشيء، بل سأجلسك في المقعد ذي المساند (أنت تقولين إنني لم أكن رقيقاً معك إلى حدّ كافٍ، لكن هل يمكن أن يكون هناك المزيد مما أحظى به من الحب والشرف، أكثر مما تحظين به أنت منهما بجلوسك هناك، وسماحك لي بالجلوس أمامك، وبأن أكون في صحبتك). وهكذا فأنا أجلسك الآن في مقعدك ذي المساند، ولست أدري كيف يمكنني أن أنال تلك السعادة بالكلمات والعيون، والأيدي، والقلب البائس، والسعادة بأنك هنا، وأنتك تنتمين إليّ. ولعلك لست أنت من أحبها حقاً، بل هو الوجود الذي وهبته يداك.

عن ل، لن أذكر شيئاً اليوم، ولن أذكر شيئاً عن الفتاة، سوف يأخذ هذا كله مجراه على نحو ما - كم يبدو هذا كله بعيداً.

ف

كل ما تقولينه عن «عازف الكمان البائس» صحيح، وعندما قلت إنها لا تعني شيئاً بالنسبة لي، قلته فقط بدافع الحذر، ذلك أنني لم أكن متأكداً كيف سيمكنك أن تمضي بها إلى نهايتها، وأيضاً لأنني كنت خجلاً من

القصة، وكأنني قد كتبتها بنفسني. لقد بدأت بالفعل بداية خاطئة، إن بها عددًا من الملاحظات الغريبة، الهابطة - الخاطئة وبها فقرات متكلفة تجعل المرء يحمر خجلًا (يلاحظ المرء ذلك خاصة عندما يقرأها بصوت عال، يمكنني أن أشير لك إلى تلك الفقرات)، وهذا النوع من التمرين الموسيقي، هو حقًا اختراع غريب بئس، يكفي لكي يستفز الفتاة حتى تلقي - في غضب زائد، سوف يشاركها فيه العالم كله وأنا قبل الجميع - نحو تلك القصة، بكل شيء تصل إليه يداها في حانوتها، حتى تتلاشى تلك القصة التي لا تستحق شيئًا أكثر من ذلك، وتحلل إلى عناصرها الأولى. ويجب الاعتراف كذلك، بأنه ليس هناك مصير لقصة أجمل من أن تختفي هذه القصة، وأن تختفي على هذا النحو. إن القاص أيضًا، هذا المحلل النفسي غريب الأطوار، سوف يوافق في أعماقه على ذلك، فلعله أن يكون هو ذلك العازف الحقيقي البائس، الذي عزف هذه القصة بغاية ما أمكنه من النشاز؛ فنال على ذلك ثناءً مبالغًا فيه، بالدموع التي ندت عنها عيناك.

الأربعاء

لقد كتبت تقولين - نعم، أنت على حق، إنني أحبه، لكنني أحبك أيضًا يا فرانتس، إنني أقرأ هذه الجملة بغاية العناية، كل كلمة - خاصة تلك الـ «أيضًا» وأتوقف قليلًا، كل شيء على ما يرام، إنك لن تكوني ميلينا حقًا، إن لم يكن كل شيء على ما يرام، وأي وجود سيكون وجودي، لو لم توجدي، كما أنه من الأفضل أيضًا أنك قد كتبت هذه الرسالة من فيينا، ولم تكتبيها من براغ. كل هذا أفهمه حق الفهم، وربما كنت أفهمه أكثر

مما تفهمينه أنت، وإن كنت لشيء من الضعف، لم أستطع أن أحس بشيء من الألفة مع هذه الجملة، إن قراءتها لا تكاد تنتهي وإنني أكتبها لك مرة أخرى أيضًا؛ حتى يتاح لك أن تطلعي عليها، ونتمكن من قراءتها معًا، بينما يتلامس خداننا (شعرك يلامس خدي).

كنت قد كتب هذا عندما وصلتني كل من رسالتيك المكتوبتين بالقلم الرصاص. هل تخيلين أنني لم أكن أعرف أنهما ستصلان؟ كنت في أعماقي أعرف هذا حقًا، غير أن المرء لا يعيش دائمًا هناك، ويفضل بدلًا من ذلك أن يعيش فوق الأرض، كأشد المخلوقات بؤسًا. لست أدري لماذا تخشين من أن أفعل شيئًا بمفردي، ألم أكتب لك بوضوح كافٍ في هذا الشأن؟ وأنني بعد كل شيء قد أبرقت فقط للسيدة ك. ولأنني كنت على الأغلب طوال أيام ثلاثة تعسة، بلا أخبار، ولا رد على برقيتي، وكنت مدفوعًا على الأغلب إلى أن أعتقد بأنك كنت مريضة.

ذهبت بالأمس لزيارة طبيبي، فوجدني على نفس حالتي التي كنت عليها قبل ذهابي إلى ميران. إن الشهور الثلاثة قد مرت بالرئة دون أن تترك أثرًا، على الأغلب، يوجد المرض في أعلى الرئة اليسرى نشطًا كما كان من قبل. وقد اعتبر الطبيب هذه النتيجة، فشلًا، ورأى أنني في حالة حسنة، ذلك أنني كان من الممكن أن أكون في حال أسوأ، لو أنني كنت قد قضيت المدة نفسها في براغ! وهو يظن أن وزني لم يزدد مطلقًا، وأيًا كان الأمر، فقد ازددت، وفقًا لحساباتي نحو ثلاثة كيلو جرامات، وسوف يقوم الطبيب في الخريف بتجربة بعض الحقن، وإن كنت لا أظن أنني سأحتمل ذلك. عندما أقارن هذه النتيجة بالصورة التي بدت بها صحتك أنت أيضًا-

ذلك أنني لا أكاد أجدني بحاجة إلى أن أضيف ذلك، لأسباب ضرورية جدًّا، بالطبع - يبدو لي أحيانًا، عندئذ، أننا ستمكّن بدلًا من الحياة معًا، أن نستلقي فحسب في رضا، أهدنا بجانب الآخر لكي نستقبل الموت. لكن مهما يحدث من أمر فسيكون ذلك إلى جوارك.

أعرف - في الحقيقة، خلافًا لما يراه الطبيب، أنني لكي أشفى إلى حد ما، فإنني أحتاج فقط إلى الهدوء، وإن يكن نوعًا خاصًا من الهدوء، أو لو نظرنا إلى الأمر من زاوية أخرى، لبدا لي أن ما أحتاجه هو نوع خاص من القلق.

إن اليوم، هو يوم عيد فرنسي قومي، وفي الشارع تحتي قوات راجعة من الاستعراض^(١)، إن لها- وأحس بهذا وأنا أتنسم نفحات رسائل- شيئًا ما يوحي بالعظمة، ليس هو الأبهة، ولا الموسيقى، ولا الخطوات العسكرية، ولا المظهر التقليدي الذي يتخذه الرجل الفرنسي، وأنه قد خرج لتوه من قالب (شمع ألماني)، في سراويله الحمراء، ومعطفه الأزرق، وهو يتقدم فرقة، لكن ثمة مظهرًا للقوة، ينادي من الأعماق: «ومع ذلك، أيتها المخلوقات الخرساء، المتحركة السائرة التي توحى بالثقة إلى درجة العبودية مع ذلك لن نتخلى عنك مهما اشتدت حماقتك، بل إننا لن نتخلى عنك بسبب حماقتك قبل أي شيء آخر»، ويحذق المرء بعينين مغلقتين في تلك الأعماق، على حين يكون غارقًا فيك.

لقد أحضروا لي أخيرًا كومة الملفات التي ظلت تتراكم في انتظاري. تصوري، لقد كتبت منذ عودتي إلى مكثبي ست رسائل عمل بالضبط،

(١) كان يحتفل بيوم ١٤ يوليو أيضًا في براغ.

ولقد صبروا على ذلك، ومما يرضيني رضا بالغاً، أنني لم أتمكن من أن أبدأ كل ذلك العمل الذي ينتظرني حتى اليوم بسبب الكسل الذي انتشر في المؤسسة حتى تراكم كل ذلك العبء في انتظاري. لكن ها هو العمل أمامي الآن. لا شيء من هذه المسائل، رغم انشغالي بها، قد حرمني من أن أنال قسطاً كافياً من النوم. اليوم، مع ذلك، ما يزال الأمر سيئاً إلى حد ما.

ف

الخميس

سأكتب سطرًا آخر قبل الذهاب إلى عملي، فلم أكن أقصد إلى ذكره، ذلك أنه كان يمسك بخناقٍ طوال ثلاثة أيام، لم أقصد أن أذكره لك الآن على الأقل، بينما تخوضين أنت هذه المعركة الرهيبة هناك. لقد تعمدت أن أبقى صامتًا غير أن هذا بدا مستحيلًا، إنه جزء منها، وهي على أية حال معركتي، ولعلك قد لاحظت أنني لم أذوق طعمًا للنوم ليالي عديدة، إنه «الخوف» ببساطة، إن ذلك حقيقة أمر يجردني من إرادتي، ويطوح بي هنا وهناك كما يحلو له. لم أعد أستطيع التمييز بين الأعلى والأسفل ولا بين اليسار واليمين، وبالإضافة إلى ذلك، فإن رسائلك الأخيرة تتضمن ملاحظتين أو ثلاثًا أسعدتني، وإن كنت سعيدًا فقط بصورة يائسة، ذلك أن ما ذكرته أنت في هذا الصدد قد أقنع العقل في الحال، والقلب، والجسد، وإن كان هناك ثمة مكان أبلغ عمقًا، لست أدري مكانه، لا يمكنه فيما يبدو أن يقتنع بأي شيء. كما أن ما يساعد، أخيرًا على إضعافي هو ذلك الأثر المهدئ، ذلك التأثير العجيب الذي يبعثه فيّ قربك الجسدي الذي يتلاشى

بمرور الأيام. فلو أنك فقط كنت هنا إلى جانبي بالفعل! لكن لما لم يكن شيء من هذا، فإنني وحدي هنا الآن، لا أحد معي سوى الخوف وحيدين نتخبط معًا خلال الليالي. ثمة ما هو مهم للغاية، في الحقيقة، في أمر هذا الخوف (الذي يبدو وكأنه قد اعتاد دائمًا أن ينزع نحو المستقبل فحسب، لا، ليس هذا صحيحًا) شيء يمكن تفسيره، بمعنى ما، بتلك الحقيقة التي يشير لي إليها باستمرار، وهي ضرورة التسليم التام: إن ميلنا، هي أيضًا، مجرد كائن بشري. إن ما تقولينه في هذا المجال، هو في الحقيقة قول بالغ الجمال وصادق حتى أن المرء يود لو لم يسمع شيئًا آخر سواه مطلقًا، بعد أن استمع إليه، غير أن تصريحك بأن ما يحدث هنا ليست له أهمية بالغة، هو تصريح لا يزال موضع خلاف شديد. ليس هذا الخوف، مع ذلك، هو خوفي كله - إنه مجرد جانب منه فقط. ومما يؤسف له أنه حقًا كذلك - وإن يكن أيضًا هو الخوف الذي يلزم كل أشكال الإيمان منذ بدء الخليقة.

إن استمراري في الكتابة لك عن هذا، يبعث البرودة في رأسي بالفعل.

الخميس، بعد قليل

وصلتني رسالة الليل و- «الديك الأبيض»^(١)، ورسالة الإثنين، والرسالة الأولى هي رسالتك الأخيرة فيما يبدو، وإن لم يتأكد لي ذلك تمامًا. لقد قرأتها فقط قراءة أولى مسرعة. ويجب عليّ أن أبعث إليك بالرد في الحال، وأن أسألك ألا تسيئي الظن بي. ليست هي الغيرة، إن الأمر

(١) «الديك الأبيض» هو مطعم في فيينا، كانت ميلينا تتناول فيه وجباتها من حين لآخر.

لا يخرج عن أن أفكارى تتواثب حولك، لأنني أردت أن أمسك بك من كل الجوانب، ومنها جانب الغيرة أيضًا، وإن كان ذلك أمرًا سخيًّا، لن يحدث مرة أخرى، فمرجع ذلك فقط إلى الأحلام المرضية التي تسببها الوحدة. وتساورك أيضًا الأفكار الخاطئة عن ماكس، بالأمس أبلغته أيضًا على الرغم مني تحياتك إليه (انظري إلى ما سبق) ذلك أنه كان يتلقى تحياتك باستمرار. ولما كانت لديه التفسيرات لكل شيء، فقد قال إنك ربما كنت ترسلين إليه بتحياتك المتصلة، فقط لأنني لم أبلغك من قبل بتحياته الحارة لك، وكان عليّ لهذا أن أبلغك أخيرًا بتحياته، على حين،ؤكد لك هذا مرة أخرى، قد أعود إلى إهمال هذا الواجب، على أنني سأحاول أداء هذا الواجب ما أمكنني.

أما في غير ما يتعلق بهذا، فلا تقلقي عليّ بحال من الأحوال، فسوف يكون قلقك عليّ هو القشة الأخيرة. فلو لم يكن ذلك «الخوف» الذي ظل يمسك بخناقى لعدة أيام، والذي شكوت لك منه هذا الصباح، لكنت على الأغلب، على غاية ما يرام. بالمناسبة، ماذا كان السبب، في قولك عندما كنا معًا في الغابة إنك أيضًا، لم تكوني قد تصورت الأمر على نحو يخالف ذلك؟ كان ذلك هناك في الغابة، في اليوم التالي. إنني أرتب الأيام في وضوح - كان اليوم الأول هو الشك وكان الثاني هو الثقة البالغة، والثالث كان الشعور بوخز الضمير، وكان اليوم الرابع هو أجمل تلك الأيام الأربعة. عليّ الآن أن أذهب لحضور حفل قران شقيقتي - لماذا، بالمناسبة، أكون كائنًا بشريًّا في الوقت الذي أتحمّل فيه كل عذابات هذا الوضع بالغ الاضطراب، الذي يزرع تحت هذه المسؤولية المرهقة؟ لماذا لا أكون،

مثلاً، ذلك الدولاب السعيد في حجرتك، ذلك الدولاب الذي يتطلع إليك مباشرة عندما تجلسين في المقعد ذي المساند، أو عندما تجلسين إلى مكتبك أو عندما تستلقين، أو تأوين إلى النوم (نومًا هنيئًا)، لماذا لا أكون ذلك الدولاب؟ ذلك لأنني سأنهار تحت وطأة الأسى، لو أنني اطلعت على آلامك، في خلال تلك الأيام الأخيرة الماضية، وربما حدث لي ما هو أكثر من ذلك - هل تغادرين فيينا.

ف

إن شعوري بأنك ستحصلين قريبًا على جواز سفر، يعزيني كثيرًا.

الخميس

وضعت بعد الظهر، زهرة ريحان، في عروة سترتي، وكنت في حالة عادية تقريبًا على الرغم من رأسي المرهق (الفراق، الفراق!) أحسست بالألفة خلال وليمة العرس، وسط شقيقات زوج أختي الطيبات ولقد تحطمت مع ذلك، الآن.

أية حياة سهلة تلك الحياة التي سنمضيها معًا - تصوري الكتابة عن حياتنا هذه معًا، إنني لست سوى شخص أحرق! - سؤال وجواب، وأحدنا في مواجهة الآخر. والآن عليّ أن أنتظر على الأقل حتى يوم الإثنين حتى يصلني ردك على رسالتي التي كتبتها لك صباح اليوم.

حاولي أن تفهميني، واحتفظي بي في قلبك.

ف

الإثنين

لقد أسأت فهم عدة أمور، يا ميلينا:

أولاً: أنا لست مريضاً إلى هذا الحد، وعندما استطعت أن أنام قليلاً، أحسست بتحسن لم أحسه في ميران. إن أمراض الرئة هي عادة، أحب الأمراض جميعاً وخاصة في صيف دافئ. كيف سيتسنى لي أن أقاوم الخريف القادم، هذا سؤال آخر أيضاً. لديّ في هذه اللحظة بضع شكاوى قليلة بسيطة منها، مثلاً، أنني لا أستطيع القيام بأي عمل رسمي في المكتب، وعندما لا أكون جالساً للكتابة إليك، فإنني أستلقي في مقعدي ذى المساند، وأحدق من خلال النافذة، وتتاح لي الرؤية الواضحة؛ لأن المنزل الذي يواجهني يتكون من طابق واحد فحسب. لا يمكنني أن أزعم بأنني أحس انقباضاً خاصاً عندما أتطلع من خلال النافذة على هذا النحو - لا، لست أشعر بشيء من هذا مطلقاً، إن ما أشعر به هو أنني لا أستطيع أن أخلص نفسي من مواصلة التطلع عبر النافذة على هذا النحو.

ثانياً: إنني لست في حاجة مطلقاً إلى النقود، إن لديّ منها ما يزيد على حاجتي، بعض هذه النقود - النقود المخصصة لإجازتك مثلاً - تضايقني فعلاً - بوجودها معي.

ثالثاً: إنك تسهمين مرة أخرى مساهمة فعالة في شفائي، وأنت تواصلين الإسهام بذلك كل لحظة، في رعايتك لي بأفكارك.

(في الهامش الأيسر): عليك بعد هذا، أن ترتاحي مطمئنة، كاطمئنانني، سأبقى منتظراً في آخر يوم، كما انتظرت في اليوم الأول.

رابعاً: إن كل ما قلته أنت في شيء من الشك عن رحلة براغ، كان حقاً بالفعل. كان «حقاً» كذلك ما أبرقت لك به، على الرغم من أن ذلك كان يدور حول حديثك إلى زوجك وأن ذلك كان بالفعل هو الشيء الوحيد الذي كان «يحق» لي أن أفعله، اليوم، في الصباح الباكر، مثلاً، انتابني «الخوف» فجأة «الخوف» بدافع الحب. انتابني «الخوف» البالغ من أن تحضري فجأة إلى براغ، يدفعك إلى ذلك وهم طارئ. لكن هل يمكن حقاً لوهم أن يدفعك أنت يا من تعيشين حياتك بهذا العنف، إلى أن تحسمي أمراً، أنت يا من يدفعك العنف الذي تعيشين به حياتك إلى أعمق أعماق هذه الحياة؟ إن وهماً لم يكن ليضلك حتى في أيام ثيينا. فهل لم يكن لنا حتى عندما كنا هناك، أن نعزو أموراً كثيرة إلى أملك اللاشعوري في رؤيته^(١) ثانية في المساء؟ ليس لديّ المزيد مما يمكنني أن أقوله في هذا الشأن. أو أن لديّ هذا فحسب. حقيقتان جديدتان علمت بهما أخيراً من رسالتك: أولهما خطة هيدلبرج، والأخرى، خطة باريس، وفكرة البنك^(٢)، يتبين لي من الأولى أنني أنتمي في نهاية الأمر إلى صفوف «المتقنين» و«المغتصبين»، وإن كنت من ناحية أخرى لا أنتمي إلى صفوف هؤلاء، ويتبين لي من الأخرى أن هناك أيضاً، على الرغم من كل شيء، حياة مدخرة للمستقبل - خططاً، واحتمالات، وآمالاً، وآمالك أيضاً.

خامساً: جانب من تعذيبك البالغ لنفسك - وهو العذاب الوحيد الذي انعكس عليّ - لمسته من كتابتك إليّ كل يوم، قللي من كتاباتك

(١) عن الزوج.

(٢) خطة الزوج، فقد كان موظفاً في أحد البنوك، لكنه لم يكن راضياً عن عمله فيه.

إليّ، وسوف أواصل كتابة بضعة سطور كل يوم لك، لو شئت، وسوف يتحقق لك أيضًا مزيد من الهدوء اللازم للعمل الذي يوفر لك المتعة.

أشكرك على رواية (دوناديو)^(١) (هل يمكنني أن أرسل إليك بعض الكتب؟) لعليّ لن أتمكن من قراءتها الآن، وهذه أيضًا شكوى صغيرة أخرى: لا أستطيع القراءة، وإن كان هذا من ناحية، لا يضايقني بصفة خاصة. إن القراءة مستحيلة بالنسبة لي وحسب. ثمة مخطوط ضخّم كتبه ماكس بعنوان (اليهودية، والمسيحية، والوثنية - كتاب رائع) عليّ أن أقرأه، وهو يلح عليّ بالفعل لكي أقرأه، إلا أنني لم أكد أشرع في قراءته، حتى جاءني اليوم شاعر شاب بخمس وسبعين قصيدة، بعضها يستغرق صفحات عديدة، ولن أشك في أنني سأجعل منه عدوًا لي مرة أخرى، كما اتفق لي أن أثرت عدواته لي مرة من قبل.

إنني أضمن رسالتي هذه رد الفتاة، الذي يمكنك على ضوئه أن تعيدي بناء رسالتي من جديد، وعلى هذا يمكنك أن تتبيني إلى أي حد قد خُذلت - وليس معنى هذا أنه لم تكن لديّ البصيرة بذلك. إنني لا أقدم بعد مزيدًا من الردود.

لم يكن ظهر الأمس أفضل كثيرًا عن ظهر يوم الأحد الماضي، لقد بدأ الأمر بالفعل بداية طيبة للغاية، وعندما غادرت المنزل لكي أذهب إلى الجبانة، كانت درجة الحرارة قد بلغت ٣٦ درجة في الظل، وكان عمال الترام قد قاموا بإضراب، وإن كنت قد ارتحت لهذا بصفة خاصة؛ لأنني

(١) (ماري دوناديو) رواية لتشارلس - لويس فيليب.

كنت أنوي السير على الأغلب، كما سبق أن قطعت الطريق سيرًا على قدمي يوم السبت ذاك إلى الحديقة الصغيرة التي بجوار البورصة، لكنني عندما بلغت الجبانة لم أتمكن من العثور على المقبرة، وكان مكتب الاستعلامات قد أغلق أبوابه، فلم أجد موظفًا واحدًا ولا عثرت على امرأة تعرف أي شيء، فلجأت إلى كتاب، غير أنه لم يكن الكتاب المطلوب، وعلى هذا أنفقت بضع ساعات متجولًا في أرجاء الجبانة وأخذتني الحيرة من طوال قراءتي للنقوش التي فوق شواهد القبور، ثم غادرت الجبانة، والحيرة ما تزال تسيطر عليّ.

ف

الثلاثاء

أمامي الآن البرقيتان اللتان بعثت بهما إليّ، إلا أن ما هو أهم من ذلك هو أنني أخيرًا، بعد ليلة قضيت أغلبها ساهرًا أجلس أمام تلك الرسالة التي أرى لها أهمية بالغة بالنسبة لي، لم يكن لي أن أكتب لك رسالة واحدة من تلك الرسائل التي كتبتها لك من براغ، أو أنه لم يكن لي على الأقل أن أكتب رسائلتي تلك التي كتبتها لك أخيرًا بصفة خاصة. هذه الرسالة هي فقط الرسالة الوحيدة التي كان يجب عليّ أن أكتبها لك، أو أنه كان ينبغي لي أن أكتب إليك، ما كتبت من رسائل، فلن يغير هذا من الأمر شيئًا، غير أن هذه الرسالة ستظل على رأس تلك الرسائل جميعًا ولن أتمكن لسوء الحظ من أن أقول لك أقل جانب مما قلته لك بالأمس، أو ما قلته لك في أثناء الليل أو في هذا الصباح، ومع ذلك، فإن الأمر الرئيسي هو: آيا

كان ما قد يقوله عنك الآخرون الذين يلتفون حولك في حلقة واسعة في وحشية مهما اتسم قولهم بالحكمة الرفيعة، (وإن كانت الوحوش لا تتخذ هذا المظهر)، وفي إلحاح، وفي تعاطف شيطاني، ومحبة مدمرة - فإنني أعرف، يا ميلينا، أعرف حتى آخر قطرة من دمي أنك مهما تفعلين، فإن ما تفعلينه لن يكون سوى الصواب، سواء بقيت في فيينا أو قدمت إلى هنا، أو ظلتت تحلقين بين براغ وفيينا، أو تفعلين الآن ذلك، وذلك بعد حين. ماذا يمكنني في النهاية، أن أفعل معك إذا لم أعرف ذلك؟ إن الحال معك كما هو الحال مع البحر العميق، فلا توجد أقل بقعة في أعماقه لا يقع عليها دائماً نفس الضغط الرهيب ولا هذا هو حالك، غير أن أية حياة أخرى هي عار، يتنابني السقم عندما تمر بخاطري، حتى ظننت أخيراً أنني لن أستطيع أن أحتمل الحياة، أو أطيق الناس، وكنت أشعر بالخجل البالغ من ذلك، لكنك تؤكدين لي الآن أنها لم تكن الحياة، تلك التي بدت لي غير محتملة.

لك

(في الهامش الأيسر): إنني في غاية الامتنان لخطة شيكاغو على شرط أن يكون ثمة مكان هناك أيضاً للصبية الذين يعهد إليهم بأداء الخدمات التي لا يستطيعون القيام بها.

بعد الظهر

لقد نجحت في الانصراف عن هذه الرسالة في أثناء الوقت الذي قضيته في مقر عملي، إلا أن العناء الذي تكبدته في محاولة انصرافي عنها لم يكن يسيراً. ففي هذه المحاولة كنت قد استهلكت تقريباً طاقتي كلها

فلم يتبق لديّ منها شيء أبدله في العمل.

عن رسالتك إلى شتاشا: جاء ج صباح الأمس لزيارتي، وقال إن رسالة منك قد وصلت، وأنه قد رآها موضوعة فوق المائدة عندما غادر منزله في وقت مبكر من الصباح، إلا أنه لم يعرف بعد ما الذي تتضمنه، وأن شتاشا ستخبرني بذلك في المساء، لقد أحسست بشيء من عدم الراحة أمام صداقته، على حين كنت أفكر في كل الأشياء، التي كنت السبب فيها على نحو ما، والتي قد تكون واردة في رسالتك، وقد اتضح في المساء، مع ذلك أنها كانت رسالة ودودة، وأنها قد بعثت فيهما الرضا، على الأقل إلى الحد الذي كانت توحى به لهجتها الودودة (إنني لم أطلع على الرسالة)، وفوق هذا كان ثمة كلمة شكر للزوج، لعلها قد ذكرت أمامي فقط من باب العلم، ولقد أسعدت هذه الكلمة شتاشا حقًا، وتألقت بها عينها إلى حد أكثر قليلاً من المعتاد. وعلى أية حال، ينبغي لي أن أقول إنهما شخصان رقيقان، وأن شتاشا بدت غاية في الجمال للحظة، عندما راحت تتأمل صورتك الفوتوغرافية، للحظة بدت فيها طويلة بصورة غير معقولة وكان يسيطر عليها الانتباه كذلك، والصمت والجدية. ربما ذكرت لك المزيد عن هذه الأمسية في وقت آخر، لقد كنت متعبًا، خاويًا، ضجرًا، مستسلمًا للهزيمة، فاطر الهمة، وكنت منذ البداية لا أرغب في شيء قدر رغبتني في الذهاب إلى الفراش (لقد طلبا مني أن أرسل إليك القصاصة المرفقة، وهو رسم رسمته شتاشا، بصحبة تفسير كتبه ج - كنا نتحدث عن وضع الحجرات في شقتك).

نصحتك بالأمس بعدم الكتابة إليّ يوميًا، وما يزال ها هو ما أراه

اليوم وسوف يكون هذا خيرًا لكلينا، ومرة أخرى أعود إلى هذا الاقتراح اليوم، وفوق ذلك فإنني أطلبه بمزيد من الإلحاح - فقط، أرجوك يا ميلينا ألا تلتزمي بهذا الاقتراح، بل اكتبي إليَّ يوميًا، على الرغم من ذلك، قد تكتبين في اختصار شديد، رسائل أقصر من الرسائل التي ترسلينها إليَّ الآن، سطرين فقط، أو سطرًا واحدًا، المهم هو أن حرمانني من هذا السطر الواحد، سيكون معناه عذابي الرهيب.

ف

الأربعاء

يستطيع المرء أن يحصل على نتائج خاصة في نهاية الأمر، لو أن المرء توافرت له فقط الشجاعة اللازمة لذلك.

أولاً: لعل جروس^(١) ليس مخطئًا إلى هذا الحد، بقدر ما أفهمه، فقد بلغه على الأقل أنني ما زلت على قيد الحياة على الرغم من أنني، تبعًا للتوزيع الخاص الذي توزعت عليه قواي الداخلية، كان ينبغي لي أن أكون قد مت بالفعل منذ وقت طويل.

ثانيًا: كيف ستتطور الأمور فيما بعد، ليست هي المشكلة، كل ما يمكنني أن أقول إنني متأكد منه هو أنني بعيدًا عندك لا يمكنني أن أحيأ إلا بالاستسلام للخوف، والاستسلام له أكثر مما يلزم، وهذا ما أفعله عن طيب خاطر، بكل الفرص أصب نفسي في الخوف.

(١) أوتوجروس محلل نفسي وفيلسوف كان يعيش في فيينا في ذلك الحين.

إنك على حق في لومك لي باسم الخوف، على سلوكي في فيينا، غير أن الخوف في هذا المقام هو أمر غامض حقًا، لا أعرف قوانينه الخاصة، كل ما أعرفه هو قبضته وهي تضغط على حنجرتي، وهذه هي حقًا أشد الأمور التي مرت بي أو يمكن أن تمر بي إزعاجًا.

ربما نتج ذلك عن أننا كلينا متزوجان، أنت في فيينا، وأنا متزوج هنا في براغ من خوفي، وأنت لست وحدك فقط الموثوقة بزواجك في غير طائل، بل إنني موثوق إليه أنا أيضًا في غير طائل، ذلك أنك لست أنك يا ميلينا لو أنك كنت مقتنعة بي تمامًا في فيينا (وحتى لو أنك كنت توافقيني على تلك الخطوة التي ترتابين في حكمتها)، فإنك حينئذ لن تكوني موجودة بعد في فيينا على الرغم من كل شيء، أو أنه لن يكون هناك بالأحرى معنى لكلمة «على الرغم من كل شيء». ذلك أنك ببساطة ستكونين في براغ، وسيكون كل ما تعزين به نفسك في رسالتك الأخيرة، هو في نهاية الأمر مجرد عزاء، ألا تظنين هذا؟

فلو حدث أن حضرت إلى براغ في الحال، أو لو قررت على الأقل أن تحضري إليها في الحال، فلن يكون هذا بالفعل برهانًا لك، فلست في حاجة إلى براهين لك، فأنت أبعد وضوحًا ويقينًا بالنسبة لي، بل سيكون ذلك برهانًا كبيرًا لي من كل شيء آخر، وهذا ما أفتقده الآن. على مثل هذا الخاطر يتغذى الخوف أيضًا، من وقت لآخر وربما كان الأمر، في الواقع، أسوأ من هذا كأن أكون أنا (المنقذ) أكبلك في فيينا على نحو لم يفعله سواي من قبل.

(إذن فقد كانت تلك هي العاصفة التي كانت تهددنا طوال الوقت،

عندما كنا في الغابة في ذلك اليوم، غير أننا كنا سعيدين مع ذلك. فلنواصل حياتنا إذن تحت تهديداتها، ما دام أنه لا يوجد أماننا مفر آخر،

لست أدري ما الذي تأخذينه على رسالة الفتاة. إن هدفها، ولأحاول أن أدفعك قليلاً إلى الغيرة، قد تحقق في نهاية الأمر. فماذا إذن؟

في المستقبل، سوف أخترع من وقت لآخر، رسائل مثل تلك الرسالة، وأكتبها لك بنفسى، وقد أخترع لك رسائل أفضل من تلك الرسالة، لكنها لا تتضمن رفضاً قاطعاً.

أرجوك أن تكتبي لي بضع كلمات عن عملك! كستا؟ ليا؟ كمن؟ بوليتيكا^(١)؟ ثمة شيء آخر أردت أن أقوله، لكن شاعراً ناشئاً كان هنا مدة أخرى، لست أدري لماذا ما إن يحضر إليّ شخص ما حتى أتذكر مستنداتي، ولا أستطيع طوال الزيارة أن أفكر في أي شيء آخر - إنني مرهق - ولا أستطيع أن أفكر في أي شيء، وأريد فقط أن أدفن وجهي في صدرك، وأحس بيدك، وهي تمسح على رأسي، وأن أظل هكذا إلى نهاية الأبدية.

لك

نعم، هذا هو ما أردت أن أقوله: ثمة حقيقة هائلة (بين غيرها من الحقائق) في رسالتك (أنك أساساً شخص ليست لديك أدنى فكرة عن تلك الأشياء التي هي من قبيل...) إن هذا حق بكل ما فيه. فلم يكن كل شيء سوى قذارة، وبغضاء وضيعة، وهبوط إلى الجحيم وإنني لهذا أقف

(١) مجلات وصحف تشيكية كانت تصدر في ذلك الحين.

بالفعل أمامك وكأنني طفل قد أتى أمرًا بالغ السوء، وهو يقف أخيرًا أمام أمه يصيح، ويصيح ويعدّها قائلاً: لن أفعل هذا مرة أخرى، غير أن الخوف إنما يستمد قوته من كل هذا قائلاً: «بالضبط، بالضبط، إنه لا يدري شيئاً!» إن شيئاً لم يحدث بعد! وعلى هذا فما يزال من الممكن إنقاذه!».

أفزعني رنين التليفون! إنها مكالمة من المدير! هذه هي المرة الأولى التي أدعى فيها منذ رجوعي إلى براغ إلى عمل رسمي. لقد انتهى الغش الآن أخيراً! إنني لم أفعل شيئاً طوال ثماني عشرة يوماً سوى كتابة الرسائل، وقراءة الرسائل، ثم أطلع بعد هذا عبر النافذة وأرفع الرسائل في يدي ثم أضعها، ثم ألتقطها مرة أخرى، وأستقبل أيضاً بعض الزوار، ولا شيء غير ذلك. غير أنني عندما هبطت الدرج في طريقي إليه، وجدته ودوداً، كان يتسم، وذكر لي شيئاً يتعلق بالعمل وإن كنت لم أفهمه، ثم ودعني لذهابه في إجازة- رجل رقيق على نحو لا يصدق (همهمت أنا في الحقيقة قائلاً في غير وضوح أنني قد فرغت تقريباً من إنجاز كل شيء وسوف أشرع في الغد، في إملائه)، وها أنا الآن أخط سريعاً تقريراً بهذا كله إلى ملاكي الحارس.

السبت

إنك تسيئين فهمي يا ميلينا إلى حد ما؛ إنني أوافقك على الأغلب موافقة تامة، ولن أوضح لك هذا بالتفصيل.

لا يمكنني أن أقول بعد إن كنت سأحضر إلى فيينا، أو أنني بالأحرى

أظن أنني لن أحضر، فبينما كانت لديّ ذات مرة أسباب عديدة تمنعني من الحضور، فإن لديّ اليوم سبباً واحداً فقط هو الذي سيمنعني - هو أن ذهابي قد يكون فوق طاقتي الروحية على الاحتمال، وعلى هذا يكون من الأفضل لنا جميعاً، وربما كان هذا سبباً آخر يترتب على ما سبقه، أن نبقى على ما نحن عليه، لكن يجب عليّ أن أضيف قائلاً بأن بقاءنا على هذه الحال سيكون بقدر الإمكان - لا، إن الأمر سيكون فوق طاقة احتمالي لو أنك حضرت إلى فيينا الآن، على الرغم من الظروف التي أوضحتها بنفسك، «حتى يكون هناك من ينتظرك».

لست أشعر بحاجة ماسة إلى أن أعرف ما أردت أن تخبريني به عن الشهور الستة. إنني مقتنع بأنه أمر مزعج، وإنني مقتنع أيضاً بأنك قد جربت أو حتى أتيت أموراً مزعجة، ومقتنع بأنني كشريك لك في هذا لم أكن لأحتمل ذلك (على الرغم من أنه كان يمكنني أن أحتمل كل شيء تقريباً، حتى منذ سبع سنوات)، وأنني مقتنع أيضاً بأنني لن يمكنني أن أحتمل ذلك حتى في المستقبل باعتباري شريكاً - حسناً، لكن ما هي أهمية هذا كله؟ فهل ما يهمني هو أعمالك وتجاربك أو أن ما يهمني بالأحرى ليس هو شخصك أنت؟ لكنني أعرفك معرفة تفوق كثيراً معرفتي لنفسي بصرف النظر حتى عن التقرير، الذي لا أقصد من خلاله أن أقول إنني لست معتاداً على الحال التي تبدو عليها يداي. إن رسالتك لا تعارض اقتراحي، بل هي على العكس من ذلك، لأنك تقولين: «إن أفضل ما يروق لي هو أن أجد طريقاً ثالثاً لخلاصي، طريقاً لا يؤدي إليك، ولا يلزمني بالسير إلى جانبه، طريقاً ينتهي بي على نحو ما إلى الوحدة»، إنه اقتراحي أنا ولعلك قد كتبت

في نفس اليوم الذي كتبته فيه إليك.

لا شك في أنه لن يمكنك، لو كان المرض قد بلغ هذ المرحلة أن تتركي زوجك ولو مؤقتاً وإن كان ذلك في نهاية الأمر، كما قلت أنت ليس مرضاً بلا نهاية، لقد تحدثت عن بضعة شهور، انقضى منها الآن بالفعل ما يزيد على الشهر، لكنه قد يصبح في غنى عنك بعد شهر آخر لبعض الوقت، حينئذ سيكون في شهر أغسطس، أو سبتمبر على الأكثر.

أعترف بالمناسبة أن رسالتك هي من تلك الرسائل التي لا أستطيع أن أقرأها في الحال، ولو أنني كنت على الرغم من ذلك قد التهمت سطورها أربع مرات، المرة بعد الأخرى، لما أمكنني على الأقل أن أنتهي الآن إلي رأي فيما جاء بها. ومهما يكن من أمر، فإنني أعتقد أن ما كتبته الآن له نصيب من الصحة.

لك

الأحد

بالإشارة إلى ما كتبته إليك بالأمس:

أحاول فيما يتعلق برسالتك أن أرى الموقف كله من زاوية أخرى كنت قد تجنبته حتى الآن، من هذه الزاوية يبدو كل شيء غريباً:

لم يكن الأمر، أننا كنا نتقابل أنا وزوجك من أجلك، إن هذا القتال قد قام فقط في نفسك، فلا كان القرار يتوقف على قتال بيني وبين زوجك، لكان كل شيء قد تقرر منذ زمن بعيد. إنني لا أبالغ في قدر زوجك على

الإطلاق، بل لعلني أن أكون أقلل من قدره، إلا أنني أعرف شيئاً واحداً، فلو أنه أحبني فإن حبه لي سيكون شيئاً من قبيل حب الثري للفقير (وهو شيء لا تخلو منه أيضاً علاقتك بي). فلست حقاً بالنسبة للحياة التي تعيشونها معه، سوى «الفأر» في «الدار العامرة» لا يتاح له سوى مرة واحدة فقط في العام، أن ينطلق فوق السجادة على هواه.

هذا هو النحو الذي يبدو عليه الأمر، وإنه لأمر غريب، وإن كان لا يدهشني، إن ما يدهشني وربما بدا لي أمراً لا يمكن فهمه مطلقاً هو حقيقة أنك أنا يا من تعيشين في هذه «الدار الكبيرة» وتتمين إليها بكل حواسك، وتستمدين منها أقوى ما في حياتك، وتمارسين إحساسك بأنك ملكة عظيمة في إطارها - قد تجددين، مع ذلك (وأدرك هذا على وجه اليقين) القدرة ليس فقط على أن تحبيني، بل أكثر من هذا، على أن تكوني لي، وأن تنطلقني مسرعة فوق سجادتك أنت.

غير أن هذا مع ذلك ليس هو غاية ما يدهشني. فما يدهشني ينحصر في حقيقة أنك لو كنت قد رغبت في المجيء إليّ، وأنك على هذا لو كنت قد رغبت - بعد تدبر متزن للأمر - في أن تنبذي العالم بأكمله في سبيل أن تهبطي إليّ، إلى تلك الأعماق التي لن يتراءى لك فيها، عندما تتطلعين إليها من مكانك الممتاز، ليس فقط القليل، بل إنها سوف تتكشف لك بالفعل عن لا شيء، وأنك لهذا الغرض - ويا للغرابة، يا للغرابة الشديدة - لن يكون عليك أن تصعدي إلى تلك الأعماق السفلى، بل سيكون عليك أن تتجاوزي ذاتك، على نحو يفوق طاقة الإنسان العادي، ستجاوزين نفسك بغاية القوة، حتى إنك وأنت تفعلين هذا، قد تتمزقين إلى أشلاء،

وتتعرّين، وتتلاشين (وسوف يحدث لي هذا، معك أيضًا بلا شك). كل هذا، لكي تبلغني مكانا لا يتمتع بأية جاذبية، هو المكان الذي أستقر أنا فيه، في غير سعادة أو تعاسة، بلا فضل ولا جريرة، وإنما أستقر فيه فحسب، لأنني وجدّتي قد وُضعت فيه. لست أحسب نفسي في وضع يخالف في قليل أو كثير، وضع بقال، قبل الحرب، في إحدى الضواحي التي تحيط بك، بالنظر إلى مراتب البشر (لست عازفًا أيضًا، حتى هذا لا أحسبني منه في شيء). فلو أنني كنت قد حصلت على مكاني هذا بالقتال - ولم يحدث لي أن قاتلت لبلوغه - فلن يعد هذا فضلًا يحسب لي.

إن ما كتبتَه إليّ عن الجذور، شيء بالغ الوضوح، إنه يبدو لي كذلك حقًا. ذلك أن الواجب الرئيسي في (تورناو) لم يكن سوى البحث أولاً عن الأفرع، وانتزاعها. فإذا ما تم العثور في لحظة ما على الجذر الأساسي، عندئذ يكون العمل الحقيقي قد تم إنجازه حقًا، ذلك أن كل ما على المرء أن يفعله لم يكن حتى الآن سوى أن يواصل ضرب هذا الجذر بجاروف، وأن يفرغ من تحطيمه تمامًا. وما يزال في وسعي حتى الآن أن أسمع صرير تحطمه يتردد في أسماعي. في ذلك الوقت كان انتزاعه سهلاً بالطبع، ذلك أنها كانت شجرة يعرف المرء أنها سوف تواصل نموها مترعة في تربة أخرى، على أنها لم تكن على أية حال شجرة بعد، بل كانت طفلاً.

تحدثت بالأمس مرة أخرى إلى ل، وأظن أننا قد اتفقنا في الرأي بقدر ما سمحت له به درجة ارتباطه بالأمر. ثمة أشياء عديدة تحسب له، منها مثلاً أنه كان يلم شتات نفسه على نحو ما عندما كان حديثنا يتناولك، نعم، إن له على أية حال، قلبًا طيبًا. ما الذي قاله لي؟ حسنًا، لقد التقيت

به مرتين، وقد ذكر لي أساسًا في كلتا المراتين نفس القصة، بكثير من التفاصيل الثانوية، وموضوع قصته هي فتاة، مخطوبة لشخص ما، جاءته بقصد الزيارة، وعلى الرغم من ضيقه البالغ بها، بقيت معه فترة تتراوح بين ثماني وعشر ساعات (فتاة في شقته الخاصة في الصباح، والأخرى في مكتبه الصحفي ليلاً، هذه هي طريقته في توزيع الأضواء). أوضحت له أنه لا بد أن تناله، وأنه إن رفض ذلك فسوف تلقي بنفسها من النافذة. وقد رفض هو طلبها في الحقيقة، وأفسح لها الطريق إلى النافذة. وبالرغم من أن أيًا من الفتاتين لم تقفز من النافذة فإن شيئًا مخيفًا بدلًا من ذلك قد حدث، انتابت إحدى الفتاتين نوبة من الصراخ الهستيري، على حين أن الفتاة الأخرى - لقد نسيت الآن في الحقيقة ماذا جرى لها.... ولست أنكر في نهاية الأمر أن يكون هذا كله، أو حتى ما هو أسوأ منه، قد حدث بالفعل، غير أن الشيء الوحيد الذي لا يمكنني أن أفهمه هو لماذا بدا لي ذلك أمرًا يبعث على الضيق.

ثمة فقرة جيدة، بالمناسبة، قد وردت في تلك الحكايات التي تدور حول فتاته المخطوبة تلك، فوالدها يعاني منذ سنتين من داء السوداء، وتقوم هي على تمريضه. وكان لا بد أن تبقى نافذة حجرة المريض مفتوحة دائمًا، لكن ما إن تمر بها إحدى العربات حتى يتحتم إغلاقها بسرعة للحظة، ذلك أن الأب لا يحتمل الضوء، وكانت الابنة هي التي تقوم بإغلاق تلك النافذة. أضاف ل. عندما ذكر لي هذا قائلاً: «تصور! أخصائية تاريخ الفن هذه!» (إنها بالفعل متخصصة في تاريخ الفن).

وقد أطلعني كذلك على صورتها الفوتوغرافية، فرأيت فيها وجهًا

يهوديًا، قد يكون جميلًا، وإن بدا لي سوداويًا، ذا أنف مفرطحة، وعينين متتاقتين، وبدين طويلتين ورققتين، وكانت ملابسها غالية.

تسأليني عن الفتاة، ولست أعرف شيئًا جديدًا عنها، منذ أن سلمتني رسالتها إليك، لم أرها حتى الآن. ولقد كنت بالفعل على موعد معها، لكن كان ذلك عندما بدأت تصلني رسائلك الأولى التي تتناول مناقشاتك مع زوجك. لم أجد ما يدفعني إلى الحديث إليها؛ ولهذا أرجأت لقائي بها موضحةً لها الأسباب الحقيقية التي دفعتني إلى ذلك، وإن كنت قد أوضحت لها تلك الأسباب بصورة ودية كما بدا لي. ثم كتبت إليها فيما بعد رسالة أخرى، لكن اتضح لي أنها قد أساءت فهمها. فلقد تلقيت منها ردًا عبارة عن رسالة تهذيبة كرسائل الأمهات (طلبت مني فيها، بين أشياء أخرى أن أخبرها بعنوان زوجك) ولقد أرسلت إليها في الحال ردي الذي يقتضيه ذلك بالبرق. حدث هذا بالفعل منذ أكثر من أسبوع، ولم يصلني منها شيء آخر بعدئذ، وعلى هذا فلست أعرف حتى ما الذي رددت به أنت عليها، ولا ماذا كان وقعه عليها.

تقولين في رسالتك أنك قد تحضرين إلى براغ في الشهر القادم، وأحس على الأغلب برغبتي في أن أقول لك لا تحضري... امنحيني الفرصة كي أعيش على أمل أنك، لو قدر لي ذات مرة أن أطلب منك أن تحضري، عندما تمس حاجتي إليك، سوف تحضرين في الحال، لكن من الأفضل ألا تحيئي الآن، فمجيئك الآن معناه فقط أنك سوف ترحلين ثانية.

(في الهامش الأيسر): أعرف ردك لكنني أُرغب في أن أراه كتابة.

فيما يتعلق بأمر المتسولة، لم يكن بلا شك ثمة ما هو حسن أو ما هو

سبيء، فقد كنت ببساطة إما شاردًا غاية الشroud، أو كان يستغرقني الانشغال بأمر ما، حتى أسلك على نحو آخر، سوى سلوكي الذي يتصل بذكريات غامضة. بين ما أذكره في هذا الشأن، على سبيل المثال، ما يقول: «لا تعط المتسولات الكثير، فسوف تندم على ذلك فيما بعد». حصلت ذات مرة عندما كنت صبيًا صغيرًا جدًّا، على قطعة عملة من فئة الـ (زشرل)^(١)، وأحسست برغبة شديدة في أن أعطيها لمتسولة عجوز كانت تجلس بين الساحتين الكبيرة، والصغيرة. لكن المبلغ بدا لي ضخمًا، مبلغ لعل متسولة لم تتلق مثله من قبل مطلقًا - لهذا أحسست بالخجل وأنا أقف أمام المتسولة لإقداامي على الإتيان بأمر كهذا لم يسمع بمثله من قبل. لكنني كنت أحس بأنه لا بد لي من أن أمنحها إياه؛ لهذا استبدلت تلك القطعة بعشرة كروسترات ومنحت المتسولة واحدة منها، ثم أسرع، فدرت حول مبنى مجلس المدينة الهائل دورة كاملة، واخترقت البواكي القريبة من الساحة الصغيرة، وعدت من الناحية اليسرى، وكأنني محسن جديد آخر، ومنحت المتسولة قطعة أخرى من العملات الصغيرة، وانطلقت أجري مرة أخرى، وقمت بهذه الجولة بالفعل عشر مرات (ولعلني لم أتم دوراتي عشرًا بالضبط، ذلك أن المتسولة فيما أعتقد نفذ صبرها بعد ذلك واختفت). كنت على أية حال، قد أرهقت قواي إرهاقًا شديدًا عندما كنت أوشك على إتمام مهمتي، ورغبتني في الإحسان كانت قد خبت هي أيضًا، حتى وجدنتني أتجه مباشرة إلى منزلي، ورحت أصرخ حتى أعطتني أُمي قطعة أخرى من نفس الفئة عوضًا عن تلك التي فقدتها.

(١) قطعة عملة تساوي ١٠ كرويتسر، في عهد الحكم النمساوي الهنغاري.

ترين من هذا أنني سيئ الحظ مع المتسولات، لكنني مع ذلك أصرح لك بأنني على أتم الاستعداد لأن أمنح كل ثروتي الحاضرة والمقبلة، بعد إبدالها بأصغر العملات الورقية المتداولة في فيينا، لمتسولة تقف على باب الأوبرا، على شرط أن تكوني أنت موجودة عندئذ، وأن أحس بقربك.

فرانتس

الثلاثاء

بين الإملاءات التي انتهت منها أخيراً اليوم:

تسلمت رسائلك القصيرة المرححة أو التلقائية على الأقل كرسالتك اللتين تسلمتهما اليوم. في هاتين تفوح بالفعل في الغالب (في الغالب، في الغالب، في الغالب، في الغالب) رائحة الغابة، وريحها في أكمامك، فيهما كذلك لمحة من فيينا. ما أجمل أن أكون برفقتك يا ميلينا!

أرسلت الفتاة لي اليوم رسالتك دون أدنى تعقيب، فقط خطت تحت بضعة أسطر قلائل منها بالقلم الرصاص. من الواضح أنها غير مقتنعة بها - حسناً؟ مثل كل الرسائل المغطاة بالعلامات المكتوبة بالقلم الرصاص، كان بهذه الرسالة بعض الأخطاء، وعند التطلع إليها بدا لي كم كان مستحيلاً ذلك الذي طلبته منك الفتاة بتلك الرسالة، وأسألك المرة بعد المرة أن تغفري لي، سوف أسألها أن تغفر لي في الحقيقة، هي أيضاً، ذلك أنه أيّاً كان النحو الذي كُتبت عليه تلك الرسالة فإنه كان مقدراً له أن يؤلمها. وعندما كتبت أنت مثلاً، بغاية الحرص: «لأنه لم يحدث له مطلقاً

لا أن كتب لي عنك، ولا تحدث عنك إليّ» فلا بد أن ذلك قد سبب لها أذى، كما يمكن أن يسبب لها عكس ذلك، الأذى هو أيضًا، اغفري لي، مرة أخرى.

لقد ساعدتني بالمناسبة مساعدة بالغة برسالة أخرى، هي رسالتك إلى شتاشا.

الخميس

إنها ملاحظة بالغة السحر، تلك الملاحظة التي أبدتها شتاشا، وإن يكن في غير استطاعة المرء أن يستنتج من تلك الملاحظة أنها كانت تختلف في تلك الأيام عما هي عليه الآن، فلا أثر لوجودها الشخصي في هذه الملاحظة. إنها تتحدث نيابة عنك، وثمة رباط لا يكاد يصدقه المرء بينها وبينك، رباط يكاد يكون مقدسًا، مثلها كمثّل شخص، لأنه هو نفسه لا يكاد ينعكس عليه أدنى أثر (ذلك أنه لا يجروء على أن يكون أكثر من مجرد وسيط) ينقل ما قد سمعه، وما ينقله بالطبع - إن هذا الشعور مهم، وإليه يرجع كبرياء وروعة الأمر كله - ليس سوى ما كان مسموحًا له بأن يسمعه وأن يدركه. غير أنني لا أظن أنها قد تغيرت منذ تلك الأيام، ويمكنها في ظروف مماثلة أن تكتب ملاحظة كهذه الملاحظة التي كتبتها اليوم.

غريب أمر ما يتعلق بتلك القصص. ليس كونها قصصًا يهودية هو ما يحزنني، ولا أنا حزين لأن الطبق إن وضع ذات مرة فوق المادة، تعين

على كل يهودي أن يتناول نصيبه من الطعام المخيف السام، ذلك الطعام المشترك القديم أيضًا، والأبدي أساسًا - ليس هذا هو السبب في أن تلك القصص تحزنني. ألا تمدين لي يدك على الرغم من هذا كله، وأن تتركها في يدي وقتًا طويلًا، طويلًا؟

عشرت بالأمس على المقبرة. لو أنك بحثت عنها بخوف فإنه ليستحيل عليك على الأغلب أن تعثري لها على أثر. إنني لم أتأكد من أنها مقبرة أقارب والدتك، كما أنه ليس في مقدور المرء أن يقرأ النقوش على شاهدها - لقد كاد الذهب أن يتقشر تمامًا على الأغلب - ما لم ينحن المرء إلى أسفل في اهتمام. ولقد أنفقت وقتًا طويلًا هناك، إنها مقبرة جميلة لا تبدو أحجارها قابلة للبلل، وهي تفتقر من ناحية أخرى إلى الزهور افتقارًا تامًا، على أنه ما نفع كل تلك الزهور على المقابر - إنني لم أتمكن مطلقًا من أن أفهم تلك النقوش التي على شاهدها فهمًا تامًا.

لقد وضعت بعضًا من القرنفل متعدد الألوان على حافة المقبرة مباشرة. ولقد أحسست بالراحة في الجبانة على نحو لا أحسه في المدينة؛ ودام هذا الإحساس أيضًا؛ ولوقت طويل واصلت سيري عبر المدينة كما لو كنت أسير عبر جبانة.

ييتشيك، هل كان هذا هو شقيقك الصغير؟

وهل أنت حقًا على ما يرام؟ في تلك الصورة الفوتوغرافية التي من (نويه فالديج) تبدين حقًا مريضة؛ ربما كان ذلك مبالغًا فيه، لكنه يبقى مع ذلك أمرًا مبالغًا فيه فحسب. مازلت أفتقر إلى صورة فوتوغرافية جيدة لك، ففي إحدى الصور تبدين فتاة صغيرة متميزة رقيقة، حسنة الملبس، يبدو

عليها أنها سرعان ما ستغادر الدير في خلال عام أو عامين (إن زوايا الفم في الحقيقة، تبدو مرفوعة إلى حد ما، غير أن هذه هي مجرد علامة على السمو والطاعة الدينية)، أما الصورة الثانية فهي صورة دعائية مبالغ فيها: «هذا هو الحال الذي نعيش عليه في فيينا»، بالمصادفة في هذه الصورة الثانية تبدين مرة أخرى شديدة الشبه بصديقي الأول الغامض، سأحدثك يوماً ما بشأنه.

لا، لن أحضر إلى فيينا، ظاهرياً، من الممكن أن يتم هذا بكذبة، بإبلاغ العمل بأنني مريض، أو أنه يمكن أن يتم خلال إجازة لمدة يومين متتابعين، غير أن هذه هي فقط عقباتك الظاهرة يا بني (مناجاة ذاتية) [عبر الصفحة بميل]: لقد كتبت لك يومياً ولعلك تتسلمين الرسائل ما تزالين.

البرقية، شكرًا، شكرًا، شكرًا، إنني أسحب كل ما أوجهه من ملام، ذلك أنه لم يكن ملاماً، وإنما هو مجرد ربت بظهر اليد، وقد كانت لتشير الحسد لوقت طويل. كان الشاعر والفنان الحفار (في الحقيقة هو موسيقي أساساً) معي الآن للتو؛ إن الفنان الحفار يتردد عليّ دائماً، واليوم أحضر لي قطعتين من الحفر على الخشب (تروتسكي والقطعة الأخرى اسمها بشارة «بشرى»، ترين من هذا أن عالمه ليس محدوداً)، وحاولت لأجل خاطره أن أبدو مهتمًا بعمله اهتمامًا أكبر، بأن أسرعت فأقمت صلة لك بالأمر، وأخبرته بأنني سوف أرسلها إلى صديقة لي في فيينا، فكان من نتيجة ذلك غير المقصودة أن حصلت على نسختين بدلاً من نسخة واحدة (سأحتفظ لك بنسختك هنا، أم هل تودين أن أرسلها في الحال؟). ثم وصلتني عندئذ برقيتك، وبينما كنت أقرأها، وأعيد قراءتها، ولا أستطيع لفرحتي وامتناني

لك أن أفرغ منها، شرع هو يتحدث بلا انقطاع (على أنه في الوقت نفسه لم يكن يقصد إزعاجي بحديثه ذاك، لا؛ مطلقاً، فعندما أقول إنني مشغول، عندما أقولها بصوت مرفوع حتى يتاح له أن يفيق إلى نفسه، فإنه يصمت في الحال في منتصف جملة، ويسرع بالابتعاد، دون أن يغضب بالمرة).

أخبارك كلها بلا شك غاية في الأهمية، لكن التفاصيل ستظل أكثر أهمية. لكن فوق هذا كله، كيف يتسنى لك أن تتخلي عن نفسك؟ إن ذلك لمن المستحيل بالتأكيد، بالنسبة لي على الأقل لا يمكن لطبيب أن يقول شيئاً أكثر من هذا افتقاراً إلى المعنى. آه، إنه لأمر سيئ بلا شك، لكن على أية حال، شكرًا، شكرًا.

السبت

لمدة حوالى نصف الساعة الآن بالفعل كنت مستغرقاً في قراءة الرسالتين والبطاقة البريدية، (بصرف النظر عن المظروف - إنني ليدعشني أن مصلحة البريد بكامل هيئتها لم تحضر لكي تعتذر لك)، وتحققت الآن فقط من أنني كنت مستغرقاً في الضحك طول الوقت، فهل وجد هنالك في تاريخ العالم بأكمله ثمة إمبراطور كان أسعد حالاً مني؛ فهو يدخل حجرته، ليجد هنالك الرسائل الثلاث، وكل ما ينبغي عليه أن يفعله هو مجرد أن يفضها فحسب - يا للأصابع المتكاسلة! - وأن يضطجع إلى الخلف - وليس ذلك لكي يكون في وسعه أن يتأكد من أن ذلك الحظ السعيد، إنما يتحقق له هو. لا، إنني لم أضحك طوال الوقت، لن أقول شيئاً عن «حمل الأمتعة» لأنني لا أصدق ذلك، ولو أمكنني تصديقه، فلا يمكنني

أن أتصور ذلك، ولو أمكنني أن أتصور ذلك، فإنك ستكونين باللغة الجمال عندئذ - لا، لم يكن ذلك مجرد جمال فحسب، فلقد كان ذلك تحولاً من السماء على غير توقع - كما في يوم (الأحد)، وإنني لأفهم (السيد) (فلعله كان قد دفع عشرين كرونيًا، وانتظر أن يرد إليه ثلاثة كرونيًا) ^(١). على أنني ما زلت لا أصدق ذلك، وحتى لو كان ذلك قد حدث فإنني أقر بأنه لا بد كان مزعجاً بقدر ما كان رائعاً. لكن بخصوص أنك لم تتناولي طعاماً بالمرة، وأنك جائعة (بينما أنا أأطعم هنا إلى درجة التخمّة بدون أية شهية)، وأن لديك تحت عينيك دوائر (وأنه لا يمكن لهذه الدوائر رغم كل شيء أن تظهر بواسطة المصور الفوتوغرافي)، ذلك أنها تذهب بنصف السعادة التي تنطق بها الصورة، على الرغم من أنه ما يزال يتبقى ما يكفي، وما أحب بسببه أن أقبل يدك ما دام أنك لن تكوني قادرة - في حياتك مطلقاً على أن تستخدمها مرة أخرى لا في الترجمة ولا في حمل الأمتعة من المحطة - هذا لا يسعني أن أغفره - لن أغفر لك، ولا بعد مائة عام حتى، منذ الآن، وسوف أوجه لك نفس اللوم، بينما نكون جالسين أمام كوخنا، لا إنني لست أمزح، ثم ما هو هذا التناقض؟ إنك تصرحين بحبك لي، وتكونين (لي) بناء على هذا، بينما أنت تتصورين أمامي، على حين توجد النقود التي لا جدوى منها هنا، وهناك يوجد (الديك الأبيض) = (حيث تتناول ميلينا طعامها).

ما تقولينه عن رسالة الفتاة سوف أغفره لك في الحال، ذلك لأنك تناديني (أخيراً) بالسكرتير (إنني أدعى سكرتيراً لأن كل ما أفعله هنا منذ

(١) في أثناء التضخم كانت النساء تعملن (حاملات للأمتعة) في محطات فيينا.

ثلاثة أسابيع هو أمر غاية في السرية)؛ وإلا فإنك أيضًا على حق. لكن هل يكفي أن تكوني على حق؟ وفوق ذلك كله: فلست أنا محققًا، أفلا تريدان على هذا أنت أيضًا أن تتحملي جانبًا صغيرًا من خطئي - من الممكن ذلك، أعرف ذلك، إنها فحسب مسألة قوة إرادة - وذلك بأن ترسلي إليّ تلك الرسالة اللامبالية التي أرسلتها الفتاة، وبأن تستخلصي منها خطئي ذلك المسطور هنالك في كلمات هائلة وقوية؟ وبصرف النظر عن هذا فإنني أنا أيضًا راغب فحسب في ألا أستمع إلى المزيد عن هذه المراسلات التي تسببت فيها دون رؤية. لقد أعدت إليها رسالتك مع بضعة سطور ودية، وما دام أنه لم يصلني أي شيء؛ لم أستطع أن أحمل نفسي على أن أقترح لقاء ما! وآمل أن ينقشع كل شيء في صمت، وبصورة ودية.

أنت تدافعين عن رسالة شتاشا، وقد كنت أنا من يتوجب عليه أن يشكر من أجلها. هل كنت في (نويه فالديج)؟ وأنا أيضًا كنت هناك مرارًا؛ من الغريب أننا لم نتقابل على أنك كنت تتسلقين، وتنطلقين في الجري بغاية السرعة، حتى أنك ربما حدث وانزلت أمام ناظري كما حدث في فيينا. يا لهذه الأيام الأربعة من أيام؛ لا بد أنها كانت غريبة! معشوقة خارجة من السينما، وحمالة أمتعة بسيطة تقف على الرصيف - وكان مقدراً لها أن تكون أياماً أربعة؟

سيحصل ماكس على رسالتك اليوم. لم أقرأ منها ما يزيد على ما يمكن اختلاسه منها اختلاسًا.

نعم إن حظك سيئ مع (لاندراو)^(١) وما يزال حظك حسنًا في

(١) الكاتب المعروف، وأحد المشتركين في جمهورية ميونيخ الاستشارية، قتل عام (١٩١٩) ..

الألمانية؟ ما الذي جنيته منها أيتها الطفلة البائسة (ولا أقول أيتها الطفلة الصغيرة لا سمح الله!) تعذبت واضطربت بك الحال كما فعلت بك الرسائل؟ ألسنت على حق في ظني بأن رسائلي تسبب لك اضطراباً؟ لكن أي نفع يمكن أن يوجد فيها حتى تكون كما ينبغي أن تكون عليه الرسائل؟ إنني أكون بخير ما حصلت على رسائل، وينطبق هذا أيضاً على كل شيء آخر، أما إذا لم تصلني رسائل فإنني لن أكون بخير، كما أنني لن أكون معدوداً بين الأحياء، ولن أكون أي شيء بالمرة.

نعم، الحضور إلى فيينا!

أرجوك أن ترسلني لي الترجمة، فلا يمكنني أن أجد بين يدي الكثير من نفحاتك.

الجمعة

أنت دائماً تريد أن تعرفي يا ميلينا، ما إذا كنت (أنا) أحبك، غير أن هذا السؤال هو من أصعب الأسئلة في نهاية الأمر، لا يمكن الإجابة عليه في رسالة (ولا حتى في رسالة الأحد الماضي) سأخبرك بالرد على هذا السؤال عندما نلتقي في المرة القادمة بلا شك، بشرط ألا يخونني صوتي. لكن لا يجب عليك أن تكتبي عن رحلتي إلى فيينا، فإنني لن أحضر، وإن كانت أية إشارة إلى هذه الرحلة أحسها وكأنها شعلة صغيرة من النيران تقربينها من جلدي العاري، إنها (مَحْرَقَة) بالفعل، لا تحترق لكنها تظل تدخن ما وسعها ذلك، بنفس قواها! بل بقوى زائدة في الحقيقة، وهذا ما لا ترغبين في حدوثه.

إنني في غاية الأسف بخصوص الزهور التي وصلتك. إن الأسف
ليمنعني حتى عن توضيح أي نوع من أنواع الزهور كانت. والآن فإن
تلك الزهور توجد في حجرتك، فلو أنني حقًا كنت أنا الدولاب، لكنت
جرجرت نفسي خارجًا من الحجرة إلى ضوء النهار الساطع، على الأقل
كنت أبقى في حجرة الانتظار المقابلة حتى تذبل تلك الزهور. لا، ليس
هذا حسنًا. إن هذا كله لبعيد بعدًا بالغًا، وإن كان مقبض بابك قريبًا، أمام
ناظري في مثل قرب محبرتي.

حسنًا، ليكن لقد تسلمت برقيتك التي أرسلتها بالأمس، التي أرسلتها
أمس الأول، حتى وقتئذ لم تكن الزهور قد ذبلت بعد، ولماذا أنت مسرورة
بها إلى هذا الحد؟ فلو كانت هذه الزهور هي زهورك (المفضلة) لكان
ينبغي أن تسرك كل مثيلاتها من الزهور التي توجد على وجه الأرض،
لماذا إذن تسرك فقط هذه الزهور وحدها؟

على أنه ربما كان هذا أيضًا سؤالًا صعبًا في غاية الصعوبة؛ وأنه
يمكن الإجابة عنه فقط شفويًا. لكن أين أنت؟ في فيينا؟ وأين ذلك؟ لا، لا
يمكنني أن أتخلص من الزهور - شارع كيرتنز - حسنًا، إنها لقصة خرافية
أو أنها حلم في يوم كأنه الليل، غير أن الزهور هي زهور حقيقية، وإنها
لتملأ الفازات؛ «لا جدوى» تقولين هذا، وتضمينها إلى صدرك - والمرء
ليس له حتى أن يلقي بها؛ لأنها بعد كل شيء هي زهورك (المفضلة).
فانتظري إذن أيتها الزهور، فسوف أحملك خارجًا في اللحظة التي تغادر
فيها ميلينا الحجرة، وألقي بك أيتها الزهور في الحوش.

لماذا أنت مكتئبة إلى هذا الحد؟ هل حدث شيء؟ ولم تحدثيني

عنه؟ لا، ليس هذا ممكناً.

(في الهامش الأيسر): ولماذا أنت حزينة؟

إنك تسأليني عن ماكس، لكنه قد رد عليك منذ وقت طويل، وإن كنت لا أعرف بماذا، غير أنه أرسل الرسالة يوم الأحد في وجودي، هل وصلتك بالمناسبة رسالتي التي أرسلتها يوم الأحد؟

كان الأمس يوماً قلقاً للغاية، لم يكن قلقه معدّباً، لكنه قلق وحسب، ولعلني أخبرك بذلك قريباً. فوق كل شيء لديّ برقيتك في جيبِي، وأن أتجول وهي في جيبِي أمر يمنحني إحساساً غريباً. ثمة رقة إنسانية خاصة لا يعلم عنها الناس شيئاً. يتمشى المرء مثلاً تجاه قنطرة تشيك، ويتنزع البرقية، ويقرأها (إنها جديدة دائماً، وبعد أن يتشربها المرء تصبح الورقة بيضاء، ولكن ما أن يضعها المرء ثانية في جيبه حتى تصبح مكتوبة مرة أخرى وهي في مكانها هنالك بأسرع ما يمكن)، ثم يتطلع المرء حوله ويتوقع أن يرى وجوهاً غاضبة، ليست حاسدة تماماً، ولكنها على الرغم من ذلك تسدد إليّ نظرات تقول: ماذا؟ أنت دون الناس جميعاً قد تسلمت هذه البرقية؟ سوف ترسل تقريراً عن هذا في الحال إلى هناك، فثمة زهور على الأقل (ملء حوض منها) سوف ترسل فوراً إلى فيينا. ونحن على أية حال مصممون على ألا نتساهل في أمر البرقية.

وبعيداً عن تلك النظرات فإن كل شيء هادئ بقدر ما تمتد أمامك الرؤية، فالصيادون بالسنانير يواصلون صيدهم، ويواصل المتطلعون تطلعهم، والأطفال يلعبون كرة القدم، ويجمع الرجل الجالس عند القنطرة الكرويتسات. وبالمراقبة عن كثب أكثر يكشف المرء توتراً ما،

ذلك أن الناس إنما يرغمون أنفسهم على أن يركزوا على ما يقومون به من أعمال حتى لا يتسنى لهم أن يشوا بشيء من أفكارهم. على أن مجرد تلك الحقيقة، حقيقة أنهم يرغمون أنفسهم على هذا النحو على الانصراف إلى ما يقومون به من أعمال، لهي جديرة بالحب إلى غير حد. إن ذلك الصوت الذي يتحدث بلسان حالهم كله إنما يقول: «من الصحيح أن البرقية تخصك، إننا نوافقك على هذا، إننا لا نجادل في حقك في أن تحصل عليها، إننا سنغلق أعيننا عنها، ويمكنك أن تحتفظ بها»، ثم قد يظن أحدهم، متى انتزعتهما ثانية من جيبى بعد فترة قصيرة، أن ما يسخطهم عليّ أنني على الأقل قد بقيت هادئاً، وأنني لم أختبئ.

لا، إنهم ليسوا ساخطين وإنما هم ييقنون على حالتهم التي كانوا عليها.

(في الهامش الأيسر): ولماذا أنت حزينة؟

في المساء تحدثت ثانية إلى يهودي فلسطيني - أظن أنه من الممكن في رسالة أن أجعلك تدركين أهميته بالنسبة لي - رجل ضئيل، نحيف على الأغلب، هزيل، ملتحم، أعور، غير أن تذكرني له قد كلفني نصف الليلة. سأحدثك بالمزيد عن هذا الأمر في الحال.

إذن فليس لديك جواز سفر، ولن تحصلي على واحد؟

الخميس

ميلينا، أيتها المجتهدة، إن حجرتك تتغير في ذاكرتي، المكتب،

ويبدو على كل شيء أنه غير معتاد على أن يحب العمل كثيرًا، لكن يوجد ثمة الكثير من العمل الآن، ويمكنني أن أشعر بذلك، وإنه ليرضيّني، ولا بد أن كل شيء في حجرتك يبدو دافئًا على نحو رائع، ومنعشًا ومرحًا. فقط يبقى الدولار أخرق كما هو دائمًا وأحيانًا لا يعمل القفل، ولا يسمح بالحصول على شيء من داخل الدولار، وإنما يبقى بمجهود هائل مغلقًا ويرفض أن يسمح بخروج الثوب الذي كنت ترتدينه يوم (الأحد). إن هذا ليس دولارًا على الإطلاق، فلو راودتك مرة أخرى فكرة أن تشرعي في تأثيث منزل، فإن علينا أن نلقي به خارجًا.

إنني آسف لعدة أمور قد كتبتها لك أخيرًا، فلا تتخذها ضدي. وأرجوك ألا تعذبي نفسك طوال الوقت بفكرة أن تلك الغلطة هي غلطتك كلية، أو أنها حتى غلطتك بالمرة؛ إنك لا يمكنك أن تحرري نفسك منها. إنها غلطتي أنا أكثر مما هي غلطتك، وسأحدثك عن هذه الغلطة يومًا ما.

الخميس بعد ذلك

لهذا، ولكي لا يكون ثمة شك يا ميلينا:

ربما لم تكن حالتي هذه حتى، هي أفضل الحالات الممكنة، وربما كنت أحتمل ما أزال الميزيد من السعادة، والميزيد من الأمان، والميزيد من الوفرة - وعلى الرغم من أن هذا ليس مؤكدًا على الإطلاق، على الأقل في براغ. وعلى أية حالة، فبالنظر إلى المعدل الذي يسير عليه الحال أقول إنني أشعر بالتحسن والمرح والحرية؛ التحسن الذي لا أستحقه بالمرة،

التحسن المخيف، كما لو كانت الأحوال الحاضرة لتبقى لفترة قصيرة بدون اضطرابات هائلة للغاية، وتلقيت كلمة منك كل يوم دون أن أراك معذبة من خلالها إلى هذا الحد، وهذا وحده لعله أن يكون كافيًا عندئذ لكي يؤدي بي إلى منتصف طريق العودة إلى الصحة.

والآن يا ميلينا أرجوك، لا تعذبي نفسك بعد ذلك، أما فيما يتعلق بالعلوم الطبيعية فإنني لم أفهمها البتة بحال من الأحوال (أكثر ما فهمتها منها هو ما يدور حول العمود الناري، تلك هي الفيزياء، أفليست كذلك في نهاية الأمر؟) و(مقاييس العالم النسبية) هي ما لم أفهمها أيضًا، ولا شك أن تلك المقاييس قد فهمتني هي أيضًا بدورها بقدر ما فهمتها (ما الذي يمكن أن تفعله مثل تلك النسب الهائلة بوجودي الذي لا يتجاوز ٥٥ كيلو جرام عاريًا، إن تلك النسب قد لا تلحظه، فهو وجود أقل مما يلزم لكي تحركه هذه النسب) وإنني لأتواجد هنا تمامًا كما كنت في فيينا ويداك في يدي بقدر ما تتركينهما في يدي.

(فرانتس) خطأ، (ف) خطأ (لك) خطأ، ولا شيء آخر، الصمت، أعماق الغابة، تبدو قصيدة (فيرفل) كصورة تحديق في كل من يتطلع إليها، إنها تحديق فيّ أنا أيضًا، وفوق كل شيء تحديق حتى في ذلك (الشرير) الذي كتبها هو نفسه.

لم أستطع أن أفهم تمامًا ملاحظاتك عن العطلة، إلى أين ستذهبين.

الجمعة

لا، إنها لم تكن حقًا بهذا السوء، وعلى أية حال كيف يتسنى للروح أن تخلص نفسها على نحو آخر، من عبء ما، إن لم يكن ذلك بواسطة خدعة صغيرة؟ وعلاوة على ذلك، فإنني أعتبر كل شيء كتبته صحيحًا. لقد أخطأك فهم بضعة أشياء، منها على سبيل المثال ما يتناول «العناء الوحيد» ذلك أن (عناءك الشخصي) لهو هذا «العناء الوحيد» وليست رسائلك التي تعطيني كل صباح القوة لأن أحتمل مواجهة اليوم، ولكي أحتمل مواجهته على أحسن وجه، حتى أنني لا يسعني أن أبذل رسالة واحدة من رسائلك تلك، (ولا رسالة واحدة من تلك الرسائل، وهذا واضح) في يوم من الأيام.

ولست غيورًا على الإطلاق، صدقيني، لكن يصعب عليّ أن أدرك أنه (لا جدوى) من أن أكون غيورًا. إنني أنجح دائمًا في ألا أكون غيورًا، لكن فقط في أحيان أنجح في فهم (عقم) الغيرة.

والآن في النهاية لديّ شيء أقوله لماكس. هو نقدك الحقيقي القصير لكتابه العظيم، إنه بالمناسبة يسأل عنك طوال الوقت، كيف حالك، وما الذي يحدث لك - كل شيء يتعلق بك يهتم به من قلبه. غير أنه لا يكاد يوجد لديّ شيء أخبره به، ولحسن الحظ أن اللغة وحدها تجعل ذلك مستحيلًا. لا يسعني مجرد أن أتحدث عن أية ميلينا في فيينا، ثم أواصل حديثي قائلاً: (إنها) تعني، وتقول، وتفعل هذا وذاك. ذلك أنك في نهاية الأمر لست (ميلينا)، كما أنك لست (هي)، إن هاتين الكلمتين هما محض هراء؛ وكنتيجه لذلك لا يمكنني أن أقول أي شيء.

إن هذا طبيعي للغاية حتى أنني لا آسف له. نعم، أن أتحدث عنه إلى الغرباء، لا شك أن هذا ما لا يمكنني أن أفعله، وإن يكن ذلك في الوقت نفسه يعد أحياناً متعة رائعة. فلو سمحت لنفسي أن أجعل من حديثي ذاك عنك قطعة كوميدية صغيرة وإنها لمغرية غاية الإغراء، فإن المتعة لتكون أعظم عندئذ. لقد قابلت منذ فترة ليست بالطويلة (رودلف فوخس)^(١).
إنني أحبه، غير أنه من الطبيعي ألا تكون متعة لقائه هي تلك المتعة البالغة، ولا أنا استطعت أن أضغط على يده بمثل تلك الحرارة. وعرفت في الوقت نفسه أن النتيجة لن تكون هائلة للغاية - قلت لنفسي، حسنًا، حتى لو كانت النتيجة بسيطة! وتطرق الحديث في الحال إلى فيينا، والمجتمع الذي زاره هناك، ولقد كنت مهتمًا بسماعه يذكر الأسماء ولقد بدأ يعددها، إنني لم أقصد أن أسمعه يعددها، لا إنني لم أقصد أن أسمعه يعددها على هذا النحو، لقد رغبت في سماع ما يتعلق بأسماء النساء. نعم، يوجد هناك - على سبيل المثال - ميلينا - التي أظن أنك تعرفها، (نعم، ميلينا)، كررت ذلك وأطرقت إلى أسفل، إلى شارع فرديناند، لكي أنظر ما الذي يمكن أن تقوله (هي) لذلك الشارع، ثم تعاقبت أسماء أخرى، وانتابني نوبة السعال العتيدة ثانية، وأخفق الحديث (فكيف السبيل إلى إحيائه؟)، (هل يمكنك أن تخبرني في أية سنة من سنوات الحرب كنت أنا في فيينا؟)، «١٩١٧»، «ألم يكن (إب)^(٢) في فيينا، في ذلك الحين؟» «لا» وهكذا جرى الحديث بيننا. وبعدها كان بوسعي أن أجعله يخبرني بالقليل عنك، غير أنني لم أجد لديّ القوة اللازمة لذلك.

(١) (شاعر من براغ، و مترجم بارع للشعر التشيكي وخاصة أشعار برتسينا وبتسروك).

(٢) زوج ميلينا.

ما الذي تفعلينه بخصوص (أقراص الدواء) هذه الأيام؟ إنك تكتبين للمرة الأولى عن نوبات الصداع من جديد.

هل يمكنك أن تقولي بضع كلمات قلائل عن خطتك بخصوص باريس؟، وإلى أين ستذهبين الآن؟ (وهل هو مكان جيد الاتصال البريدي؟) ومتى؟ ولكم من الوقت؟ ستة شهور؟

أرجوك أن تخبريني دائماً في الحال عن المجالات التي تظهر بها بعض كتاباتك.

كيف خططك بالفعل لتنفيذ رحلتك التي تستغرق يومين إلى براغ؟ (إنني أتساءل فقط بدافع الفضول).

شكراً لتعبير (مع ذلك)، كلمة سحرية، تتجه مباشرة إلى مجرى دمائي.

بعد ظهر الجمعة

وجدت هذه الرسالة في المنزل، لقد عرفت الفتاة لوقت طويل، ولعلنا أن نكون أقرباء من بعيد أو أن يكون لنا نسب مشترك، ابن العم ذاك الذي ذكرته، ذلك الذي كان مريضاً للغاية في براغ حيث كانت تمرضه لمدة شهور هي وأختها، إنها غير مقبولة لي من الناحية الجسدية، فإن لها وجهاً مستديراً ضخماً للغاية، ذا خدين محمرين وجسداً صغيراً مستديراً وحديثاً هامساً يثير السخط، لكنني قد سمعت عنها أشياء طيبة خلافاً لذلك، أعني أن الأقارب قد قدحوا فيها من خلف ظهرها.

منذ شهرين كان ردي على مثل تلك الرسالة سيكون ببساطة هو: لا، لا، لا! بينما لا أجد لديّ الحق في هذه الأيام لأن أقول ذلك. ليس بالطبع، لأنني أظن أنني أستطيع أن أساعدها بحال من الأحوال. كان بسمارك قد تعامل بالفعل مع مثل هذه الرسائل ذات مرة، وأشار إلى ذلك بقوله بأن الحياة هي مأدبة أُسيء إعدادها؛ خلالها ينتظر المرء فاتحات الشهية بفارغ الصبر، بينما يمر به الشواء الأساسي الضخم في صمت، وأن على المرء أن يهيئ نفسه تبعاً لذلك. آه، كم تبدو هذه المهارة غبية، كم هي بالغة الغباء! إنني، لأجلي شخصياً أكثر مما هو لأجلها، أجدني بسبيلي لأن أكتب إليها، وأخبرها بأنني على استعداد للقاءها. ثمّة شيء ما قد وضعته أنت في يدي، يا ميلينا، وأحس بأنني لا أجرؤ على أن أبقى مطبقاً عليه، في يدي تلك!.

غداً يرحل العم، وسأجدني مرة أخرى في الهواء الطلق، سأجدني في الماء، سأجدني في خارج المدينة؛ إنني لفي أشد الحاجة إلى ذلك. لقد كتبت هي تقول عساي أن أقرأ الرسالة فحسب، وقد استجبت لهذا الطلب عندما أرسلت الرسالة لك، أرجوك أن تمزقيها. ثمّة فقرة جيدة بها، بالمناسبة، «إن النساء لا يحتجن إلى الكثير».

السبت، فيما بعد

مهما قلب المرء رسالة اليوم، هذه الرسالة الحلوة الصديقة المرحّة، الموفقة فإنها مع ذلك رسالة (منقّدة)، ميلينا ضمن (المخلصين)! (فلو

كنت أنا أيضًا ضمنهم، ولو أتاح لها هذا إذن أن تكون معي؟ لا، لا شك أنها لن تكون معي عندئذ) ميلينا ضمن المخلصين، تلك التي تمارس التجارب طوال الوقت على نفسها، التجارب على أن المرء يمكنه أن ينقذ الآخر فقط بمجرد تواجده ولا شيء آخر سوى ذلك. ولقد أنقذتني بالفعل بوجودها وتحاول الآن بالإضافة إلى ذلك أن تفعل نفس الشيء بأدوية أخرى صغيرة لا حصر لها. لو أن شخصًا أنقذ من الغرق شخصًا آخر فإنه سيكون عملاً عظيمًا بلا شك، لكن لو أنه بعد ذلك أعطى لذلك الشخص الذي تم إنقاذه على يديه اشتراكًا في دروس للسباحة، فما هو الخير الذي سيتمخض عنه ذلك؟ لماذا يحاول المنقذ للآخرين أن يجعل الأمر بهذه البساطة بالنسبة لنفسه؟ لماذا لا يرغب في أن يواصل إلى الأبد إنقاذ الآخر بوجوده، بوجوده المستعد أبدًا؟ لماذا يحاول أن يحول العبء إلى مدرب السباحة، أو إلى صاحب الفندق في (دافوس)؟ ثم إن ما هو أكثر من ذلك، هو أنني أزن ٥٥ كيلو جرامًا! فكيف يمكنني أن أطير مبتعدًا عندما نكون متماسكين أحدهنا بالآخر باليدين؟ ولو أننا طرنا معًا إلى البعيد، فما الذي سيحدث عندئذ؟ وعلى أية حال، فإن هذه لهي الفكرة الحقيقية التي تختفي تحت الفكرة السابقة- لن أتحرك ثانية مطلقًا إلى هذا الحد بعيدًا عنك. وفوق هذا كله، فلقد وصلت الآن لتوي من مناجم رصاص ميران.

السبت، مساء

بعد أن تمت كتابة ما جاء أعلاه، فقد قصدت اليوم أيضًا أن أكتب لك عن أشياء أخرى، لكن ليس لديّ ثمة ما أقوله، لقد عدت إلى المنزل، ورأيت

في الظلام على المكتب، الرسالة غير المتوقعة، وألقيت نظرة مستعجلة عليها، ودعيت في الحال إلى العشاء، وأكلت شيئاً ما كان لسوء الحظ لا يمكن له أن يختفي من الطبق إلا بالتهامه، ثم قرأت الرسالة بأكملها، متباطئاً متعجلاً، مهتاجاً، سعيداً، مندهشاً، لا يمكن للمرء أن يصدق ذلك، غير أنها تقف هنالك على حين لا يصدق المرء ذلك بعد إلا أن المرء ليقع مغشياً عليه فوقها وإن يكن هذا أيضاً اعتقاداً ما. وأخيراً، يائساً، يائساً، تسارع نبضات قلبه «لا يمكنني أن أحضر»، لقد عرفت هذا عند قراءة السطر الأول، وعرفته في النهاية، لكن فيما بين هذا وذاك كنت قد وجدتني في ثيينا مرات عديدة كما يحلم المرء في ليلة مؤرقة ساهرة عشرة أحلام في حوالي نصف دقيقة. ثم مضيت إلى مكتب البريد وأرسلت لك برقية، وهدأت قليلاً، والآن ها أنذا جالس هنا، أنا أجلس هنا مثقلاً بعبء يرثى له، هو عبء أن أثبت لك أنني لا يمكنني أن أحضر. حسناً، أنت تقولين إنني لست ضعيفاً وإنني قد أنجح، قد أنجح بعد كل شيء في اجتياز الأسابيع القادمة التي تحدد في بتكشيرة، في كل ساعة من ساعاتها، وإنها لتفعل ذلك الآن أيضاً، متسائلة: «وعلى هذا فأنت لن تذهب إلى ثيينا؟» أنت لن تذهب إلى ثيينا؟، لقد تسلمت هذه الرسالة، ولم تذهب إلى ثيينا؟؟» «إنني لا أفهم الموسيقى، غير أنني أفهم هذه الموسيقى لسوء الحظ، أفهمها أفضل مما يفهمها كل الموسيقيين مجتمعين.

لا يمكنني أن أحضر، لأنني لا يمكنني أن أكذب على من في العمل لسببين فقط، إما بدافع الخوف (وإنها ميزة بالفعل من ميزات العمل، إنها ميزة تنتمي إلى من يعملون في هذا المكان، فأنا هناك أكذب أكاذيب غير

مجهزة سلفاً، أكاذيب من القلب، أكاذيب ملهمة)، أو... بدافع الضرورة الشديدة، ثَمَلًا، لنفرض أن (إلزا كانت مريضة) إلزا،^(١) لست أنت يا ميلينا، إنك لا تسقطين مريضة، ذلك أن هذه ستكون ضرورة بالغة القسوة، ولن أتحدث عن هذا حتى مجرد الحديث) وعلى هذا فبدافع الضرورة يمكنني أن أكذب في الحال، ثم إنني لن أكون في حاجة إلى إرسال تلغراف. إن الضرورة من الممكن أن يصادفها المرء في مقر العمل، وفي هذه الحالة فإنني أرحل سواء أكان ذلك بتصريح أو بدون تصريح.. لكن في كل الأحوال، سيكون من بين الأسباب التي ستتوافر لديّ للكذب، سبب أيضًا هو السعادة، إن ضرورة السعادة لهي السبب الأساسي، حيث لا يسعني هنا أن أكذب، لا يمكنني أن أفعل ذلك إلا بقدر ما يمكنني أن أرفع ثقلًا حديدًا يزن ٢٠ كيلو جرامًا. فلو أنني ذهبت إلى المدير بتلغراف «إلزا»، فإنه سوف يسقط بلا شك من يدي، ولو أنه سقط فلا شك أنني سأتجاوزها، سأتجاوز الكذبة، وبعد أن أفعل ذلك، فلا شك في أنني سأنتقل جريًا راجعًا، تاركًا المدير دون أن أسأله عن أي شيء. يجب عليك أن تتحقي يا ميلينا. إن مقر عملي ذاك ليس سوى مجرد مؤسسة غبية عتيقة (على الرغم من أنها كذلك، أيضًا، وأن هذه الصفة تتوافر لها على نحو بالغ، غير أن هذا ليس هو الموضوع، فهي في حقيقتها مؤسسة خيالية للغاية أكثر منها مؤسسة غبية)، لكنها كانت هي حياتي حتى الآن، ولا يمكنني أن أنتزع نفسي بعيدًا عنها، ومع أن الأمر قد لا يبدو بالغ السوء على الرغم من ذلك، لكنها حتى الآن إنما هي حياتي،

(١) يحتمل أن يكون هذا اتفاقًا تلغرافيًا «إلزا مريضة» وقد تعني «احضرا!».

ولا يمكنني أن أعاملها بوضاعة، وأن أعمل أقل مما يعمل غيري (وهو ما يحدث)، وأن أتقبل العمل (وهذا ما يحدث)، وأن أنجح على الرغم من ذلك في أن أبدو مُهمًّا (وهذا ما يحدث)، وأن أتقبل في تعاملتي أعلى اعتبارات التقدير التي يمكن تصورها في مقر عملي ذاك، أن أتقبلها في هدوء على أنها حق لي، - لكن الكذب، ومن أجل أن أسافر فجأة كرجل حر طليق، وأنا لست في نهاية الأمر سوى مجرد موظف رسمي فحسب، أرحل إلى مكان ما، إلى حيث لا يوجد أي شيء آخر سوى (نبضات قلبي) الطبيعية التي تقودني - حسنًا، على هذا النحو، لا يسعني أن أكذب، لكن ثمة شيئًا أردت أن أقوله لك حتى من قبل أن أتسلم رسالتك - هو أنني بالفعل سأحاول هذا الأسبوع تجديد جواز سفري أو أن أحصل بدلًا من ذلك على تأشيرة على جواز سفري الحالي تفيد صلاحيته، وذلك حتى يمكنني أن أحضر في الحال، لو كان عليّ أن أفعل ذلك.

إنني أنفحص هذا الذي كتبته، ولم أقصد في الحقيقة أن أكتبه على هذه الصورة، ومن الواضح أنني لست «قويًا» ما دام أنني لم أكن قادرًا على أن أعبر عن ذلك كما ينبغي (ثمة شيء بالإضافة إلى ذلك: ربما كان من الأصعب بالنسبة لي أن أكذب في مقر عملي على نحو أشد صعوبة مما يجده شخص ما (ومعظم الموظفين على هذه الحال) يؤمن بأنه يتعامل على نحو مجحف، ذلك أنه يعمل فوق طاقته - فلو كان لديّ مثل هذا الاعتقاد فإنه على الأغلب لن يعني عندئذ سوى قطار سريع إلى فيينا - إن أي شخص يعتبر مكتب العمل مجرد آلة غبية دائرة - آلة عليه أن يديرها على نحو أفضل - آلة يعمل بها، نظرًا لغباء الإدارة في مكان غير مكانه

الصحيح، فهو تبعاً لقدراته ينبغي أن يكون عجلة عليا - عليا وهكذا، لكنه هنا عليه أن يدير طاحونة مياه سفلى وهكذا، لكن بالنسبة لي وهذا ما كانت عليه المدرسة الابتدائية، والمدرسة الثانوية والجامعة، والأسرة وكل شيء - بالنسبة لي فإن (مكان العمل) هو شخص حي يتطلع إليّ حيث أكون بعيونه البريئة، شخص أرتبط به على نحو ما لست أعرفه، على الرغم من كونه غريباً بالنسبة لي أكثر من أولئك الناس الذين أسمعهم في هذه اللحظة يعبرون الميدان في سياراتهم. إنه غريب بالنسبة لي إلى درجة اللامعقول، إلا أن هذه الغربة نفسها تتطلب اعتبارات ما، إنني لا أكاد أبذل أدنى مجهود لكي أخفي حقيقة كوني غريباً - لكن متى تتحقق مثل تلك البراءة من هذا - وباختصار: (لا يمكنني أن أكذب) لا لست قوياً، ولا أستطيع أن أكتب، لا يمكنني أن أفعل شيئاً. والآن يا ميلينا، حتى أنت تستديرين مبتعدة عني، لن تبتعدي طويلاً، أعرف هذا، لكن تذكرني أن إنساناً لا يمكنه أن يعيش طويلاً بدون نبضات قلبه، فهل يمكنه أن ينبض ما دمت أنت بعيدة عني؟

فلو اتصلت بي برقيّاً بعد هذه الرسالة؟ إن هذا لهو تعجب أعجب له فحسب، ذلك أنه ليس طلباً أطلبه - فلو أنك استطعت أن تفعل ذلك بمحض رغبتك، عندئذ فحسب قد تلاحظين أنني حتى لا أضع خطأً تحت هذه الكلمات.

لقد نسيت مناسبة ثالثة يكون الكذب فيها ممكناً لي: وذلك في حالة ما لو كنت أنت بجواري، ذلك أنها ستكون أكثر صور الكذب براءة في العالم، وذلك لأنه لن يكون هنالك شخص آخر سواك في مكتب المدير.

الأحد

ما الذي ستقولينه ردًا على رسالة مساء السبت، لست أعرف، ولن أعرف لوقت طويل، والآن على أية حال، فإنني جالس في المكتب في عملي ليوم الأحد (هي مؤسسة غريبة حيث يجلس المرء هنا أيضًا وآخرون كثيرون في عملهم يوم الأحد، وهو عمل أقل من المعتاد، أما بالنسبة لي فالعمل كما هو بالنسبة لي دائمًا). إن الجو كئيب، وأحيانًا تحاول السماء أن تمطر، وأحيانًا ما يضايقني ضوء السحب في أثناء الكتابة، حسنًا، إن الجو تمامًا كما هو، حزين، وثقيل، وعلى الرغم من أنك قد كتبت تقولين إن لديّ (تدوqًا للحياة) فإنني اليوم لا أكاد أجد لها طعمًا، ما الذي يحتفظون به لي - اليوم ليلة، واليوم يوم؟ أساسًا لقد حصلت عليه، وإن كان القليل منها (الحياة) يبدو مع ذلك (دائمًا تعود مرة أخرى تلك الكلمة العزيزة) على السطح. وعلاوة على ذلك فإنني أحب نفسي إلى هذا الحد القليل. هنا أجلس أمام باب المدير، إن المدير ليس موجودًا، لكنني لن أدهش لو أنه خرج فجأة وقال لي: «إنني لست أحبك أنا أيضًا، وهذا ما أحب أن ألفت نظرك إليه»، وسأقول له «شكرًا» إنني أريد أن أسمع هذا منك بفارغ الصبر فهو يلزمني لرحلة إلى فيينا وسوف يقول: «هكذا، الآن أنا أحبك من جديد، وأسحب ملاحظتي» وسأقول: «آه، الآن لا يمكنني أن أقوم بالرحلة»، وسوف يقول هو: «أوه - نعم، ذلك أنني مرة أخرى لا أحبك، وإلى هذا إنما ألفت نظرك» وهكذا ستظل القصة بلا نهاية...

في الليلة الماضية فكرت للمرة الأولى منذ أن أصبحت في براغ، حلمت بك، حلمًا استمر حتى الصباح، قصيرًا، وعميقًا، سوف أنال قسطًا

من النوم بعد ليلة سيئة. وأتذكر القليل من ذلك الحلم، لقد كنت أنت في براغ، وكنا نسير معًا في شارع فرديناند في مواجهة (فيليميك) أو نحو ذلك، في اتجاه الميناء، وقابلنا على الجانب الآخر من الشارع بعض معارفك يسرون في عكس اتجاهنا، واستدردنا بعد ذلك وتحدثت أنت عنهم، وربما كان ثمة حديث أيضًا قد تناول (كراسا)^(١). (إنه ليس في براغ هذا ما أعلمه، وسوف أسأل عن عنوانه)، ولقد تحدثت أنت على نحو عادي، لكن كان ثمة عنصر رفض خفي لا يدرك في حديثك، إنني لم أذكر ذلك، لكنني لعنت نفسي، وبذلك إنما أعلنت فحسب اللعنة التي حلت بي، ثم كنا في مقهى، لعله مقهى الاتحاد (لقد كان في طريقنا)، وإلى مائدتنا جلس رجل وفتاة لا أتذكرها على الإطلاق، ثم رجل يشبه دوستويفسكي تمام الشبه، لكنه أصغر سنًا، ذو لحية وشعر أسود فاحم، كل شيء حتى الحواجب على سبيل المثال، وكان بناء عظم الوجه فوق العينين ناتئًا للغاية، ثم كنت أنت وأنا هناك، مرة أخرى لم يكن هناك ثمة ما يشي بهيئتكم الراضية، غير أن الرفض كان موجودًا. كان وجهك - لم يكن يسعني أن أشيح بعيني عن الغرابة المعذبة - مدهونًا بالبودرة، ولقد كانت البودرة مبالغًا فيها للغاية على نحو أخرق، وسيء، وربما كانت أيضًا ساخنة، وهكذا كانت كل الأشكال التي صنعتها البودرة على وجنتيك. إنني ما زلت أرى ذلك أمامي الآن. وانحنيت المرة بعد المرة إلى الأمام لكي أسألك لماذا وضعت هذه البودرة؟ وعندما لاحظت أنت أنني على وشك أن أسألك عن ذلك، تساءلت أنت رغمًا عنك - لم يكن يمكن

(١) (هانز كراسا، الموسيقي الذي مات في أحد معسكرات التجميع).

ملاحظة الرفض كما قد قلت - «ما الذي تريده؟» لكنني لم أستطع أن أتساءل، لم أجرو، في نفس الوقت، خمنت أنا على نحو ما أن وضع البودرة ذاك كان امتحاناً لي، امتحاناً حاسماً لي - ذلك أنني كان عليّ أن أتساءل، أن أتساءل، ولقد قصدت أن أفعل، لكنني لم أجرو على هذا فقد تجاوزني الحلم الحزين، وفي الوقت نفسه كان الرجل الشبيه بدوستوفسكي قد عذبني هو أيضاً، فلقد كان في سلوكه نحوي شبيهاً بك، لكنه كان مختلفاً في سلوكه ذاك إلى حد ما. وعندما سألته عن شيء ما، كان غاية في الرقة، والمشاركة، وانحنى إلى الأمام، كان صريحاً، لكنني عندما لم أستطع أن أفكر في شيء آخر أتساءل عنه أو أقوله - وهذا ما كان يحدث لي في كل لحظة - انسحب باهتزازة ما، واستغرق في قراءة كتاب، ولم يعد يدري بأي شيء آخر عن العالم وليس عني فقط، اختفى في شعر ذقنه وشعر رأسه ولست أدري لماذا لم أكن أحتمل ذلك، فالمرة بعد المرة لم أستطع أن أحتمل ذلك، وكان عليّ أن أجذب انتباهه إليّ بسؤال، غير أنني فقدته المرة بعد الأخرى بسبب غلطتي.

وكان لديّ عزاء صغير وحيد، لا يجب أن تنكره عليّ اليوم، ذلك أن (تريونا)^(١) كانت ملقاة أمامي، ولم يكن عليّ حتى أن أشتريها بنفسي خلافاً للتعليمات، فقد استعرتها من زوج أختي، لا - لقد أعارني إياها زوج أختي - أرجوك اسمح لي بهذه المتعة. في تلك اللحظة لم أكن مهتماً حتى بما كانت تحتويه، لكنني كنت أسمع الصوت، صوتي من خلال جحر العالم، اسمح لي بهذه المتعة، والمقالة كلها أيضاً، مقالة بالغة

(١) مجلة تشيكية أسبوعية شهيرة كانت ميلينا تكتب فيها ضمن آخرين.

الجمال، لا أدري كيف حدث ذلك، قرأتها فحسب بعيني، فكيف عرف دمي ذلك في الحال، وحمله على الفور، وهو يحترق في داخله؟ ولقد كان مرحاً كذلك أيضاً. إنني أنتمي إلى المجموعة الثانية بالطبع: هذا الثقل فوق القدمين هو ما أملكه غالباً، وإنني لست مسروراً على الإطلاق؛ لأن شئوني الخاصة قد نشرت. لقد قال شخص ما ذات مرة، إنني أسبح كالبحجة، غير أنها لم تكن مدحاً قوله تلك، وإن يكن لها تأثير أيضاً، إنني أشعر وكأنني مارد يمنع عنك الجمهور بعيداً بذراعيه المفرودين - ولقد مر به وقت عصيب، فلقد أراد أن يحجب الجمهور بعيداً عنك، ولم يرد في الوقت نفسه أن يفقد كلمة واحدة، أو لحظة واحدة من وجودك - ربما كان هذا جنوناً، وغباء مطبقاً، أما ما هو أكثر من ذلك، فإنها جماهير النساء اللاتي يصحن بلا شك: «أين هي الموضة؟» ألن تظهر «الموضة»؟ إن ما قد رأيناه إلى أبعد مدى للرؤية لم يكن سوى «ميلينا» فحسب! فقط، وعلى هذه (الفقط) إنما أعيش أنا، أما بقية الدنيا فإنني آخذها كما آخذ مونشهاوزن مدافع جبل طارق، وألقى بها في خضم البحر الهائل، ماذا؟ كل ما يتبقى؟ واقتراف الكذب؟ أنت لا يمكنك أن تكذب في مقر العمل؟ حسناً، ها أنذا أجلس هنا، إن الجو لكئيب كما كان من قبل، وغداً لن تكون ثمة رسالة، وسيكون الحلم هو آخر ما يصلني عنك من أبناء.

مساء السبت

حسناً، أسرع، ذلك هو ما في الإمكان، إننا نحصل على هذه الإمكانية كل أسبوع، فتصوري أن ذلك لم يعن لي من قبل! بالطبع، يجب

عليّ قبل كل شيء أن أحصل على جواز السفر، وليس هذا بالسهولة التي تتصورينها، وبدون (أوتلا)^(١) سيكون ذلك مستحيلًا على الأغلب: سأرحل من هنا بعد ظهر السبت بالقطار السريع، وأصل في حوالي (غداً) سأستفسر عن الوقت المحدد للوصول) الثانية صباحًا إلى فيينا، وفي تلك الأثناء ستكونين أنت قد اشتريت تذاكر قطار الأحد السريع إلى براغ يوم الجمعة، وتتصلين بي برقيًا لتخبريني بأنك قد حصلت على هذه التذاكر، وبدون هذه البرقية لن يمكنني أن أغادر براغ، وسوف تلتقين بي على المحطة، وسيكون أمانا أكثر من أربع ساعات نقضها معًا، وفي الساعة السابعة من صباح الأحد أرحل ثانية.

وعلى هذا، فهذا هو ما في إمكاننا، قليل من الحزن، لكي نحصل فقط ساعات أربع ليلية مرهقة معًا (وأيّن؟ في فندق بالقرب من محطة فرانتس-يوزيف؟)، لكنها مع ذلك إمكانية قد يمكن تحسينها تحسينًا كبيرًا - لكن هل هذه الإمكانيّة موجودة بالفعل؟ - بحضورك إليّ لنتقي في جموند، ونقضي فيها الليل. إن جموند مدينة نمساوية - أليست كذلك؟ وعلى هذا فأنت لست في حاجة إلى جواز سفر. سوف أصل إلى هناك في حوالي العاشرة مساءً، وربما أصل إليها قبل ذلك، وأغادرها يوم الأحد بالقطار السريع (أظن أنه من الممكن أن يجد المرء مكانًا يوم الأحد بالقطار) في الساعة الحادية عشرة صباحًا. وربما لو كان ثمة قطار ركاب مريح فيما بعد، فأغادر جموند إذن فيما بعد. وإنني لأتساءل من ناحية أخرى كيف ستتصلين أنت إلى هناك، وكيف ستعودين، أخشى أنني لا أعرف كيف سيتم لك ذلك.

(١) شقيقة كافكا التي لعبت دورًا مهمًا في حياته.

حسنًا، ماذا تظنين في ذلك؟ من الغريب أن أسألك الآن، بينما أنا
أتحدث إليك طوال اليوم.

عنوان (كراسا) هو - مارينباد، فندق شتيرن.

الإثنين

حسنًا، لم تكن البرقية هي الرد، لقد كان الرد هو رسالة مساء الثلاثاء،
وعلى هذا فقد كان ثمة جزاء لما عانيته من أرق، وثمة عزاء للحزن المحض
الذي عانيته هذا الصباح، هل زوجك على علم بأمر (انبثاق الدم)؟، لا
يجب على المرء أن يهول المسألة، فلعل الأمر ألا يكون أمرًا ذا بال، ذلك
أن الدم ينبثق لأسباب متعددة، إلا أنه دم على أية حال، ولا يمكن للمرء
أن ينسى ذلك، وأنت بالطبع تعيشين حياتك البطولية المرحبة باندفاع في
اتجاه انبثاق الدم ذاك، إنك تعيشين كما لو كنت تغرين الدم بالانبثاق،
كأنك تقولين له: حسنًا، انبثق إذن، لتنبثق في نهاية الأمر!، وعندئذ بالطبع
ينبثق الدم. أما ما يمكنني أن أفعله هنا فيبدو وكأنه لا يعينك بالمرّة، وأنت
لست (طفلة) بالطبع وتعرفين ماذا تفعلين، لكنك تريدني أن أقف في
مكاني هنا على شاطئ براغ، بينما أنت تغرقين عامدة أمام عيني في بحر
فيينا. وإذا لم يكن لديك ما تأكلينه أفلست هذه حاجة (في حد ذاتها)؟ أم
تظنين أن هذه حاجتي أنا أكثر مما هي حاجتك؟ حسنًا، إنك على حق إذن،
وأنا لن أكون قادرًا لسوء الحظ على أن أرسل لك نقودًا بعد ذلك، إنني
سأذهب في الظهيرة إلى المنزل لكي أضع النقود عديمة النفع في موقد
المطبخ.

وعلى هذا فيبدو أننا قد انفصلنا تمامًا يا ميلينا كل في ناحية، ويبدو أن الشيء الوحيد الذي نتقاسمه هو الرغبة الشديدة في أنك يجب أن تكوني هنا، وأن وجهك ينبغي أن يكون في مكان ما أقرب ما يكون إلى وجهي. لكن الرغبة في الموت، نحن بالطبع نتقاسمها معًا هي أيضًا، تلك الرغبة في موت مريح، على أن هذه الرغبة لهي بالفعل تلك الرغبة التي يرغب فيها الأطفال الصغار؛ مثلي في طفولتي، على سبيل المثال، عندما كنت قد رأيت المدرس في أثناء حصة الرياضيات، في مكانه هناك يقلب صفحات كراسة مذكراته ربما، بحثًا عن اسمي، وقارنت أنا افتقاري إلى المعرفة، ذلك الافتقار الذي لا يتصوره عقل، بذلك المشهد الذي يمثل القوة والرعب، والحقيقة فلقد رغبت لخوفي في شبه حلم، في أن يكون في استطاعتي أن أنهض من مكاني كشبح، وأن أندفع كما يندفع الشبح وسط المقاعد، ثم أنطلق طائرًا مبتعدًا عن المدرس بخفة كنتلك الخفة التي تتميز بها معلوماتي في الرياضيات، وأنسحب على نحو ما خارجًا من الباب، وفي الخارج ألم شتات نفسي لأصبح حرًا في الهواء الحبيب، هواء العالم كله ذلك الذي لا أجعله، ذلك الهواء الذي لا يعرف أشكال التوتر تلك التي تحتويها حجرة الدراسة، نعم كم كان ذلك ليبدو «مريحًا» غير أن الأمر لم يجر على هذا النحو. فقد نودي عليّ وكُلفت بأداء واجب ما، كان حله يحتاج مني إلى كتاب اللوغاريتمات، وكنت قد نسيت كتاب اللوغاريتمات، لكنني كذبت قائلًا إنه موجود بداخل درجي (لأنني ظننت أن المدرس سيعيرني كتابه)، لكنه أرسلني إلى مكاني لكي أحضره، ولاحظت بنذير حقيقي (لم يسبق لي أن أحسست في المدرسة

مطلقًا بنذير زائف) أنه لم يكن موجودًا! وناداني المدرس قائلاً (كنت قد قابلته أمس الأول): «أنت أيها التمساح» وأردفها في الحال بكلمة: «البائس». وكانت تلك الكلمة بالفعل قد أراحتني، ذلك أنني كنت قد استقبلتها فحسب كتقرير شكلي، ومناف للعدل؛ علاوة على ذلك (فمع أنني كنت قد كذبت، إلا أن أحدًا، لم يكن في وسعه أن يثبت ذلك، فهل يعد هذا مجانبةً للعدل؟) لكن بالإضافة إلى ذلك كله لم يكن لي أن أكشف عن جهلي المخجل، وعلى هذا فقد كان هذا أيضًا بالإضافة إلى الموقف بأكمله (مريحًا) تمامًا، وقد أوضح أن المرء يمكنه في الظروف الملائمة أن «يختفي» في داخل الحجرة نفسها، وأوضح أن الإمكانات اللازمة لذلك هي إمكانيات لا محدودة، وأن للمرء أن «يموت» حتى، وهو ما يزال على قيد الحياة.

(بالقلم الأزرق عبر هذه الكتابة، وعلى الصفحة السابقة): إنني أثرت على هذا النحو فقط لأنني، على الرغم من كل شيء، أحسن التحسن بقربك.

إمكانية واحدة فقط لا وجود لها، ويتضح ذلك فوق ثرثرتي كلها- وهي إمكانية أن تدخلني أنت في هذه اللحظة، وتكوني هنا، وناقش معًا بصورة شاملة مسألة شفائك! إن مجرد تحقق هذه الإمكانية ستكون هي أشد الأمور إلحاحًا.

كنت قد قصدت اليوم أن أخبرك بأشياء كثيرة قبل أن أقرأ الرسائل، لكن ماذا يمكن للمرء أن يقول عندما يواجه (الدم)؟. أرجوك أن تخبريني في الحال، بما قاله الطبيب، وما نوع شخصية ذلك الطبيب؟

أنت تصفين الندم الذي يتعلق بمحطة السكة الحديدية وصفًا خاطئًا،
فأنا لم أتردد لدقيقة واحدة، بل كان كل شيء طبيعيًا للغاية، وحزينًا،
وجميلًا، وكنا وحدنا تمامًا، حتى أنه قد بدا مضحكًا إلى حد لا يكاد
يصدق كيف نهض الناس (الناس الذين لا وجود لهم في نهاية الأمر) فجأة
بأسلحتهم مطالبين بأن ترفع الحواجز عن الرصيف.

لكن في مواجهة الفندق، كان الأمر حقًا كما تقولين. كم كنت أنت
جميلة هناك! ربما لم تكوني أنت على الإطلاق تلك التي كانت هناك؟
ذلك أنه ليدو غريبًا بالفعل لو أنك كنت قد نهضت مبكرة على ذلك
النحو. لكن لو لم تكوني أنت، فكيف عرفت عن ذلك الأمر كل هذا؟

الإثنين فيما بعد

أوه، وعلى هذا فهذه الكمية الكبيرة من المستندات قد وصلت الآن
لتوها. ثم من أجل ماذا تراني أعمل، أعمل برأس لم تذق للنوم طعمًا فوق
هذا كله! لأي هدف؟ أمن أجل موقد المطبخ.

ويجيء الآن فوق هذا كله دور الشاعر، الشخص الأول، إنه هو أيضًا
حفار على الخشب، ورسام حفار، وهو لن يرحل، وهو إلى هذا الحد
مفعم بالحياة حتى أنه ليلقي إليَّ بكل شيء ويراني أرتعش لنفاد صبري،
كما ترتعش يداي فوق هذه الرسالة، إن رأسي ليستلقي بالفعل على
صدرتي، وهو لا يرغب في الرحيل، إن الصبي المفعم بالحياة، السعيد،

التعس الذي يعد استثناء، إلا أنه الآن بالذات ليس سوى ضوضاء مريضة بالنسبة لي، و.... ينبثق الدم من فمك!

ونحن نكتب كلانا بالفعل نفس الأشياء طوال الوقت، أسألك في مرة عما إذا كنت مريضة، ثم تكتبين لي عن ذلك، وفي حين آخر أكتب لك عن رغبتني في الموت، ثم أريد الآن أن أصرخ أمامك كطفل صغير، وأنت أيضًا تريد أن تصرخي أمامي كطفلة صغيرة، ومرة، ومرات عشر، وألف مرة، وطوال الوقت أريد أن أكون معك، وأنت تقولين نفس الشيء، كفى... كفى...

وما أزال لم تصلني رسالة عما قاله لك الطبيب، أنت أيتها العربة البطيئة، أنت أيتها الكاتبة السيئة للرسائل، أنت أيتها المشاغبة، أنت أيتها العزيزة، أنت - حسنًا، ماذا بعد؟ لا شيء سوى أن أستلقي هادئًا على صدرك.

بعد ظهر الإثنين

سوف أكون كاذبًا إذا لم أكن بسبيلي لأن أقول أكثر مما قلته في رسالة الصباح هذه، خاصة لك، من يمكنني أن أتحدث إليها بحرية لا يمكنني أن أتحدث بها إلى أحد سواك، ذلك أن أحدًا سواك لم يضع نفسه في مكاني بكل ذلك التفهم، وبكل تلك الرغبة كما فعلت أنت، على الرغم من كل شيء. أفصلي تلك الـ (على الرغم من كل شيء) الهائلة، لتميزها عن تلك الـ (مع ذلك) الهائلة.

إن أجمل رسائلك كلها (وذلك يعني أن الكثير منها رسائل جميلة، ذلك أنها جميلة كلها تقريباً في مجملها، في كل سطر من سطورها، إنها أكثر ما صادفني من أشياء جميلة في حياتي كلها) هي تلك الرسائل التي توافقيني فيها على خوفي، وتحاولين في الوقت نفسه أن تفسري لي أنني لست في حاجة إلى أن أكون خائفاً إلى هذا الحد. ذلك أنني أيضاً، حتى ولو كنت أبدو في بعض الأحيان وكأنني مدافع مرتش عن (خوفي)، ربما أوافقك على ذلك في أعماق أعماقي، إن خوفي حقاً لهو جزء مني، وربما كان هو أفضل الأجزاء، وبما أنه أفضل أجزائي، فربما كان أيضاً هو ذلك الجزء الوحيد الذي تحببته فيّ، وإلا فما هو الذي يستحق الحب غير ذلك ويمكن أن يوجد لديّ، لكن ذلك هو ما يستحق الحب.

وعندما سألتني أنت ذات مرة كيف أمكنني أن أعد يوم السبت ذاك «يوماً طيباً» مع ذلك الخوف الذي في قلبي، لم يكن من الصعب عليّ أن أفسر لك ذلك ما دام أنني أحبك (وإنني لأحبك بالفعل، أنت أيتها الحمقاء، كما يحب البحر حصاه الذي في أعماقه، تلك هي الكيفية التي بها يغرقك حبي تماماً)، - فهل لي بدوري أن أكون الحصاة بالنسبة لك، لو تسمح السماء؟، إنني أحب الدنيا كلها، ويشمل ذلك كتفك الأيسر أيضاً «لا» لقد كان هو كتفك الأيمن في البداية، وأنا أقبله لهذا عندما أحس رغبة في ذلك (فماذا لو تبلغ بك الطيبة حدّاً تجعلك تكشفين عنه البلورة)، ويشمل ذلك أيضاً كتفك الأيمن ووجهك فوق في الغابة، واستنادي إلى صدرك الذي يكاد يكون عارياً تماماً، وهذا هو السبب في أنك محقة في قولك بأننا كنا بالفعل شخصاً واحداً، وأنني لست خائفاً من كوننا شخصاً

واحدًا، بل إنها لسعادتي الوحيدة وإنه لزهوي الوحيد، وإنني لا أحد ذلك مطلقًا بحدود الغابة وحدها.

غير أنه بالذات بين (يوم الدنيا) ذاك، وتلك (النصف ساعة في الفراش)، تلك التي قلت عنها ذات مرة باحتقار إنها (أمور الرجال)، بينهما إنما تكمن بالنسبة لي هوة لا يمكنني أن أجتاها ربما لأنني لا أريد ذلك. ذلك أن ثمة ما يتعلق بالليل فوق هذه الهوة، بالشمول، وبكل المعاني التي تتعلق بالليل: فيها هو العالم هنا وإنني لأملكه، ومن المقدر لي أن أقفز عبره إلى الليل لكي أملكه مرة أخرى، فهل يمكن لامرئ أن يتملك أي شيء مرتين؟ أليس معنى هذا أن يفقده؟ ها هو العالم الذي أملكه هنا، وقد يتهيأ لي أن أقفز عبره سعيًا إلى سحر شيطاني أسود، إلى السعوضة، إلى حجر الفلاسفة، إلى السيمياء (الكيمياء الخرافية)، إلى خاتم الأمانى، سحقًا لها جميعًا؛ إنني أخافها أشد الخوف.

وأن يحاول المرء، ويتلبسه السحر الأسود ذات ليلة، بسرعة وبأنفاس ثقيلة، وبلا حيلة وفي ذهول، أن يحاول الحصول بواسطة السحر الأسود على ما يقدمه كل نهار للعيون المفتوحة! «ربما» لم يكن للأطفال أن يولدوا بطريقة أخرى، «وربما» كان الأطفال سحرًا أسود هم أيضًا. دعينا ندع جانبًا هذه المسائل الآن. هذا هو السبب في أنني أشعر بالامتنان إلى هذا الحد (لك ولكل شيء) وطبيعي لهذا أنني أشعر (إلى جوارك) بالهدوء البالغ، وأشعر بالقلق البالغ، أشعر بغاية الاستقرار، وبكل الحرية، وهذا هو السبب أيضًا في أنني بعد هذا التحقق قد نبذت كل أشكال الحياة الأخرى، فلتتطلي إذن في عيني!

إذن فقد كان ينبغي على السيدة ك. أن تخبرني بأن الكتب قد انتقلت من المنضدة الجانبية إلى المكتب. لا شك في أنه كان من الواجب استشارتي أولاً عمّا إذا كنت أوافق على هذا التغيير ولقد كنت سأقول. لا! وليكن لي امتنانك الآن، ذلك أنني قد كُتبت بنجاح رغبتني في أن أضيف شيئاً أحمق إلى هذه السطور الأخيرة (شيئاً غيوراً بحماقة). لكن يكفي هذا وأخبريني الآن عن إميلي.

مساء الإثنين

إن الوقت يعد متأخراً الآن بالفعل، بعد يوم كان إلى حد ما كثيباً على الرغم من كل شيء، وقد لا تصلني رسالة منك غداً، ولقد تسلمت رسالة السبت، ورسالة كتبت يوم الأحد يمكن أن تصل فقط بعد الغد، وعلى هذا سيكون اليوم خالياً من التأثير المباشر لرسالة من رسائلك: كم هو غريب أن تذهلني رسائلك يا ميلينا، لقد أحسست لمدة أسبوع أو أكثر أن شيئاً قد حدث لك، شيئاً مفاجئاً، أو على مراحل، شيئاً أساسياً، أو عرضياً، شيئاً واضحاً، أو مجرد نصف واع، المهم أن شيئاً ما هنالك، وهذا ما أثق في وجوده. لا يمكنني إلى حد بعيد أن أكتشف ذلك الشيء من التفاصيل التي تملأ الرسائل، على الرغم من أن هناك مثل هذه التفاصيل أيضاً، أما عن حقيقة أن رسائلك تمتلئ بالذكريات (وإنها لتمتلئ بكل الذكريات الخاصة)، ومن حقيقة أنه على الرغم من أنك تجيبين على كل شيء كالعادة، لكنك لا تجيبين تماماً على كل شيء، وإنك لحزينة بلا سبب، وتحاولين أنت ترسليني إلى (دافوس)، وأنت فجأة بهذه الصورة تريدين

هذه المقابلة (لقد تقبلت في الحال نصيحتي لك بألا تحضري إلي هنا، ولقد صرحت بأن فيينا لا تصلح للقاء، ولقد كتبت لي بأننا لا ينبغي لنا أن نلتقي قبل رحلتك، وهذا التسرع الآن في رسالتين أو ثلاث رسائل)، ينبغي لي أن أكون في غاية السعادة لهذا التسرع، لكنني لا أستطيع أن أكون كذلك، ذلك أنه في مكان ما من رسائلك يوجد خوف غامض، لست أدري ما إذا كان ذلك الخوف خوفًا عليّ أو خوفًا مني.

وهناك خوف أيضًا في هذه المفاجأة، وذلك التسرع اللذين بهما تريدان هذا اللقاء، وأنا على أية حال في غاية السرور لأنني قد وجدت إمكانية ما، وأنه من المؤكد أنها إمكانية، ألن يكون في مقدورك أن تقضي ليلة خارج فيينا، من الممكن أيضًا أن يتم ذلك لو أننا ضحينا معًا ببضع ساعات تأخذين قطار يوم الأحد السريع إلى جموند في حوالي الساعة السابعة صباحًا (كما فعلت أنا في ذلك الوقت)، وتصلين إلى هناك في الساعة العاشرة صباحًا، وسوف أقابلك. ولما كنت سأرحل فقط في الرابعة والنصف مساءً، فيكون أمامنا ما تزال ست ساعات نقضيها معًا، ثم تأخذين بعد ذلك قطار الليل السريع عائدة إلى فيينا، فتبلغينها في الحادية عشرة والنصف، رحلة قصيرة ليوم الأحد.

وإليك السبب في أنني لا أشعر بالراحة، أو أنني بالأحرى لا أشعر بانعدام الراحة. فكم هي هائلة طاقتك. وبدلاً من كوني أشعر بالمزيد من انعدام الراحة الذي يتجاوز راحتي القلقة، سببه أنك، في صمت، تلزمين الصمت، فيما يتعلق بأمر ما، أو أن عليك أن تبقي صامتة، أو أنك تبقين صامتة سهوًا، وعلى هذا فبدلاً من أن أصبح أكثر قلقًا لهذا السبب، فإنني

أبقى هادئًا. فكم هي هائلة ثقتي فيك على الرغم من حالاتك التي تتبدل
عليها. فلو ظللت صامتة بخصوص أمر ما، فإن هذا الصمت أيضًا سيكون
صوابًا، فيما أعتقد. لكنني بعد، لسبب آخر، سبب حقيقي، وغير عادي،
أبقى هادئًا تجاه هذا كله. إن لك طورًا غريبًا (وأظن أنه يكمن عميقًا في
طبعك، وأنه «لخطأ الآخرين» إن لم يحدث طورك الغريب هذا فعله في
كل مكان) طورًا غريبًا لك لم أعثر بعد على مثيل له لدى أي شخص آخر،
وإنه لهو حقًا هذا الطور الغريب، الذي رغم أنني قد عثرت عليه هنا، إلا
أنني لا يمكنني في الحقيقة أن أتصوره. إنها لغرابة طورك التي تتمثل في
كونك غير قادرة على أن تتسبب في أن يعاني أحد، ولا يكمن دافع الشفقة
وراء عدم قدرتك على التسبب في دفع الناس إلى المعاناة، لكن السبب
هو أنك غير قادرة على أن تفعل ذلك، لا. إن ذلك شيء خيالي! ولقد
أنفقت فترة ما بعد الظهيرة كلها وأنا أفكر على الأغلب في ذلك، لكنني
الآن لا أجزؤ على أن أدون أفكاري. ولعل الأمر كله لا يزيد في كثير أو
قليل على أن يكون مجرد علة واضحة للإخفاق تتضمن رغبتني في أن
أضمك إلى أحضاني.

والآن إلى الفراش، وإنني لأعجب ماذا تراك تفعلين الآن في الساعة
الحادية عشرة، مساء؟

الثلاثاء

وهكذا عليك بالقليل من المعرفة البشرية، يا ميلينا. لقد قلت هذا دائماً، لتكن إلزا مريضة، ربما أمكن هذا، وربما تمكن المرء لهذا السبب من أن يحضر إلى فيينا- لكن العمة كلارا مريضة (للغاية)؟ هل تتصورين أنني يسعني بصرف النظر عن كل اعتبار آخر، أن أذهب إلى المدير لأخبره- دون أن يتأبني الضحك، عن العمة كلارا (طبعاً، وإنك لتظهرين في هذا شيئاً من المعرفة بالطبيعة البشرية، طبعاً فيما يتعلق بأمر اليهود فإن لكل منهم عمة كلارا، لكنني عمتي أنا كلارا قد ماتت، منذ وقت طويل)، وعلى هذا فإن هذه الفكرة مستحيلة تماماً، ولا نحتاجها لحسن الحظ بعد الآن. فدعيتها تموت، فهي ليست وحدها في نهاية الأمر، ذلك أن أوسكار معها، ومن هو أوسكار، من ناحية أخرى؟، إن العمة كلارا هي العمة كلارا، لكن من هو أوسكار؟ على أية حال، إنه معها، فدعينا نأمل في ألا يسقط مريضاً هو أيضاً، ذلك المنقب في أحراش التراث^(١)!

رسالة بعد هذا كله، ويا لها من رسالة! إن ما قلته لك في البداية ليس صحيحاً بالنسبة لرسائل المساء، لكن هذا الاضطراب (كما قلت: الهدوء)، ما إن يوجد ذات مرة، فإنه لا يمكن إقصاؤه، ولا حتى بهذه الرسائل.

كم هو طيب أننا سيري أحدنا الآخر! ولعلني أبرق إليك غداً أو بعد غد، (لقد ذهبت أوتلا لإعداد جواز السفر)، بما إذا كان في وسعي

(١) كانت ميلينا قد اقترحت فيما يبدو أنها ستبرق قائلة: العمة كلارا مريضة للغاية فاحضر في الحال يا أوسكار.

أن أحضر إلى جموند هذا السبت (الوقت متأخر بالفعل للغاية بالنسبة
لثيينا هذا الأسبوع، ذلك أنه كان ينبغي أن يكون قد تم حجز تذكرة السفر
بقطار السبت السريع)، ردي عليّ برقيًا، إذا كان يسعك أن تحضري أنت
أيضًا. أرجوك أن تذهبي إلى مكتب البريد في المساء أيضًا، حتى يمكنك
أن تحصلي على البرقية في الحال، إنها ستكون كما يلي: «إنني سأرسل
برقية أقول فيها «مستحيل» ومعنى هذا أنني لا يمكنني أن أحضر هذا
الأسبوع، في تلك الحالة لن أ توقع منك ردًا بالبرق، وسوف نناقش البقية
عن طريق الرسائل (بالنسبة للأسابيع الأربعة المقبلة سوف يعتمد اللقاء
بالطبع على المكان الذي ستذهبن إليه في الريف، فربما رحلت بعيدًا عن
المكان الذي سأذهب إليه - حسنًا، عندئذ لن يتمكن أحدنا من رؤية الآخر
لمدة شهر) أو أنني سأرسل برقية بدلًا من ذلك قائلاً: «هل يمكن أن يكون
السبت في جموند»، على هذا سأ توقع ردًا إما بـ «مستحيل»، أو بـ «سيكون
السبت في جموند» أو «سيكون الأحد في جموند»، في الحالتين ستكون
المشكلة قد تم حلها، وسوف لا تتطلب أية برقيات علاوة على ذلك،
وسوف نرحل كلانا متجهين نحو جموند، ونرى أحدنا الآخر هذا السبت
أو الأحد. إن هذا كله يبدو في غاية البساطة.

لا، بل لكي أؤكد لك أن برقيتك قد وصلتني، فسوف أنوه بها،
ساعتان على الأغلب قد ضاعتا، وكان عليّ أن أضع الرسالة جانبًا، لقد
كان (أوتو - بيك) هنا^(١)، إنني مرهق، متى سيري أحدنا الآخر؟ لماذا
انقضت ساعة ونصف ولم يسمع المرء اسمك يتردد سوى ثلاث مرات

(١) شاعر من براغ: ومحرر جريدة براغ، وصديق قديم من أصدقاء كافكا.

فقط؟ أين أنت؟ على الطريق إلى القرية، أين يوجد الكوخ؟ إنني أيضًا في طريقي إلى هناك، إنها لرحلة طويلة، لكن أرجوك ألا ترهقي نفسك بهذا الشأن، ومهما حدث فإننا في طريقنا، ولا يمكن للمرء أن يفعل سوى أن يبدأ في الرحيل.

الثلاثاء

أين هو الطبيب؟ إنني أفتش في الرسالة دون أن أقرأها لمجرد أن أعثر على اسم الطبيب فيها، أين هو؟ إنني لست نائمًا، لست أقصد أن أقول إن هذا هو السبب في أنني لست نائمًا، الناس العاديون الذين لا يحسون الموسيقى لا تسلبهم الهموم الحققة نومهم كما تسلبهم إياها أمور أخرى، ومع ذلك فإنني لم أنم، هل الرحلة إلى فيينا قد مضى عليها الآن وقت طويل؟ وهل أنا أوفي حظي تقديرًا زائدًا عن حقه؟ وهل اللبن والزبد والسلطة سيئة؟ وهل أحتاج حقًا إلى غذاء هو مجرد وجودك؟ ربما لا يكون السبب شيئًا من هذا كله ولكن الأيام ليست مبهجة، وعلاوة على ذلك، فلم يتح لي حسن الطالع لمدة ثلاثة أيام حتى الآن أن أنعم بخلو الشقة، إنني أعيش في المنزل (إن هذا هو أيضًا السبب في أنني تسلمت البرقية في الحال). ربما لم يكن خلو الشقة هو الذي يوفر لي هذه الراحة، أو لعله على الأقل ألا يكون هو أول الأسباب، بل لعل امتلاك شقتين إحداها للنهار، والأخرى أكثر بعدًا عنها أخصصها للأُمسيات والليل، هل تدركين هذا؟ إنني لا أفهمه أنا نفسي، إلا أنه لكذلك.

نعم الدولار، ربما سيكون هو الموضوع الوحيد لقتالنا الأول، وقتالنا الأخير، فسوف أقول: «دعينا نلقيه خارجًا» وسوف تقولين: «يجب أن يبقى في مكانه» وسوف أقول: «عليك أن تختاري أحدها أنا أو الدولار»؛ وستقولين في الحال: «فرانك وشرانك»^(١) ذلك أن اللفظتين تحققان إيقاعًا ما. إنني أختار الدولار، وسأقول: «حسنًا» وفي تناقل، أهبط الدرج (أي درج؟) وإذا لم أكن قد وجدت قناة الدانوب، فسوف أبقى اليوم على قيد الحياة.

وإنني في الحقيقة، لأقف كلية في صف الدولار، فقط لا ينبغي لك أن ترتدي ذلك الثوب، ذلك أنك سوف ترتدينه حتى يستحيل مزقًا، وما الذي سيقى لي عندئذ؟

غريب، ذلك القبر، لقد بحثت بالفعل عنه في ذلك المكان، لكنني فعلت ذلك في وجل، وبدلاً من ذلك وجدتي في ثقة هائلة أقرب أكثر فأكثر. وأخيراً درت دورات واسعة حوله، لأجدني في نهاية الأمر قد قصدت مقصورة مختلفة كلية، ظننتها هي القبر المقصود.

إذن فسترحلين، وأنت لم تحصلي بعد على جواز سفرك أيضًا، (وبهذا يكون التأكيد لي بأنك ستأتين في حالة الضرورة فورًا) فهل ما زلت تتوقعين مني الآن أن أنا؟

والطبيب؟ أين هو؟ ألم يعد له هنالك وجود بعد؟

لم توجد أية طوابع خاصة (بمجلس النواب)، لقد ظننت أنا أيضًا أنها لا بد أن توجد، وقد وصلني اليوم لخبية أُملي البالغة طوابع (مجلس النواب)،

(١) لفظة دولار بالألمانية.

إنها طوابع بريد عادية فوقها علامة (المجلس) البريدية، وهي حتى بحالتها هذه وبسبب هذه العلامة البريدية وحدها، كان من المفروض أن تكون ذات قيمة ما، إلا أن هذا ما قد لا يدركه الصبي. وسوف أضمن كل رسالة طابعًا واحدًا في كل مرة، أولاً نظرًا لقيمة هذه الطوابع، وثانيًا، لكي يصلني سطر يعرب لي عن الشكر كل يوم.

ترين أنك في حاجة إلى رأس، لماذا لم نستفد أكثر من وقتنا في فيينا؟ لماذا، لماذا لم نقض وقتنا كله في (فندق المحطة)، لقد كان وقتنا رائعًا هناك، وكنا جد قرييين أحدهما من الآخر؟ وآمل ألا تكوني قد قرأت فكاهاتي السخيفة للدولاب بصوت مرتفع؟ فأنا أحب في نهاية الأمر كل شيء في غرفتك، أحبه إلى درجة الشرود.

والطبيب؟

وهكذا فأنت غالبًا ما ترين جامع الطوابع البريدية؟ ليس هذا تساؤلًا خبيثًا، على الرغم من أنه يبدو كذلك. فعندما لا ينام المرء نومًا طيبًا، فإن المرء ليتساءل الأسئلة دون أن يدري عن ذلك شيئًا، ويود المرء لو يظل يتساءل إلى الأبد. إن انعدام النوم لا يعني شيئًا سوى التساؤل: فلو أن المرء حصل على إجابة لنام.

وهذا التصريح بانعدام المسؤولية الأخلاقية هو حقًا غاية في السوء، آمل أن تكوني قد حصلت على جواز السفر؟

الثلاثاء

رسالة أحد أيام الجمعة: إذا لم يكن ثمة شيء قد تمت كتابته في يوم الخميس، فليكن إذن، ما دام أن شيئاً لم يفقد.

إن ما كتبه عني أراه غاية في المهارة، ولست أريد أن أضيف شيئاً، فليبق ما كتبه كما هو تماماً دون أن يُمس، شيء واحد فقط، يتضمنه هو أيضاً ما قد كتبه، وهو ما أود أن أقرره بمزيد من الوضوح إلى حد ما: ذلك أن سوء حظي هو أنني أعتبر كل البشر، وفوق الكل بالطبع هؤلاء الذين يبدوون لي أكثرهم سموًا - أعتبرهم جميعاً طبيين، بعقلي وقلبي أراهم جميعاً طبيين (وقد دخل الآن للتو رجل، كان مذعورًا، ذلك أنني شكلت في الفراغ وجهًا يعكس هذا الرأي)، جسدي فقط لا يمكنه إلى حد ما أن يقتنع بأنهم حقًا يمكنهم عند الضرورة أن يكونوا طبيين. إن جسدي خائف، ولا يمكنه أن ينتظر (بهذا المعنى) نتيجة اختبار اعتناق العالم الحق، ويفضل أن يزحف في بطنه على الحائط.

إنني بسبيلي مرة أخرى، في ليلة أخيرة، إلى تمزيق الرسائل. إنك غاية في التعاسة من أجلي، ولعل ثمة أشياء أخرى تسهم في ذلك، ذلك أن كل الأشياء تؤثر في بعضها البعض، فلتقولها إذن بصراحة المرة بعد المرة، لأن ذلك لا يمكن أن يتم بالطبع دفعة واحدة.

ذهبت بالأمس لزيارة الطبيب، وعلى عكس توقعاتي لم يبين لي، لا هو ولا الموازين التي يستخدمها إن كنت قد تحسنت، كما لم يبينوا لي من ناحية أخرى أنني قد ازدادت سوءًا أيضًا، لكنه يظن أنني يجب أن

أرحل، وعند ذكر جنوب سويسرا، التي أدرك في الحال بعد توضيحي أنها مستحيلة، أوصى للتو، دون أي تأثير من جانبي بمصحتين في جنوب النمسا باعتبارهما أفضل المصحات، مصحة (جريمنشتاين) (دكتور فرانكفورتر)، ومصحة (فاينر فالد) (غابة فيينا)، مع أنه لم يكن يعرف وقتها العناوين البريدية لا لهذه ولا لتلك، فهل يمكنك إذا وجدت الفرصة أنت تستعلمي عنهما من إحدى الصيدليات، أو أحد الأطباء، أو عن طريق دليل تلغرافي؟ لا داعي للعجلة، كما أن هذا لا يعني أنني سأذهب إلى أي منهما. إن هذه المصحات هي مصحات صدرية بصفة خاصة، مساكن تسعل بكاملها، وترتعد، وتتفضل بالحمى نهارًا وليلاً، حيث يتناول فيها المرء اللحم، وحيث يخلع الجلادون السابقون أذرع المرء إذا عنَّ للمرء أن يقاوم الحقن، وحيث تجدين الأطباء اليهود الذين يرتنون على لحاهم، قساة على اليهودي قسوتهم على المسيحي، فتدبري هذا.

في أحد رسائلك الأخيرة، كتبت شيئًا (لست أجزؤ على أن أخرج هذه الرسائل، ولعلني بينما أجيل فيها البصر قد أسأت فهم أمر من الأمور، وهذا هو أكثر ما يبدو لي قريبًا من الصحة)، كتبت أنت في أحد رسائلك الأخيرة تلك شيئًا يفيد بأن موقفك هناك يقترب من نهايته الختامية. كم كان في الكثير منها ما يبدو (أحزانًا تذكارية)، وكم كان فيها من الصدق الذي لا يتزعزع؟

مرة أخرى قرأت خلال رسالتك لأنسحب (منزعجًا)، وعند إعادة التفكير يتضح لي افتقاد بعض الأشياء، وتهويل للبعض الآخر، وعلى هذا فهي ماهرة تمامًا. إنه لغاية في الصعوبة حقًا للبشر أن يلعبوا لعبة

(الاستخفاء) مع الأشباح.

هل رأيت (بلاي)^(١)، ما الذي يفعله؟ كان الأمر سخيًّا كله، فهذا ما يمكنني أن أصدقه تمام التصديق وأن المرء قد يبقى حائرًا بين النقيضين بخصوص ذلك هو ما أعتقده كذلك. وإن لم يكن ثمة شيء في أنه كان هناك ما هو جميل في الأمر، فيما عدا أنها كانت تبعد مسافة خمسين ألف ميل، وأنها ترفض الاقتراب، وأن أجراس سالسبورج لو أنها كلها بدأت تدق فإنها سوف تتراجع متباعدة، بدافع الحذر، بضعة آلاف أخرى من الأميال.

هل تعرفين قصة هرب كازانوف من زمرة (الرواد)؟ نعم، أنت تعرفينها، إن أكثر معاني السجن رعبًا تجدينها موصوفة هنالك باختصار، ففي أعماق القبور في الظلام وفي الرطوبة، وعلى نفس مستوى المستنقعات، يخر المرء على ركبتيه على أرضية ضيقة مخنوقة، يحاصرها الماء غالبًا، وفي أوقات المد العالي، وأوقات الجزر يصلها الماء بالفعل، على أن أسوأ ما في الأمر لهو فتران المياه الوحشية، وصرخاتها في أثناء الليل، ونشاتها، وقرصاتها (أعتقد أن على المرء أن يصارعها انتزاعًا لطعامه)، وفوق هذا كله انتظارها بفارغ الصبر أن يسقط الرجل الواهن القوى من فوق أرضيته الضيقة، هذا كما تعلمين وما تشبهه تلك القصص التي تضمنتها هذه الرسالة، الإرعاب، وما لا يمكن إدراكه، وفوق ذلك كله تجدونها أقرب ما تكون وأبعد ما تكون في وقت معًا، كما يجد المرء ماضيه!

(١) الكاتب فرانتس بلاي.

وهنالك ينحني المرء إلى حد لا يعود بعده ظهر المرء جميلاً،
وتتقلص قدما المرء في تشنج، ويرتعد المرء، لكنه لا يستطيع أن يفعل
شيئاً، سوى أن يرقب الفئران السوداء الضخمة بينما هي تحديق النظر إليه
وسط ظلام الليل، وفي النهاية لا يعود المرء يعرف إن كان ما يزال جالساً
هنالك أعلاهم على أرضيته، أو أنه وسطهم بالفعل في أسفل، بينما تفح
تلك الفئران بخراطيمها، المفغورة، وأسنانها المشرعة. هيا هيا، لا تعودي
إلى ذكر أمثال تلك القصص، فما فائدتها؟ سوف أتركك مع مثل تلك
الحيوانات الصغيرة، لكن فقط على شرط أن تطارديها إلى خارج المنزل.
ولم يعد ثمة ذكر للطبيب على الإطلاق؟ وأنت قد وعدت وعداً
حاراً بأنك ستذهبين لزيارته على أنك تحفظين وعدك على الدوام فهل
لمجرد أنك لم تعدي تلاحظين بعد أثر الدم، كان هذا هو السبب في عدم
ذهابك إليه؟ إنني لا أريد أن أتخذ من نفسي نموذجاً تحتذينه، إنك أكثر
مني صحة بما لا يقاس، وسوف أبقى أنا إلى الأبد السيد الذي يدع حقيقته
تُحمل عنه. وهو ما لا يشكل على الرغم من ذلك تغييراً في المرتبة، ذلك
أنه يجيء قبل كل شيء السيد الذي يدعو الحمال ثم يأتي الحمال، وبعد
ذلك فحسب يأتي السيد الذي يسأل الحمال أن يحمل حقيقته، وإلا فإنه
سينهار إن لم يحملها عنه، حتى أنه حدث أخيراً - أخيراً بينما كنت أسير
عائداً إلى المنزل من المحطة أن الحمال وهو يحمل حقيتي قد شرع من
تلقاء نفسه دون أن أشير إلى أي شيء يدعوه إلى ذلك شرع يعزيني من
تلقاء نفسه قائلاً، إنه متأكد من أنني أعرف كيف أقوم بأداء الأعمال التي
لا يمكنه هو أن ينجزها، وأن حمل الحقائق كانت مهنته التي لم يكن قد

قصد إلى أن يمتهنها... إلخ، وكانت هناك في حقيقة الأمر ثمة أفكار تمر بخاطري كان حديثه ذاك جواباً - لا يكفي بالمرة - للرد عليها، إلا أنني لم أكن قد عبرت عنها في وضوح - وعلى هذا فإنني لن أقارن نفسي بك في هذا المقام، إلا أنني لا يسعني أن أكف عن التفكير فيما حدث لي، وأن هذه الأفكار مرهقة، وعليك أن تذهبي إلى الطبيب. لقد كان ذلك منذ ثلاث سنوات مضت، ولم أكن قد أصبحت مصاباً بالسل بعد، ولم يكن ليرهقني شيء، وكان يمكنني أن أواصل السير إلى الأبد، ففي تلك الأيام لم يكن السير ينتهي بي إلى حدود طاقتي (وكان التفكير يشغلني من ناحية أخرى طوال الوقت)، عندما بصقت فجأة في شهر أغسطس، وكان الجو حاراً، جميلاً، وكل شيء خارج رأسي كان غاية في النظام، وبينما كنت في حمام السباحة الأهلي، بصقت شيئاً أحمر اللون. كان هذا شيئاً غريباً، ومثيراً، ألم يكن كذلك؟ ونظرت إليها فترة، ثم نسيته بسرعة. ثم حدثت مراراً بعد ذلك، وكان في استطاعتي كلما أردت أن أبصق! أن أبصق شيئاً أحمر اللون، وكان ذلك يتوقف على رغبتي. ثم لم يعد ذلك الأمر مثيراً للاهتمام، بل لقد أصبح باعثاً على الضيق، ثم نسيته مرة أخرى، فلو أنني كنت في ذلك الوقت قد ذهبت في الحال إلى الطبيب، حسناً، ربما كان كل شيء قد أصبح على ما يرام، كما قد كان الحال بدون الطبيب فيما لو أن أحداً في ذلك الوقت لم يكن قد علم بأمر الدم، ولا حتى أنا نفسي كنت قد علمت بأمره في الحقيقة، ولم ينزعج أحد، لكن ثمة شخصاً ما قد رُوِّع الآن، ولهذا أرجوك أن تذهبي إلى الطبيب.

غريب من زوجك أن يقول إنه سيكتب لي هذا وذاك، وماذا عن

ضربي، وعن خنقي؟ إنني لست أفهم هذا، حقاً إنني أصدقك بالطبع تمام التصديق، لكنه من المستحيل بالنسبة لي استحالة بالغه أن أتصور ذلك، حتى أنني كنتيجة لذلك لا يمكنني أن أشعر بشيء يتعلق بالأمر، كما لو لم يكن الأمر سوى قصة غريبة للغاية، وبعيدة، كما لو أنك كنت هنا وقلت «والآن، في هذه اللحظة! إنما أنا في فيينا، وأن هنالك صرخات - وهكذا»، وأنا قد تطلعنا معاً من النافذة في اتجاه فيينا وبالطبع لم يكن ليوجد هناك أدنى سبب يدعو إلى الهياج.

ثمة هنالك شيء آخر: عندما أتحدث عن المستقبل، ألم يحدث لك أحياناً أنني نسيت أنني يهودي؟ «في وضوح، وبغير تعقيد» إن اليهودية لتظل خطرة، حتى وهي تحت قدميك.

الأربعاء

إنني سوف أتجاوز ما كتبته عن رحلتي بقولك: «إنك لتنتظر حتى تصبح ضرورية بالنسبة لك»، سوف أتجاوزه، أولاً: لأنه أمر قد انقضى وقته، وثانياً: لأنه أمر مؤلم، على الرغم من أن له في الحقيقة بعض ما يبرره، وإلا فلماذا إذن كانت رسائل مساء السبت وصباح الأحد يائستين إلى هذا الحد؟ وثالثاً: لأننا ربما يرى أحدهما الآخر يوم السبت، (لا يبدو عليك أنك قد تسلمت أولى البرقيات الثلاث في صباح الإثنين، وآمل أن تكوني قد تسلمت البرقية الثالثة في حينها).

إنني أفهم اليأس الذي تعانينه بخصوص رسالة والدك بقدر ما يتاح

لأية تأكيدات جديدة أن تحيي في نفسك اليأس بشأن صلة الدم المباشرة هذه، اليأس إلى هذا الحد بالغ الإرهاق، والذي استمر بالفعل لهذا المدى الطويل.

أنت لا يسهل حقاً أن تقرأ في هذه الرسالة حقائق جديدة، ولست أستطيع أنا نفسي، وأنا لم يحدث لي قط أن قرأت رسالة من والدك، أن أقرأ أي شيء جديد فيها. إنها لتصدر عن القلب، وإنما لمستبدة، وأعتقد أنه لا بد لها أن تكون مستبدة، وذلك لكي تفعم القلب. ليس للتوقيع حقاً سوى قليل أهمية، إنه لينوب عن الطاغية فحسب، وفوق التوقيع، بالإضافة إلى ذلك تقوم لفظة (أسف) ولفظنا (حزين للغاية) وإنها لتمحو كل شيء.

وربما يكون قد أصابك الخوف من ناحية أخرى، بسبب التفاوت بين هذه الرسالة وبين رسالتك، حسناً، أنا لم أر رسالتك، لكنني أرجو أن تلاحظي التفاوت بين تأهبه (الطبيعي) وبين عنادك (غير المفهوم).

والآن تساورك الشكوك بخصوص الرد؟ أو أن الشكوك بالأحرى لتتأبك بالفعل، ذلك أنك قد كتبت بأنك تعلمين الآن ما الذي ينبغي عليك أن تجيبي به على تلك الرسالة. إن هذا لغريب. فلو كنت قد أجبت عليها بالفعل، وكان عليك أن تسأليني: «ما الذي تظنني قد كتبتة ردّاً عليها؟» لكنت أقول بلا تردد إنني أرى ما قد أجبت أنت به.

ليس ثمة شك بالطبع في أنه ليس ثمة أي اختلاف من وجهة نظر والدك بين زوجك وبينني، ذلك أننا كلينا لنا فيما يرى الأوروبيون نفس الوجه الزنجي، لكن بصرف النظر عن هذه الحقيقة التي ليس ثمة ما يمكن أن يقال بشأنها الآن على نحو محدد، لماذا كان لهذا أن يكون جزءاً من

إجابتك (ردك على والدك)، ولماذا يكون من الضروري أن تكذبي؟

أعتقد أنه كان يمكنك أن تجيبي فقط بما يمكن للشخص - الذي يرقب حياتك باهتمام زائد، وبقلب نابض، ويكاد يلغي في سبيل ذلك كل اهتمام له بأي شيء آخر - أن يقوله لوالدك، لو كان له أن يتحدث عنك بنفس المزاج، ذلك أن «كل الاقتراحات»، وكل «الشروط المحددة» ليس لها ثمة معنى، لأن ميلينا إنما تحيا حياتها، ولا يمكنها أن تحيا حياة أخرى غير حياتها هذه. فعلى الرغم من أن حياة ميلينا، إنما هي حياة حزينة، إلا أنها مع ذلك «حياة صحية وهادئة كالحياة في مصحة! وأن كل ما ترجوه منك ميلينا هو أن تتقبل هذا وإلا فإنها لا تسألك شيئاً - وإنها لا تنتظر منك قط (تدبيراً ما). إن الشيء الوحيد الذي تسألك إياه، هو ألا تنغلق على نفسك عنها عمداً، بل تسألك أن تتبع قلبك، وأن تتحدث إليها حديث إنسان إلى إنسان، حديث الند للند. لتفعل هذا مرة، وسوف تخلص ميلينا من الكثير من (الحزن) الذي يشيع في حياتها، ولن يكون عليك بعد أن تكون (آسفاً) من أجلها».

ما الذي تعنيه بقولك إن توقيت ردك على والدك يصادف يوم عيد ميلادك؟ إنني بدأت أخاف حقاً من عيد الميلاد، وأرجوك سواء رأينا أحدنا الآخر يوم السبت أم لا؛ أن تتصلي بي بالبرق على أية حال في مساء العاشر من أغسطس.

لو أمكنك فقط أن ترتبي الأمر بحيث يمكن لك أن تتواجد في جموند يوم السبت أو يوم الأحد على الأقل!
إن ذلك لهو حقاً أمر ضروري للغاية.

في هذه الحالة ستكون رسالتي هذه هي بالفعل الرسالة الأخيرة التي تسلمينها قبل أن يرى أحدنا الآخر وجهًا لوجه، وستراك عيناى اللتان لا يشغلهمأ شىء لمدة شهر (حسنأ، نعم ستشغلهمأ قراءة الرسائل، والتطلع من خلال النافذة).

إن المقال لىفضل كثرأ أصله فى الألمانية، على الرغم من أنه لا تزال به بعض الفجوات، وإلا فإن المرء لىتقدم فى قراءته كما لو كان يسىر فى مستنقع، فكل قدم ترفع تشكل صعوبة بالغة. لقد قال لى أحد قراء (تريونا) أخىراً إنه يظن أن على أن أقوم بدراسات مطولة فى مستشفى للأمراض العقلية، قلت له: «فى مستشفى الخاصة للأمراض العقلية»، على حين أكمل هو حديثه قائلاً فى محاولة لمدحى: «مستشفى الخاصة للأمراض العقلية». (ثمة موضعان أو ثلاثة يلبس فىها المعنى فى الترجمة).

مساء الأربعا

الآن فقط فى حوالى الساعة العاشرة مساءً، كنت فى المكتب، وكانت برقىتك هناك، لقد وصلت بغاية السرعة، حتى لقد راودنى الشك فى أن تكون هى ردك على برقىتى التى أرسلتها إلك بالأمس. ومع ذلك فهى تقول: «أرسل الأربعا ثمان، الساعة الحادية عشرة صباحاً»، ولقد كانت هناك بالفعل فى الساعة السابعة صباحاً، وعلى هذا فقد استغرق وصولها ثمانى ساعات فقط. إن أحد أوجه العزاء التى تمنحنى إياها تلك البرقية فى حد ذاتها هى أننا على الأقل من الناحية الجغرافية، ما زلنا قريبن تقربأ أحدنا من الآخر: ذلك أننى يسعنى أن أتسلم رداً منك فى أقل من أربعا

وعشرين ساعة، وليس لهذا الرد أن يكون دائماً: لا ترحل.

يتبقى هنالك ما يزال ثمة احتمال: ربما لم تتسلمي بعد رسالتي التي شرحت فيها أنه ليس عليك أن تقضي الليلة بعيداً عن فيينا، لكن عليك أن تحضري إلى جموند، لكن لعلك أن تكوني قد اكتشفت هذا بنفسك، وفي هذه الحالة فإنني ما زلت أتعجب، ما إذا كنت بناء على هذا الاحتمال الضئيل سأحاول أن أضمن لنفسي تذكرة قطار سريع، وتأشيرة صالحة لمدة ثلاثين يوماً (هي رحلة عطلتك).

لعلني لا أريد أن أفعل ذلك، فعلى الرغم من أن برقيتك بالغة التحديد، إلا أنه يبدو أن لديك ثمة اعتراضات على الرحلة، ليس من السهل أن تتحولي عنها فانتبهي الآن يا ميلينا، إن الأمر حقاً ليس بالغ الأهمية، فإنني وحدي لم يكن يسعني أن أجرو (في الحقيقة لمجرد أنني لم يسعني مطلقاً أن أقدر كيف يمكن بهذه البساطة، أن يتم ترتيب لقاء لنا)، لم يكن يسعني أن أجرو على أن أحلم بمحاولة رؤيتك مرة أخرى (بالفعل) بعد أربعة أسابيع، فلو تم لقاءنا فأعزو الفضل فيه كلية إليك، وعلى هذا يكون لك الحق (بصرف النظر عن حقيقة أنك إن لم تحضري، فلن يمكن احتمال ذلك، وهذا ما أعلمه) لهذا السبب في إلغاء ذلك الاحتمال نفسه الذي خلقته أنت - هذا ما لا أجدني في حاجة إلى ذكره. إن المشكلة هي فقط في أنه إذا كان في الإمكان أن يتم بمثل ذلك الفرح حفر ذلك السرداب المستقيم المؤدي إليك من الفجوة المظلمة، وأنه لو تسنى لكل ما يمكن أن يكون عليه المرء أن يكون قد تم إلقاءه تدريجياً في داخل ذلك السرداب الذي ربما (بل بالتأكيد، بالتأكيد، بالتأكيد، يقولها السرداب فوراً

في حماقة)، ربما يؤدي إليك، والذي قد يؤدي بي فجأة إلى جحر لا يمكن اختراقه، بدلاً من أن يؤدي بي إليك أنت؛ فأرجوك إذن ألا تحضري! إذا كانت النتيجة التي تنتهي الآن إليها، أن المرء بكل ما قدر له أن يكون عليه، عليه مرة أخرى أن يقفل راجعاً في تلكؤ متسكعاً بطول السرداب (ذلك السرداب الذي كان قد تم حفره بتلك السرعة البالغة)، وأن يردمه، وهو يقفل راجعاً.

حسنًا، إن في هذا ما يؤلم إلى حد ما، إلا أنه لا يمكن أن يكون سيئاً إلى هذا الحد، ما دام يسمح للمرء بأن يتناوله بالكتابة تفصيلاً على هذا النحو، وسيصنع المرء ثانية ممرات جديدة في نهاية الأمر ستحفرها دودة الخلد العتيدة تلك، التي هي أنا!

أسوأ من ذلك كثيرًا حقيقة أن اللقاء سيكون لقاءً بالغ الأهمية، لأسباب أعتقد أنني قد أشرت إليها بالأمس. وبهذا الخصوص لا يمكن استبدال اللقاء بأي شيء آخر. وهذا هو في الحقيقة السبب في أنني حزين بخصوص البرقية. لكن ربما تضمنت رسالتك إليّ بعد الغد، شيئاً من العزاء.

لي طلب واحد فقط: في رسالتك التي تسلمتها اليوم. توجد جملتان غاية في القسوة، الأولى - «وأنت لن تأتي لأنك تنتظرين يومًا يكون حضورك فيه ضرورة بالنسبة لك»، هذه الجملة لها عذر ما، وإن كان أبعد من أن يكون مبررًا كافيًا، أما الجملة الثانية فهي - «وداعًا يا فرانتس»، ثم يعقب ذلك، حتى يمكنك فقط أن تتسمعي وقع الجملة: «وما دام أنه ليس ثمة فائدة هنالك ترجى من إرسال البرقية الزائفة، فإنني

لن أرسلها»- [فلماذا أرسلتها إذن؟]، وهذه الـ (وداعًا يا فرانتس) ليس لها أيضًا ما يبررها. هاتان هما الجملتان. فهل يمكنك يا ميلينا على نحو ما أن تسحبيهما؟، اسحبيهما رسميًا، ويمكنك أن تسحبي جملة الأولى جزئيًا إذا شئت ذلك، أما الثانية فتسحبها كلية مهما يكن من أمر!.

لقد نسيت أن أرفق بهذا رسالة والدك هذا الصباح. اغفري لي، وقد لاحظت أيضًا، بصورة عارضة إنها كانت رسالته الأولى إليك في ثلاث سنوات، وفهمت الآن فحسب ذلك الانطباع الذي لا بد قد تركته في نفسك. إن هذه الحقيقة، تجعل رسالتك إلى والدك بالطبع، ذات مغزى أعمق، ولا بد أن يكون ثمة ما هو جديد فيها أساسًا في نهاية الأمر.

نعم، ثمة هنالك ما تزال جملة ثالثة في رسالتك لعلها أن تكون موجهة ضدي، أكثر مما هي موجهة ضد هؤلاء الذين ورد ذكرهم في رسالتك، إنها تلك الجملة التي تتحدث عن الحلوى التي تضايق المعدة.

الخميس

وعلى هذا فالיום، وعلى نحو غير متوقع بالإضافة إلى ذلك، هو يوم مذعور لا رسائل فيه، وعلى هذا فرسالتك يوم الإثنين كانت تعني بغاية الجد أنه لم يكن ليسعك أن تكتبي في اليوم التالي. حسنًا، لقد اعتبرت برقيتك شيئًا أئساند إليه.

(في الهامش الأيسر): لست أعارض مطلقًا رحلة عطلتك، كيف

يمكنني أن أعارضها، وما الذي يجعلك تظنين هذا؟

الجمعة

رهية بدون رسائلك. إذن لما كان ذلك صحيحًا، ذلك أنها لتكون
مرعبة الثقل فقط، كان ثقل السفينة بالغًا، وكانت جرتها في المياه عميقة
غاية العمق، ومع ذلك فلقد أبحرت مع تيارك عندما ارتد جزرًا. شيء
واحد فقط لا يمكنني احتماله يا ميلينا، دون عونك الخاص: ذلك هو
«الخوف»، وإنني لضعيف غاية الضعف بالنسبة لهذا، حتى أنني لا
أجدني قادرًا حتى على أن أرى نهاية ذلك الخوف الرحب، ذلك أنه
يجرّني بعيدًا.

إن ما قلته أنت عن يارميلا، لهو مجرد نوبة من نوبات الضعف هذه
التي تتاب القلب، لقد توقف قلبك لدقيقة واحدة عن أن يكون مخلصًا
لي، ثم إنك لتدركين فكرة من هذا القبيل. فهل ما زلنا اثنين بهذا المعنى؟
وهل «خوفي» أنا يمكن أن يكون شيئًا ما من الأشياء، يختلف اختلافًا بعيدًا
عن خوف امتهان النفس؟

وها أنذا أقاطع استرسال الحديث مرة أخرى، ذلك أنني لن يسعني أن
أكتب لك بعد ذلك، أثناء وجودي في مقر عملي.

إن الرسالة الكبيرة التي أعلنت عنها لتبعث الخوف في نفس المرء،
لو لم تكن هذه الرسالة مؤكدة كل هذا التأكيد، فما الذي سوف تتضمنه؟
إذا وصلتك النقود، فدعيني أعلم ذلك في الحال، فإذا كانت قد
فقدت، فإنني سوف أرسل المزيد، فإن فقدت هذه أيضًا فسوف أرسل
المزيد مرة أخرى، وهكذا؛ حتى لا يتبقي لدينا منها شيء وعندئذ فحسب،

سيكون كل شيء على ما يرام.

ف

إنني لم أحصل على الزهرة، ويبدو أنك في اللحظة الأخيرة قد
اعتبرت عدم حصولي عليها أمرًا حسنًا للغاية بالنسبة لي.

الجمعة

وهكذا فأنت تشعرين بالمرض كما لم شعري به منذ أن عرفتك؟
وهذه المسافة التي لا يمكن اجتيازها، بالإضافة إلى آلامك لتجعلني أشعر
كما لو كنت أنا في حجرتك وأنت لا تكادين تعرفين عليّ، وأني أتجول
بلا حيلة ذهابًا وجيئةً بين الفراش والنافذة، ولا توجد لديّ ثقة ما في أي
شخص، ولا في أي طبيب، ولا في أي علاج، ولا أعرف شيئًا، وأحرق
في السماء الكثيبة التي بعد كل مرح السنوات المنقضية وبهجتها، تبدى
للمرة الأولى في يأسها الحقيقي، عديمة الحيلة، مثلي تمامًا. إنك تستلقين
في الفراش؟ فمن الذي يحضر لك طعامك؟ وما نوع هذا الطعام؟ وإذا
سنحت لك الفرصة، اكتبي شيئًا عن نوبات الصداع هذه التي تنتابك. ذات
مرة كان لي صديق، يهودي شرقي، كان يعمل ممثلًا، وكانت تنتابه كل
ثلاثة شهور نوبة صداع تستمر أيامًا عدة، أما فيما عدا ذلك فقد كان في
صحة جيدة، لكنه عندما كانت تداهمه أيام الصداع تلك، كان يحدث له أن
يتوقف في وسط الشارع، ويستند إلى حوائط المنازل، ولم يكن هناك ما
يمكن للمرء أن يفعله من أجله سوى أن يتمشى ذهابًا وجيئةً طوال نصف

الساعة تلك، وأن ينتظره.

إن الرجل المريض ليهجره الصحيح، لكن الشخص الصحيح يهجره المريض أيضًا! هل هي متكررة بانتظام هذه الآلام؟ وماذا عن الطبيب؟ ومنذ متى أصابتك هذه الآلام؟ ولعلك تتناولين الأقراص الآن أيضًا؟ إن هذا لسيئ، سيئ، ولعله ألا يكون مسموحًا لي حتى بأن أقول يا طفلي الصغيرة. مما يؤسف له أن رحيلك قد تأجل مرة أخرى، والآن فسوف ترحلين فقط يوم الخميس، أسبوع! حسنًا، إنها لمتعة أن أراك تستردين صحتك هناك بين البحيرة والغابة، والجبال، لن يكون من حسن طالعي أن أتمتع بهذا. لكن إلى أي حد أبعد من هذا تراني أرغب في الاستزادة من حسن الطالع، إنني لرجل شره، شره؟ وإنه لمما يؤسف له أنه سيكون عليك أن تواصلني تعذيب نفسك إلى هذا الحد البالغ في فيينا.

عن دافوس، سوف نتحدث في وقت آخر، لست أريد أن أذهب إلى هناك لأن المكان بعيد غاية البعد، وباهظ النفقات، ولأن الذهاب إلى هناك لا يشكل ضرورة قصوى. فإذا قُدر لي أن أغادر براغ، ولربما غادرتها، فإن أفضل ما قد أفعله سيكون أن أذهب إلى إحدى القرى، ولكن من ذا الذي سيستضيفني من ناحية أخرى؟ إنه ليتعين عليّ ما يزال أن أندبر هذا، على أنني لن أرحل قبل أكتوبر.

التقيت الليلة الماضية بشخص يدعى (شتاين)^(١). ربما تعرفينه عن طريق المقاهي، طالما كان يقارن دائمًا بالملك ألفونسو. إنه مساعد المدعي

(١) محامي من براغ، هو دكتور باول شتاين.

العام الآن، قال لي إنه في غاية السعادة للقائي، وكان في حاجة إليّ لكي يتحدث معي حديثاً يتعلق بمهنتنا، وقد انتوى أن يتحدث إليّ تليفونياً، في اليوم التالي: «حسناً، عن ماذا؟» - «عن حالة من حالات الطلاق، لك بها أنت أيضاً ثمة علاقة» - أعني أنه كان يسألني أن أتدخل. «كيف؟»، كان عليّ حقاً أن أضع يدي على قلبي ثم اتضح بعد ذلك أنها كانت حالة طلاق أحد والدي «الشاعر» وأن الأم التي لا أعرفها، قد طلبت من دكتور شتاين، أن يطلب إليّ أن أستخدم نفوذي لدى «الشاعر» لكي يعاملها (الأم)، على نحو أفضل قليلاً، وألا ينتهرها بمثل تلك القسوة التي ينتهرها بها.

وإنه لزواج غريب بالمناسبة. تصوري، كانت المرأة قد تزوجت بالفعل مرة من قبل، وخلال ذلك الزواج السابق أنجبت طفلاً (هو نفسه الشاعر المذكور سابقاً) من زوجها الحالي. وعلى هذا يحمل الشاعر اسم الزوج الأول، ولا يحمل اسم والده. ثم تزوجا (تزوجت الأم بالأب)، وقد تم طلاقهما الآن ثانية بعد سنوات طويلة من حياتهما الزوجية، بناء على رغبة الأب، والد الشاعر، (ولقد تم التصريح لهما بالطلاق بالفعل)، لكن لما كانت المرأة، في ظروف أزمة المساكن الحالية، لم تتمكن من العثور على شقة، فإنهما يعيشان معاً لهذا، كزوجين، إلا أن الزوج، وعلى الرغم من تلك الحياة الزوجية التي يمارسانها معاً (لعدم وجود شقة أخرى) يرفض الصلح معها، أو أنه يرفض حتى على الأقل أن يتخلى عن متابعة الإجراءات الخاصة بإتمام الطلاق. ألا تبلغ بنا عواطفنا نحن البشر درجة المهزلة؟

وأنني لأعرف الأب، وهو شخص رقيق، حساس، قدير للغاية، ورحيم.

أرسلني إليَّ مهما كان الأمر قائمة بكل ما تريدينه، وكلما طالت محتويات تلك القائمة، كان ذلك أفضل. ولسوف أتجول زاحفًا على صفحات كل كتاب تطلبينه، وسأتسلق كل ما سوف يرد في قائمتك هذه، لكي يتسنى لي أن أرحل في كل جزء منها إلى فيينا (ليس ثمة اعتراض لدى المدير على رحيلي على هذا النحو)، فاسمحي لي بكل إمكانيات الارتحال إليك بقدر الإمكان، ويمكنك أن تعبريني مقالاتك التي ظهرت أخيرًا في (تريبونا).

إن أمامي ما أتطلع إليه غالبًا بالمناسبة، وهو عطلتك تلك، فيما عدا الاتصال البريدي السيئ. سوف تكتبين إليَّ باختصار، وتصفين لي تلك العطلة، ألن تفعلين ذلك - هل ستكتبين لي عن حياتك، وعن شقتك، وعن نزهاتك، وعن المنظر الذي تطلين عليه من نافذتك، وعن طعامك، وذلك حتى يتاح لي أن أشاركك حياتك، مشاركة ما ولو صغيرة.

السبت

إنني شارد في هذه اللحظة وحزين، فلقد فقدت برقيتك - أعني أنها لا يمكن أن تكون قد فقدت، لكن حقيقة أن عليَّ أن أبحث عنها، فهي حقيقة سيئة بما يكفي. إلا أنها غلظتك أنت في الواقع، لو لم تكن البرقية بالغة الجمال إلى ذلك الحد لما ظللت ممسكًا بها في يدي طوال الوقت. إلا أن ما ذكرته أنت فيها عن الطبيب هو فقط ما أراحني، وعلى هذا فليس الدم أمرًا ذا بال - حسنًا، لقد أعربت أنا نفسي عن ارتياحي بالمثل،

وأنا رجل الطب العتيد، والآن ما الذي قاله الطبيب عن علة الرئة؟ إنني واثق من أنه لم يصف لك التضور جوعًا، أو حمل الأمتعة كعلاج لها. أما عن مواصلتك العناية بأمري، فهل وافقك هو على ذلك؟ أو أنه لم يرد ذكري على الإطلاق؟ لكن ماذا يمكن أن يرضيني إذا لم يكن الطبيب قد عثر لي على أي أثر؟

وهل الأمر ليس أمرًا خطيرًا حقًا؟ وهل لا يوجد لديه ما يمكن أن يقال فيما عدا أن يرسلك إلى الريف لمدة أربعة أسابيع؟ إنه لأمر هين في الحقيقة.

لا، ليس لديّ المزيد مما يمكنني أن أعترض به على الرحلة أكثر مما لديّ من اعتراض على حياتك في فيينا، فارحلي، ارحلي أرجوك! فلقد كتبت لي ذات مرة عن أملك الذي تعلقينه على هذه الرحلة، وإن هذا ليعد مبررًا كافيًا لي أنا أيضًا حتى أريد لك القيام بتلك الرحلة.

ثم الرحلة إلى فيينا مرة أخرى. إن الأمر ليصبح أكثر سوءًا، عندما تكتبين إليّ عنها جدّيًا، عندئذ تشرع الأرض هنا حقًا في الارتجاج، وأجدني أنتظر قلقًا لأرى إذا كانت ستقذف بي خارجًا، إلا أن شيئًا لا يحدث. أما فيما يتعلق بالعقبات الخارجية - ذلك أنني لن أتحدث عن العقبات الداخلية ذلك أنها وإن كانت أقوى، فهي لا تعوقني، لا لأنني قوي، بل لأنني أبلغ من الضعف حدًا لا يسعني معه أن أتيح لها بأن تعوقني - لقد كتبت الآن لتوي أن تلك الرحلة يمكن أن تتم بالفعل بمجرد كذبة، وأنا أخاف الكذب، ليس كما يخافه الرجل الشريف بل كما يخافه تلميذ، ولديّ إحساس، بصرف النظر عن هذا، أو أنني أخمن على الأقل

إمكانية احتمال أن يجيء وقت ما يكون عليّ فيه - بدون شروط، وبصورة محتومة - أن أجيء إلى فيينا بناء على رغبتك أو بناء على رغبتني، لكنني مرة أخرى لا يمكنني أن أكذب، ولو حتى كتلميذ طائش، وعلى هذا فإن التحفظ الذي أتحفظه لهو احتمال أن أكذب كذبة ما، وإنني لأحيا متحاشيًا هذه الكذبة، كما عشت على وعدك بالحضور في الحال! إن هذا لهو السبب في أنني لن أحضر الآن، وبدلاً من اليقين الذي كان متوافراً في هذين اليومين، وأرجوك ألا تصفيهما لي يا ميلينا، فإنك لتوشكين على تعذيبي بذلك (ذلك أنها لا تشكل بعد ضرورة ما، وإنما تشكل احتياجاً بلا حد) - بدلاً من ذلك اليقين الذي توافر لي في اليومين المذكورين، لدى إمكانيتهما الأبدية.

أما عن الزهور؟ فإنها قد ذبلت الآن بالطبع؟ هل لم يسبق أن كانت لديك زهور (اتجهت في الطريق الخطأ)، كما فعلت هذه الزهور في حالتي هذه؟ إن هذا أمر لا يسر بالمرة، ولكنني لن أقول لك هذا.

لا أريد أن أتدخل في المعركة الدائرة بينك وبين (ماكس)^(١): سأقف على جانب لأرى وجهة نظر كل منكما - وأبقى سالمًا - لا شك أنك على حق فيما تقولينه، إلا أننا نتبادل أماكننا الآن. إن لك وطنك، ويمكنك أيضًا أن تنبذيه، ولعل هذا أيضًا أن يكون هو أفضل ما يمكن أن يفعله المرء بموطنه، وخاصة ما دام المرء لا يمكنه أن ينبذ في وطنه تلك الأشياء التي لا يمكنه أن ينبذها. لكنه لا وطن له؛ ولهذا فليس لديه ما ينبذه، وعليه أن يفكر طوال الوقت في البحث عنه أو إقامته، طوال الوقت، سواء كان

(١) ماكس برود وهو صهيوني نشط على الدوام.

يتناول قبعته من على مشجب، أو كان مستلقيًا في الشمس في حمام السباحة، أو بينما هو يكتب ذلك الكتاب الذي يتعين عليك أن تقومي بترجمته - وربما يكون في هذه الحالة أقل ما يكون توترًا. لكن بالنسبة لك أنت أيتها العزيزة البائسة، كم هو هائل عبء ذلك العمل الذي ترهقين به نفسك، إن عنقك عار، وأنا أقف خلفك، وأنت لا تدرين بذلك. أرجوك ألا تنزعجي لو أحسست بشفتي تلثمان عنقك من الخلف، لست أعني أن أقبلك؛ ذلك أن حبي لك إنما هو حب عديم الحيلة - نعم، إن على ماكس أن يفكر في ذلك طوال الوقت، وحتى وهو يكتب رسالة إليك.

والغريب هو أنك قد هزمت أمامه في التفاصيل، على الرغم من أنك بصفة عامة قد تحصنت ضده تمام التحصين. لقد كتب لك بوضوح عن حياتي مع والدي، وكتب لك عن دافوس. وما كتبه في الحاليتين خاطئ. لا شك أن حياتي مع والدي هي حياة سيئة، لكنها ليست الحياة اليومية فقط، ليست الاستكانة لتلك الحلقة من الحنان والحب - نعم إنك لا تعرفين شيئًا عن رسالتي إلى والدي - طنين الذبابة وهي على غصن الليمون. وعلى الرغم من أن لهذا أيضًا جانبه الطيب، فإنه لا يخرج عن أن رجلًا ما يحارب في الماراثون، بينما يحارب الآخر في غرفة الطعام. إن إله (الحرب) وإلهة (النصر) ليوجدان في كل مكان، لكن ما هو الخير الذي يمكن أن ينطوي عليه الرحيل تلقائيًا عن المكان، خاصة لو أنني واصلت تناول طعامي في المنزل، وهو ما يبدو الآن بلا شك أفضل بالنسبة لي. أما عن دافوس فسأكتب لك يومًا آخر. إن الشيء الوحيد الذي أؤيده فيما يتعلق بدافوس، إنما هو تلك القبة عند رحيلي.

السبت

عطوف، وصبور، هل هذه حقيقتي؟ إنني لست أدري حقًا أن مثل هذه البرقية قد أنعشت الجسد كله حقًا، إنني أعلم هذا، وإن الأمر لهو في النهاية مجرد برقية، وليست يدًا ممتدة إليّ.

إلا أن ذلك يبدو حزينًا أيضًا، يبدو كصوت متعب صادر عن فراش المرض وإنه لسيئ أيضًا، ولم تصلني منك رسالة، يوم آخر بلا رسالة، فمن الذي يضمن لي أنك قد أرسلت البرقية بنفسك، وأنت لا تنفقين اليوم بطوله في الفراش، هنالك في تلك الحجرة التي أعيش فيها أكثر مما أعيش في حجرتي؟

في الليلة الماضية ارتكبت جريمة قتل من أجل خاطرك، حلم مخيف، وليلة سيئة، سيئة، وإن كنت لا أكاد أذكر شيئًا من التفاصيل.

والآن فحسب وصلتي رسالة في آخر الأمر، وإنها لواضحة حقًا، حقًا إن الرسائل الأخرى لم تكن أقل وضوحًا منها، غير أن المرء لم يكن ليجرؤ على أن يتخلل ثنايا وضوح تلك الرسائل. بالمناسبة، كيف أمكنك أن تكذبي؟ ليس هذا الجبين مما يمكنه أن يكذب.

إنني بالتأكيد لا أنحي باللائمة على ماكس، مهما كان ما تضمنته رسالته، فقد كان ما تضمنته خاطئًا، لا شيء، لا أحد، ولو كان هو أفضل الناس جميعًا، يمكنه أن يتدخل بيننا. إن هذا أيضًا لهو السبب في أنني قد ارتكبت جريمة قتل في تلك الليلة الماضية.

شخص ما، أحد أقاربي، قال في سياق حديث لست أذكره، لكن

يعني بصورة أو بأخرى أن هذا الشخص أو ذاك لا يمكنه أن ينجز شيئاً - وعلى هذا فقد علق هذا القريب في النهاية ساخراً بقوله: «حسنًا، لعل ميلينا يمكنها»، وعلى هذا فقد قتلتها على نحو ما، وحضرت إلى المنزل في هياج شديد، بينما تجري أمي خلفي طول الوقت، حيث كان يجري هنا أيضًا حديث مماثل، وفي النهاية صحت، وقد نال مني الغضب:

«لو قال أحد شيئًا سيئًا عن ميلينا، ولو كان هو (الأب) مثلاً، أبي، فسوف أقتله هو أيضًا أو أقتل نفسي»، ثم استيقظت من النوم، غير أنه لم يكن نومًا، ولا كانت يقظتي منه يقظة.

وأعود ثانية إلى الرسائل السابقة، فهي أساسًا تشبه شبهًا شديدًا تلك الرسالة المرسلة إلى الفتاة، ولم تكن رسائل الأمسيات سوى أحزان على رسائل الصباح - وذات أمسية كتبت أنت أن كل شيء قد يكون محتملاً فيما عدا فقداني لك - وكأن ما يلزم بالفعل ليس سوى ضغطة خفيفة، فيحدث المستحيل، ولعل هذه الضغطة كانت حقًا في الإمكان، وربما كانت قد حدثت بالفعل.

على أية حال، إن هذه الرسالة لهي عزاء، وكان ثمة بين الرسائل الأولى رسالة كانت وكأنها قد دفنت حية، وإن كانت تظن أنه ينبغي على المرء ألا يحرك ساكنًا! ذلك أنني ربما كنت ميتًا حقًا.

ولهذا فلا يدهشني هذا كله، إنني أتوقعه، ولقد هيأت نفسي بقدر ما يسعني؛ لكي أحتمله عندما يقع. والآن وقد وقع هذا فإن المرء بالطبع ليس على ما ينبغي من الاستعداد، ورغم عدم استعدادي فإنني لم أنطرح أرضًا، ومن ناحية أخرى فما كتبته عن موقفك من الأمور الأخرى، وعن

صحتك لهو أمر مزعج غاية الإزعاج، ويزيد كثيرًا على طاقتي على الاحتمال، حسنًا، لسوف نتحدث عن ذلك عندما تعودين من رحلتك، ولعل المعجزة التي تتوقعينها أن تحدث لك هناك بالفعل، أو تتحقق لك المعجزة الجسدية على الأقل.

ولديَّ بالإضافة إلى ذلك في هذا الخصوص من الثقة فيك، ما أرغب معه في حدوث أية معجزات أخرى، وإنني لأستودعك أيها المخلوقة المعجزة، المندفعة، المصونة، إلى الغابة، وإلى البحيرة، وإلى الطعام، إن لم أكن أستودعك حقًا إلى كل شيء آخر.

وعندما أتمعن في رسالتك - فلقد قرأتها مرة فقط على أية حال - وما كتبته عن حاضرك وعن مستقبلك، وما كتبته عن والدك، وما كتبته عني فإنما يترتب على هذا فقط (ما قلته لك ذات مرة بوضوح تام) أن نكتبك الحقيقية ليست أحدًا آخر سواي، سواي أنا وحدي - على حين أوضح أنا مجددًا ذلك بأنني أعتبر نفسي (سوء حظك) الخارجي فحسب - ذلك أنني لو لم يكن لي وجود، فلعلك أن تكوني قد غادرت فيينا بالفعل منذ ثلاثة شهور، فإن لم تكوني قد غادرتها منذ ثلاثة شهور مضت، فلعلك بلا شك كنت تغادرينها الآن. إنك لا تريدين أن تغادري فيينا. إنني لأعلم هذا وإنك لم تكوني لترغبى في مغادرتها إذا لم أكن قد وُجِدْتُ في حياتك إلا أن المرء يمكنه أن يقول عن هذا السبب بالذات - ناظرًا إلى الأمر من قمة منظور عين الطائر - إنه سيكون بالطبع سببًا ضمن أسباب أخرى، ذلك أن أهميتي العاطفية بالنسبة لك لتتألف من حقيقة أنني أجعل من الممكن لك أن تبقي في فيينا.

إلا أنه ليس للمرء أن يبعد بهذا الشوط بعيداً كل هذا البعد، وليس له أن يستسلم لمثل تلك المراوغات المعقدة، ذلك أنه لكي يفسح المجال لمرء في اعتباره حقيقة أنك قد انفصلت بالفعل ذات مرة عن زوجك، وأنه في وسعك تحت الضغط المتزايد الذي يضغطه عليك الحاضر، أن تنفصلي عنه بسهولة، لكنك ستنفصلي عنه بالطبع فحسب لمجرد الانفصال، وليس بسبب شخص ما آخر.

على أن كل هذه الاعتبارات لا تؤدي حقاً إلى أي شيء آخر سوى الصراحة.

سوف أحضر الأشياء طبعاً بكل سرور: أعتقد فحسب أنه سيكون من الأفضل لي أن أشتري (الصدرية) من فيينا، ذلك أنه سوف يلزماني هنا إذن تصدير بخصوصها (فحتى الكتب لم يقبل إرسالها أحد مكاتب البريد هنا أخيراً، بدون إذن تصدير، على حين أنهم يقبلونها في نفس الوقت في مكتب بريد آخر دونما ضجيج) - حسناً، ربما أمكنني أن أجد في المكتبة من استشيرته في هذا الشأن - وسوف أضمن رسائل دائماً بعض النقود. وعندما تقولين (كفى)، فسوف أكف عن ذلك في الحال.

شكراً لتصريحك لي بقراءة (تريبونا). رأيت أخيراً، يوم الأحد فتاة تشتري (تريبونا) في ميدان فينتسل، طبعاً من أجل مقال (المودة)، لم تكن تبدو الأناقة على تلك الفتاة على نحو خاص، لا لم تكن بعد قد أصبحت أنيقة. ويؤسفني أنني لم أتحققها بعناية أكثر، ذلك أنني قد لا يمكنني لهذا أن أرقب تطور أناقتها. لا، إنك مخطئة في استخفافك بقيمة مقالاتك عن (المودة). إنني لأشعر بالامتنان لك حقاً لأنني يتاح لي الآن قراءتها علناً

(فلا بد من أن أقول، إنني كنت أقرأها مرارًا في السر، وهو ما أخجل له الآن).

لقد عرفت للتو ما الذي سوف تتضمنه الرسالة، ذلك أن ما سوف تتضمنه كان موجودًا في خلفية رسائلك، كان واضحًا في عينيك - فما الذي يمكن أن تصعب ملاحظته في أغوارها الصافية؟ - وهو كان مخطوطًا كله أيضًا على صفحة جبينك. ولقد أدركت ما سوف تتضمنه كما يدرك ذلك شخص كان قد أنفق النهار بطوله، يستغرقه حلم نائم خائف خلف مصراعي نافذة مغلقين، وعندما يقوم هذا الشخص بفتح النافذة في الليل، فلن يدهشه بالطبع شيء، ذلك أنه يكون قد عرف أن الليل قد حل، يكون قد عرف أنه قد هبط الآن الظلام - وإنه لظلام رائع عميق. وأرى كذلك فيما سوف تتضمنه تلك الرسالة كيف تعذبين نفسك، وكيف تتلوين ألمًا، ولا تنعمين بالخلاص و - لنلقي اللهب في داخل وعاء مسحوق البارود - وأنت، لن تنعمي أبدًا بالخلاص، وإنني لأرى ذلك، ومع ذلك، فلعلني لا أقول لك، - ابقِي حيث أنت. إلا أنني لم أقل عكس ذلك أيضًا، وإنما أقف في مواجهتك، وأطلع في عينيك الغاليتين البائستين (نعم، إنها لتثير الشفقة، تلك الصور التي أرسلتها إليّ، رغم كل شيء، وإنه لعذاب أن يتطلع إليها المرء، عذاب يكابده المرء مائة مرة في اليوم، ولا يزال، للأسف، هو ما أملكه، وما أشعر بأن لديّ القدرة لكي أزود عنه في وجه عشرة من الرجال الأشداء، وإنني لقوي حقًا كما تقولين - ثمة قوة لدي من نوع خاص، لو شاء المرء أن يصفها باختصار، وفي غموض، لقال إنها إنما

تكمُن في أنني لست منسجماً متآلفاً كائتلاف الموسيقى، غير أنها ليست بالغة قوتي تلك، على الرغم من ذلك حدًا يحملني على مواصلة الكتابة، على مواصلة الكتابة فحسب الآن على الأقل؛ ذلك أن فيضًا من الأسى ومن الحب يطبق بخناقِي ويحملني بعيدًا عن الكتابة.

ليلة الإثنين

شيء واحد ظل يزعجني لفترة طويلة في مجادلاتك، شيء يتضح بصفة خاصة في رسالتك الأخيرة، إنه خطأ لا يمكن إنكاره ويمكنك أن تتفحصيه بنفسك... عندما قلت إنك تحبين زوجك جدًّا (وهو أمر حقيقي أيضًا) وإنك لا يمكنك أن تتركه (لو أن ذلك كان ليحدث بسببي أنا فقط، أعني أن ذلك سيكون مزعجًا لي لو أنك فعلت ذلك على الرغم من حبك له) فهذا ما أعتقد أنه أيضًا، وأصدقك عندما تقولينه، وعندما قلت إنك على الرغم من أنك يمكنك أن تتركه، إلا أنه على الرغم من ذلك يحتاجك في أعماقه ولا يمكنه أن يحيا بدونك، وأنك على هذا لا يمكنك أن تتركه، فإنني أصدقك عندئذ أيضًا، وأوافقك أيضًا عليه، لكنك عندما تقولين إنه فيما يبدو لا يمكنه أن يمضي في خضم الحياة بدونك، وأنك لهذا (وتجعلين من هذا سببًا أساسيًا) لا يمكنك أن تتركه، هنا تكونين قد قلت هذا إما لتغطية الأسباب السابق ذكرها (لا لتدعيم تلك الأسباب، ذلك أن تلك الأسباب ليست بحاجة إلي أدنى تدعيم)، وإما أن يكون ما قلته ليس سوى واحدة أيضًا من تلك المداعبات العقلية (من قبيل تلك المَزَح التي كتبتها في رسالتك الأخيرة)، تلك المداعبات التي يتلوى تحت وطأتها الجسد، وإن لم يكن الجسد هو وحده ما يتلوى لإيلامها.

الإثنين

كنت على وشك أن أكتب المزيد في نفس سياق الأفكار التي أملت عليّ ما سبق أن كتبته، عندما وصلتني منك رسائل أربع، وإن لم تكن قد وصلت معًا بالمناسبة، فقد وصلتني أولاً رسالتك التي تأسفني فيها على أنك قد ذكرت لي خبر حالة الإغماء تلك التي أصابتك، ثم بعد ذلك بقليل تلك الرسالة التي كتبتها على الفور بعد أن أفقت من إغمائك، تصحبها تلك الرسالة - حسنًا، بصحبة تلك الرسالة بالغة الجمال، ثم أخيرًا بعد ذلك تلك الرسالة التي تتعلق بإيميلي، ولم أستطع أن أتبين تسلسل رسائل تلك في وضوح، فأنت لم تعودني بعد تذكيرين الأيام التي تكتبين فيها رسائلك.

حسنًا، سأحاول أن أجيب عن سؤال (الخوف - الرغبة)، وسوف يصعب عليّ النجاح في ذلك من أول مرة، لكن لو أنني عدت إلى محاولة ذلك في رسائل عدة، فلعلني أن أوفق إلى ذلك، وسوف يساعدني على بلوغ ذلك مساعدة هائلة، أن تكوني قد قرأت رسالتي إلي أبي (وهي بالمناسبة رسالة سيئة ولا أهمية لها).... وربما أحضرها لك معي إلى جموند.

لو كان للمرء أن يحدد (الخوف) و(الرغبة) كما فعلت أنت في رسالتك الأخيرة، فلن يكون نفس السؤال سهلاً عندئذ، بل ستكون الإجابة عنه غاية في البساطة، ويحضرني (الخوف) في هذه الحالة، وذلك على النحو التالي:

أذكر أول ليلة، وكنا نسكن في ذلك الوقت في ممر (تسلتن) في مواجهة (محل أزياء)، اعتادت أن تقف في فتحة بابه فتاة تعمل بالمحل، وكنت أنا في الدور الأول - كنت قد تجاوزت العشرين من عمري بقليل - أتمشى ذهاباً وحيئة في الحجرة يشغل بالي إدراكي الذي يوتر أعصابي، بتراكم الحقائق، التي تبدو لي فارغة من المعنى، والتي يلزمني استيعابها استعداداً لأول امتحان عام.

كان ذلك في الصيف، وكان الجو شديد الحرارة، ولا يكاد يُحتمل، وكنت أتوقف بين كل فترة وأخرى أمام النافذة، وبين أسناني القانون الروماني المثير للقرف، حتى انتهينا أخيراً إلى التفاهم بلغة الإشارات، وكان عليّ أن ألتقي بها في الساعة الثامنة مساءً، لكنني عندما هبطت ذاهباً إليها في المساء، كان ثمة شخص آخر معها بالفعل - حسناً، لم يكن هذا قد غير من الأمر شيئاً؛ فقد كنت خائفاً من الدنيا كلها، وعلى هذا فقد كنت خائفاً من ذلك الرجل هو أيضاً، حتى لو لم يكن واقعاً هنالك، فقد كنت لأخافه أيضاً. وعلى الرغم من أن الفتاة قد أمسكت بذراعه، فإنها قد أشارت لي مع ذلك بأن عليّ أن أتبعهما، وعلى هذا فقد بلغنا جزيرة (شوتزن)، حيث احتسنا البيرة، وكنت أجلس أنا إلى المائدة المجاورة لهما، ثم سرنا، وتبعتهما متباطئاً، حتى بلغنا شقة الفتاة في مكان بالقرب من (سوق اللحم)، وهناك قال لها الرجل: إلي اللقاء. وأسرعت الفتاة تجري إلى داخل المنزل، وانتظرت قليلاً حتى خرجت ثانية، ثم مضينا إلى فندق في (الساحة الصغيرة)، وكان هذا كله ساحراً، ومثيراً، ومرعباً حتى قبل أن ندخل إلى الفندق، ولم يكن الأمر يختلف عن ذلك عندما

أصبحنا في داخل الفندق. وعندما كنا في طريق عودتنا والصباح يوشك على الطلوع (وكان الجو ما يزال حارًا، وبديعًا) فوق قنطرة كارل، كنت سعيدًا بالفعل، لكن تلك السعادة كانت قد جاءني من حقيقة أنني أخيرًا قد نعمت بشيء من السلام، حققه لي جسدي الذي لا تهدأ له أشواق. وكانت هذه السعادة فوق لك كله قد نشأت عن الارتياح لأن التجربة كلها لم تكن أكثر رعبًا مما كانت عليه، ولأنها لم تكن بالغة الفحش. ووجدتني مع الفتاة مرة أخرى (بعد ذلك بليتين فيما أظن) ومر كل شيء على ما يرام كما مر في الليلة الأولى، لكنني عندما رحلت بعد ذلك مباشرة لقضاء إجازات الصيف، حيث لهوت قليلًا هنا وهناك مع فتاة أخرى، لم يعد في استطاعتي بعد ذلك أن أتطلع إلى فتاة محل الأزياء في براغ، ولم أتبادل معها أية كلمة أخرى، ذلك أنها كانت قد أصبحت (من وجهة نظري) ألد أعدائي، مع أنها كانت فتاة حسنة، ودودة، وظلت تتابعني طوال الوقت بنظراتها التي توحى بعدم استطاعتها إدراك ما يحملني على تجنبها، ولن أقول إن السبب الوحيد لعدائي لها كان حقيقة (وأنا واثق بأن هذا لم يكن هو السبب) أن الفتاة كانت قد أتت أثناء وجودنا معًا في الفندق، ببراءة تامة، أتت بحركة يسيرة مثيرة للاشمئزاز (وإن كانت لا تستحق الذكر)، إلا أن أثر تلك الحركة اليسيرة ظل باقياً، وقد عرفت في تلك اللحظة أنني لن يمكنني أن أنسى تلك الحركة، وعرفت في نفس الوقت، أو تهيأ لي أنني قد عرفت أن هذا السلوك المثير للقرف، وأن هذه البذاءة، وإن لم تكن ظاهريًا ضرورية، إلا أنها كانت باطنياً لازمة بالضرورة رغم ذلك، في علاقتها بالأمر كله. وأن هذه الإثارة للاشمئزاز والفحش (التي كان

عرضها الضئيل هو فقط مجرد تلك الحركة اليسيرة، وتلك الكلمة العارضة)، كانت هي ما قد جرفني بمثل ذلك الاندفاع الرهيب إلى داخل ذلك الفندق، الذي لولاها لكان لي أن أتجنبه بكل ما تبقى لدي من قوة.

ولقد ظل ذلك التأثير الذي انعكس عليّ وقتئذ باقياً دائماً على ما كان عليه. على أن جسدي الذي قد يبقى هادئاً لسنوات طويلة، ليهتز ثانية مع ذلك إلى حد لا يمكنني أن أحتمله، تهزه هذه الرغبة، لشيء ضئيل، لحركة منكرة، ذات نوعية خاصة للغاية، يهتز رغبة في شيء قليل من إثارة القرف، الارتباك، والفحش، وأنه حتى وسط القليل مما تبقى لي، ثمة شيء من ذلك، ثمة أثر واهن لرائحة قدرة ما، أثر لرائحة شيء من الكبريت، شيء من الجحيم. إن هذا الدافع ليتضمن في ثناياه شيئاً من اليهودي الأبدي المسحوب بلا إرادة، الضال بلا وعي، خلال عالم قبيح فاقد الوعي.

لكن كان ثمة بعدئذ أوقات أيضاً لا يكون فيها الجسد على هدوئه، عندما لا يكون ثمة شيء هادئ بالفعل، وإن كان ذلك يحدث بينما لا يكون هنالك ثمة ما أعانيه من قسر. كانت حياة طيبة هادئة لا يقلقها سوى الأمل فحسب (هل تعرفين اضطرابات أخرى أفضل؟) خلال تلك الفترات، وعلى امتداد تلك الفترات، كنت وحيداً دائماً.

وها أنا الآن أمر بمثل تلك الفترات، لكنني لست وحيداً! هذا هو السبب في أن قربك الجسدي ليس هو فقط، بل هو فقط، بل أنت نفسك من تبعثين في الهدوء القلق. وهذا هو السبب في أنني لا أجد لدي أدنى رغبة في القبح (خلال النصف الأول من الفترة التي قضيتها في ميران، قمت على الرغم من إرادتي الحرة، ليلاً ونهاراً، بتدبير خطط تدور حول

الكيفية التي أستطيع بها أن أتمكن من إغراء خادمة الحجرة. وأسوأ من هذا، وقرب نهاية فترة إقامتي في ميران، اتفق أن صادفتني فتاة لديها استعداد بالغ، وأقول إنه كان لا بد لي من أن أترجم كلماتها إلى لغتي أنا قبل أية محاولة من جانبي لكي أفهمها أساسًا)، ولم أر ببساطة أية بذاءة هنالك، لم أعر في حديثها على شيء يمكنه أن يحدث تأثيرًا خارجيًا، لكنني وجدت بدلًا من ذلك كل ما يمكنه أن يبعث الحياة من داخلها.

وباختصار كان ثمة شيء جديد هنالك، من قبيل الهواء الذي كان قد استنشقه الإنسان في الجنة قبل السقوط. إن بعضًا من هذا الهواء ليوضح لماذا تتصف الرغبة بالنقص على حين أن كل ذلك الهواء، إنما يوضح لماذا يوجد الخوف. وهكذا فهي أنت تعرفين الآن، وعلى هذا، فرغم أنني قد (عانيت الخوف) ليلة ما في جموند، فقد كان خوفي على الرغم من ذلك، هو (خوفي) المعتاد فحسب (آه - وإن خوفي المعتاد ليكفيني) ذلك الذي أعانيه هو أيضًا في براغ، وليس خوفًا خاصًا بجموند.

والآن حديثي عن إميلي، فما زال في مقدوري أن أحصل على الرسالة في براغ.

لن أضمن رسالتي شيئًا اليوم. غدًا فحسب. ذلك أن هذه الرسالة، هي رسالة مهمة، وأريدك أن تتسلميها في أمان.

إن الإغماء هو مجرد عرض من بين أعراض عديدة. أرجو أن تتأكدي من حضورك إلى جموند. هل لن تتمكني من الحضور إذا أمطرت صباح الأحد؟ حسنًا، على أية حال سأكون في صباح الأحد أمام محطة جموند. هل لن تحتاجي بالتأكيد إلى جواز سفر؟ هل استفسرت بالفعل عن ذلك؟

هل تحتاجين إلى شيء يمكن أن أحضره معي؟ ذكر شتاشا، هل تقصدين أن عليّ أن أذهب لزيارتها؟ لكنها لا تكاد تتواجد الآن في براغ (وحتى عندما تتواجد في براغ يكون الذهاب لزيارتها أكثر صعوبة)، لن أفعل شيئاً في هذا الخصوص حتى تذكرني ذلك مرة أخرى، أو حتى نلتقي في جموند.

(في الهامش الأيسر) تصلين أنت بعد الساعة التاسعة بقليل، فلا تسمحين لهم لأنك نمساوية بأن يحتجزوك في الجمر، ولا يمكنني في هذه الساعة أن أواصل ترديد الجملة التي أنوي أن أحكيك بها.

أما الملاحظة التي تتعلق بـ «ل» (يا لها من ذكرى! ليس هذا سخرية، بل غيرة، هي ليست غيرة، بل نكتة سخيفة) فلقد أسأت فهمها. لقد صدمت فحسب لأن كل الناس الذين ذكرهم هو كانوا إما «حمقى» أو (مخادعين) أو إنائاً ممن «يقفزن من النافذة»، بينما كنت أنت «ميلينا» فحسب، وأكثر من هذا كنت «ميلينا» رفيعة المقام، ولقد سررت لذلك، وكان سروري هو سبب كتابتي لك، ولم يكن ذلك مطلقاً دفاعاً منك أنت، بل كان دفاعاً منه هو عن كرامته. وكان هناك، لكي أكون دقيقاً، ثمة استثناءات قلائل أخرى أيضاً- زوج أمه (المقبل وقتها)، وزوجة شقيقه وزوج شقيقته، وخطيب خطيبته السابق، وهم جميعاً أشخاص «مدهشون» حقاً.

أما رسالتك التي وصلتنني اليوم، فهي رسالة حزينة للغاية، وتنطوي فوق هذا كله على ألمك منطوياً على نفسه بإحكام حتى لقد أحسست به، وكأنه قد تم استبعاده تماماً. وعندما كان يعن لي أن أغادر حجرتي من حين لآخر، كنت أهرع صاعداً أو هابطاً الدرج، وأظل على هذه الحال

فقط على أمل أن أعود في إحدى المرات لأجد البرقية التي تقول «سأكون أيضاً في جموند السبت»، إلا أن هذه البرقية لم تصل بعد....

الأحد

البرقية. نعم، ربما يكون من الأفضل لو التقينا، ومن ناحية أخرى، كم من الوقت يلزمنا كي نتمكن من أن نضع الأمور في مكانها الصحيح! ومن أين جاءت كل هذه المتاعب التي قامت بيننا. إن المرء لا يكاد يرى خطوة واحدة إلى الأمام. وكم عانيت أنت لا بد من هذه المتاعب وسط غيرها من كل أشكال المتاعب الأخرى.

وربما كان لي أن أضع حداً لهذه المتاعب منذ وقت طويل، كانت العين صافية الرؤية بما يكفي، لكن كان الجبن أكثر شدة. كما أنني لا أكذب برودي على رسائل (وكانها كانت تخصني) كنت قد أدركت بوضوح أنها رسائل لا علاقة لها بي؟ وآمل أن ردودي لم تكن (بهذا المعنى) من قبيل تلك الردود «الكاذبة» التي اغتصبت منك رحلتك إلى جموند^(١).

لست حزيناً أبداً ذلك الحزن الذي قد يبدو لك من هذه الرسالة، كل ما هنالك أنه لا يوجد أي شيء آخر يمكن أن يقال في هذه اللحظة، ذلك أنها قد أصبحت لحظة هدوء تام، ولا يجروء المرء على أن يتفوه بكلمة في هذا السكون.

(١) تشير هذه الرسالة إلى موقف غريب كان قد قام في براغ: فقد تلقى أشخاص رسائل من مجهول، ومع أنها كانت مكتوبة بخط واضح، إنه خط ميلينا، إلا أن ميلينا، لم تكن هي من كتبها.

حسنًا، سنكون معًا يوم الأحد لمدة خمس ساعات أو ست، وهي فترة لا تتسع للحديث، ولكنها تكفي للصمت، تكفي لتماسك أيدينا، وتكفي لكي يتطلع أحدهنا في عيني الآخر.

الإثنين

حسنًا، حسب جدول المواعيد، يبدو لي الأمر أفضل كثيرًا مما ظننت، وأمل أن يكون جدول المواعيد مضبوطًا، ويبدو لي الأمر على النحو التالي:

١- إمكان في حده الأدنى المقبول:

أن أرحل من هنا في الساعة الرابعة والدقيقة الثانية عشرة بعد ظهر السبت لأصل في الحادية عشرة وعشر دقائق بعد الظهر إلى فيينا، وستكون أمامنا سبع ساعات نقضيها معًا، بعدها سأرحل يوم الأحد في السابعة صباحًا، وسوف تتوقف هذه الساعات السبع بالطبع، على أن أكون قد نمت قليلًا في الليلة التي تسبقها (وهو ليس إنجازًا سهلاً)، وإلا فإنك سوف لا تجدني في مواجهةك سوى مجرد حيوان مريض بائس.

٢- إمكان بالغ الروعة، استنادًا إلى جدول المواعيد:

أرحل من هنا أيضًا في الساعة الرابعة والدقيقة الثانية عشرة، لكنني أصل إلى جموند بالفعل (بالفعل، بالفعل) في الساعة السابعة والدقيقة الثامنة والعشرين، وحتى لو كان عليّ أن أرحل يوم الأحد بقطار الصباح السريع، فلن يكون ذلك قبل الساعة العاشرة والدقيقة السادسة والأربعين،

وعلى هذا فسيكون أماننا ما يزيد على الخمس عشرة ساعة، يمكننا أن ننفق جانبًا منها أيضًا نائمين. إلا أن ذلك حتى في هذه الحالة سيكون أفضل، ولن يكون عليّ حتى أن أستقل هذا القطار، ففي الساعة الرابعة والدقيقة الثامنة والثلاثين بعد الظهر يوجد أيضًا قطار ركاب متجه إلى براغ، وسوف أستقل هذا القطار. وعلى هذا فسوف يتيح لنا هذا إحدى وعشرين ساعة نقضيها معًا، ونظرًا على الأقل، سيكون باستطاعتنا الحصول عليها (تصوري) كل أسبوع.

ثمة كسب واحد فقط في هذا، لكنني لا أظنه كسبًا مهمًا، وعلى أية حال سيكون عليك أن تتحققى منه، ولا بد لك من أن تتحققى من أن محطة جموند، هي محطة تشيكية، لكن المدينة التي تتواجد بها هذه المحطة هي مدينة نمساوية، فهل من الممكن أن يمتد السخف المسمى بجواز السفر إلى المدى الذي يستلزم معه أن تسعى مواطنة من أهل فيينا للحصول على جواز سفر لكي يمكنها أن تعبر محطة سكة حديد تشيكية؟ في هذه الحالة سيتعين على أهل جموند الذين يريدون الذهاب إلى فيينا الحصول على جواز سفر بتأشيرة تشيكية. إن هذا شيء لا أستطيع أن أصدق، شيء سيكون بمثابة صفة موجهة إلينا مباشرة، ويكفيني من سوء أنني ربما تعين عليّ أن أضيع ساعة في الجمر في جموند قبل أن يتم السماح لي بمغادرة المحطة، وعلى هذا فسوف يحدث اختصار لتلك الساعات الإحدى والعشرين.

وبعد إقرار هذه الحقائق المهمة، لا يوجد في الحقيقة المزيد مما يمكنني قوله. وأشكرك كثيرًا على كل حال لأنك لم تتركيني بدون رسالة

منك، وحتى اليوم. لكن غداً؟ لن أتصل تليفونياً لأن ذلك سيكون مثيراً للغاية أولاً. وثانياً لأنه سيكون مستحيلاً (ولقد استفسرت عن إمكان ذلك بالفعل ذات مرة)، وثالثاً لأننا سنرى أحداً الآخر عاجلاً، ولسوء الحظ لم يتسع الوقت لـ (أوتلا) اليوم للذهاب إلى مركز البوليس بخصوص جواز السفر - غداً، نعم لقد ربت أنت أمر الطابع بصورة ممتازة (ولسوء الحظ قد أخطأت أنا في وضع طوابع البريد السريع، ولقد أوشك الرجل أن يبكي بالدموع عندما حدثته عنها)، لا شك أنك قد يسرت على نفسك أن تقدمي لي الشكر على الطوابع، لكنني قد سررت لهذا أيضاً، سررت سروراً زائداً بهذا حتى أنني سوف أرسل لك، تصوري، بعضاً من طوابع الفيلق الحربي، أما بخصوص سرد الحكايات الخرافية، فلست اليوم في مزاج يصلح لهذا؛ لأن رأسي أشبه ما تكون بمحطة سكة حديد، تغادرها قطارات، وتصلها أخرى، وتفتيش جمركي، ويكمن كبير مفتشي الحدود في انتظار تأشيرتي. التأشيرة صحيحة هذه المرة - ها هي: «نعم، إنها تأشيرة صحيحة، ها هو الطريق إلى خارج المحطة». هل تفضل أيها السيد كبير مفتشي الحدود بأن تزيد في كرمك معي، فتفتح لي باب الخروج، إنني لا أقوى على أن أفتحه بنفسي. هل من الممكن أن يبلغ بي الضعف هذا الحد البالغ، لأن ميلينا تنتظر في الخارج؟ فيقول: «آه، بالطبع، لم أكن أعلم هذا» ويندفع الباب مفتوحاً.

الثلاثاء

أخشى ألا يكون في وسعي أن أستعد استعداداً جيداً جداً لمناسبة عيد

ميلادك، فلقد كان نومي أسوأ حتى من المعتاد، ورأسي ملتبهة، وعيناي محتقتان، وصدغي يؤلمني، بالإضافة إلى السعال، وأخشى ألا يكون في مقدوري أن أقوم بتلاوة تهنئة مسهبة لا يقطعها السعال. ولحسن الحظ أنه ليس ثمة ما يدعو لتهنئة، فقط عبارات الشكر على أنك تتواجد في هذه الدنيا، حيث لم يكن لي منذ الوهلة الأولى أن أرتاب في أن وجودك كان ممكناً (وبهذا ترين أنني لا أملك معرفة كافية بالدنيا؛ أيضاً - فيما عدا أنني على نقيضك، أسلم بها كما هي). وأنا أشكرك على وجودك (هل يعد هذا الشكر امتناناً؟)، أشكرك بقبلة شبيهة تحديداً بتلك التي فزت بها على محطة السكة الحديدية. وإن كنت لم ترضي عنها (لكنني اليوم أكثر عناداً) لم أشعر بسوء حالتي إلى هذا الحد طوال الفترة الأخيرة، فمن حين إلى آخر كنت أشعر أحياناً حتى بأنني في صحة جيدة جداً، إلا أن أمجد أيام حياتي قد صادفني منذ حوالي أسبوع، فمع كل ما كنت عليه من فقدان للقدرة، كنت أواصل السير بلا نهاية حول البركة في داخل مدرسة تعليم السباحة، وكان الوقت يقترب من المساء، ولم يكن قد بقي هناك الكثير من الناس، وإن يكن ما يزال يوجد عدد لا بأس به منهم، عندما اتجه نحوي مساعد مدرس السباحة (الذي لا يعرفني) وتجول بنظراته العاجلة فيما حوله كما لو كان يتطلع باحثاً عن شخص ما، ثم انتبه إلى وجودي، أو بوضوح اختارني، ثم سألني: «هل تحب أن تقوم بشوط تجديف؟» يبدو أنه كان هناك رجل ما، أحد المضاربين في العقارات فيما أعتقد، كان قد وصل لتوه من جزيرة صوفيا، وكان يبحث عمن يوصله إلى «الجزيرة اليهودية» حيث يوجد مبنى هائل فوق تلك الجزيرة الأخيرة، حسناً، لا

ينبغي على المرء أن يبالغ في الأمر كله، لقد لاحظ معلم السباحة وجودي، وقرر أن يتيح للصبي البائس (الذي هو أنا) التمتع بنزهة مجانية بالقارب. ومع ذلك، فمراعاة لرجل المباني المهم كان عليه أن يختار صبيًا يبدو عليه أنه أهل لأن يعوّل عليه ليس فقط من حيث قوته ومهارته فحسب، لكن أيضًا أن يكون صبيًا لن يستغل القارب بعد أن يفرغ من أداء مهمته، في نزاهات مختلصة، بل يعيده في الحال. كل هذا كان هو قد ظن أنه قد عثر عليه في شخصي. وانضم إلينا ترنكا العظيم (صاحب حمام السباحة الذي لا بد لي من أن أحدثك بالمزيد عنه يومًا ما) وتساءل إن كان الصبي يقدر على السباحة، فأكد له ذلك معلم السباحة الذي كان قد استطاع بوضوح أن يتكهن بكل شيء فقط بمجرد النظر إلى وجهي. ولم أكن قد تفوهت بكلمة. وجاء الراكب الآن وانطلقنا، وكصبي حسن السلوك، لم أكد أتحدث. قال هو إنها كانت ليلة سارة، وأجبت (نعم)، ثم أضاف قائلاً إنها على الرغم من ذلك كانت تميل إلى البرودة، وقلت (نعم). أخيراً قال إنني كنت أجدف بسرعة شديدة، وهو ما لم أستطع امتناناً أن أجدر ردّاً عليه. ولا حاجة بي إلى القول بأنني قد بلغت شاطئ الجزيرة بأفضل أسلوب ممكن، وغادر هو القارب، وشكرني، لكنه نسي أن يمنحني بقشيشاً، وهو ما سبب لي إحباطاً (نعم، ما دمت لست فتاة). جددت بالقارب راجعاً مباشرة كالسهم. وكان ترنكا العظيم مندهشاً وهو يراني راجعاً بمثل هذه السرعة - حسناً، لم يحدث قط أن كنت مفعماً بالزهو لفترة طويلة من الزمن كما كنت في تلك الأمسية، أحسست وقتها بأنني قد ازدادت جدارة بك، مجرد زيادة قليلة جدّاً في جدارتي، إلا أنني كنت عندها أكثر قليلاً

في جدارتي من المعتاد. وكنت أنتظر في كل أمسية منذ ذلك الوقت، في مدرسة تعليم السباحة، مترقبًا عابرًا آخر، لكن لم يظهر واحد حتى الآن.

في الليلة الماضية، وخلال شبه إغفاء قصيرة تراءى لي أنه كان ينبغي لي أن أحتفل بعيد ميلادك بزيارة كل الأماكن المهمة في حياتك. وفيما بعد مباشرة، وبدون أي مجهود، وجدني أمام المحطة الغربية. كانت مبنى بالغ الصغر، كما لم تكن تتسع في داخلها بمساحة تكفي أي قطار سريع يصلها لتوه، ولعربة واحدة، لم يكن يوجد مكان لها، فكانت تبدو كلها في خارج المبنى. كنت مسرورًا جدًا لحقيقة أنه أمام المحطة كانت تقف ثلاث فتيات في ثياب لائقة تمامًا، وإن كن في غاية النحافة (كانت لإحادهن ضفيرة شعر طويلة) كن ثلاث حمّالات للأمتعة. أدركت عندئذ أن ما كنت تقومين بعمله لم يكن في الحقيقة أمرًا غير معتاد. على أنني كنت مسرورًا جدًا لأنك لست هناك معهن، على أنني كنت، أيضًا قد حزنت لأنك لم تكوني هناك. لكن كنت من قبيل التأسّي لحزني قد عثرت على حقيبة يد صغيرة كان أحد الركاب قد نسيها، وجذبت، لدهشة الركاب الواقفين المحيطين بي، بعضًا من الأثواب الكبيرة من داخل الحقيبة.

الجزء الثاني بصفة خاصة من «تبيوس» ممتاز، حاد، وغاضب، ومعاد للسامية، ورائع، وحتى وقت قريب لم أكن قد أدركت مدى الدهاء الذي ينطوي عليه نشر المرء لما يكتبه. إنك تتحدثين إلى القارئ برصانة بالغة، وبحميمية زائدة؛ وبكل هذا الانشغال الملح، فلقد نسيت كل شيء آخر في الدنيا، واستغرق القارئ وحده كل اهتمامك، لكنك في النهاية تقولين فجأة: «هل ما كتبته شيء حسن؟، نعم، هو شيء حسن؟ حسنًا، لقد

سررت، إلا أنني مع ذلك بعيد عنك كل هذا البعد في المكان، ولن ألتقي منك أية قبلات كمكافأة؟».

وهذه هي النهاية في الحقيقة، فلقد مضيت عني بعيداً.

هل تعلمين، بالمناسبة، أنك كنت قد أعطيت لي كهدية، بمناسبة (تثيتي) (هناك أيضاً شيء ما يشبه تثيتاً يهودياً)؟ لقد ولدت عام ٨٣، وكنت بهذا في الثالثة عشرة من عمري عندما ولدت أنت. إن عيد الميلاد الثالث عشر هو مناسبة خاصة. ففي أعلى هناك بالقرب من المذبح في المعبد، كان عليّ أن أتلو قطعة حفظتها عن ظهر قلب بصعوبة بالغة، ثم كان عليّ في المنزل أن أقوم بتوجيه خطبة قصيرة (محفوظة أيضاً عن ظهر قلب). تلقيت أيضاً هدايا كثيرة. لكنني أتصور أنني لم أكن راضياً بذلك كل الرضا، فثمة هدية خاصة كنت أفقدها عندئذ، ولقد طلبتها من السماء؛ فترددت إلى أن وهبتها لي في ١٠ أغسطس.

بالطبع سوف أعيد قراءة الرسائل العشرة الأخيرة بسرور، على الرغم من أنني أعرف ما تحويه كل المعرفة في الحقيقة. لكن عليك أن تعيدي قراءة رسائلي أنت أيضاً، وسوف تجددين فيها تساؤلات مدرسة بنات بأكملها.

سوف نتحدث عن الأب في جموند.

واجهتني «جريت» وكالمعتاد عندما أواجه بفتيات، أكون عاجزاً. هل كانت لديّ قط حتى الآن فكرة ما تتعلق بك؟ لا أستطيع أن أتذكر. أحب أن أمسك بيدك في يدي، وأحب أن أتطلع في عينيك. هذا هو كل ما يدور

حولك، فلنغربي يا «جريتته»!؛ وبقدر ما يتعلق الأمر بـ («عدم كسب»-
«لا يمكنني أن أفهم كيف أن شخصًا كهذا...») يواجهني نفس اللغز أنا
نفسي؛ إنه لغز، لا أظن أننا ستمكن من حل مغزاه- حتى لو اشتركنا معًا
في ذلك. وهو علاوة على ذلك يعد تجديدًا. وعلى أية حال، فأنا لا أنوي
أن أبدد دقيقة واحدة بشأنه في جموند- إنني أدرك الآن أنه سيكون عليك
أن تكذبي، أكثر مما سيتعين عليّ أن أكذب. وإنني لأشعر لهذا بالضيق.

فإذا حدث أن كان ثمة عقبة جدية، فلتبق في فيينا أيًا كان الحال-
حتى بدون أن تتيحي لي أن أعلم بذلك، وسأكون قد قمت فحسب بمجرد
رحلة قصيرة إلى جموند، وسأكون أقرب إليك بما يساوي ثلاث ساعات.
لقد حصلت بالفعل على تأشيرة جواز السفر. أخشى أنك لن تتمكني من
الاتصال بي برقيًا؛ على الأقل ليس اليوم، بسبب إضراباتكم.

الأربعاء

لا أفهم التماسك للصفحة، فلو كان الأمر قد انتهى، فليس هناك ما
يدعوني إلى القول بأنني أصفح عنك. لقد كنت صارمًا فقط ما دام الأمر لم
يبلغ بعد نهايته، وفي ذلك الوقت لم تكوني تنزعجي بشأنه. وكيف كان لي
ألا أصفح عنك بخصوص أمر قد انقضى؟ وإلى أي حد تبدو عليه الأشياء
مضطربة لا بد، في عقلك، حتى يكون، يكون في مقدورك أن تصدقي شيئًا
مثل هذا!

لا أحب المقارنة بيني وبين والدك، على الأقل في الوقت الحاضر.

هل أخسرك أنت أيضًا؟ (ثقي بأنني لا أتمتع بالطاقات التي يتمتع بها والدك، والتي يتطلبها ذلك) لكن لو كنت تصرين على عقد المقارنة، فمن الأفضل عندئذ أن تعيدي إليّ الصادر الصوفي.

إن شراء وإرسال الصادر الصوفي كان بالمصادفة، قصة استمرت على مدى ثلاث ساعات، وهي القصة التي - كنت في أشد الحاجة إليها وقتها - أنعشتني، والتي أشعر بالامتنان لك بسببها. إنني متعب فلا أقوى على سردها لك اليوم، فهذه هي الليلة الثانية التي أقضيها بدون نوم. هل أنا أضعف من أن أتماسك قليلاً حتى أحظى بمدحك لي في جموند؟

تخيلي نفسك تحسدين تلك السيدة المسافرة إلى أمستردام! لا شك أن ما فعلته كان شيئاً حسناً، لو كان ما فعلته قائماً على اقتناع منها بذلك، لكنك ارتكبت خطأ واحداً منطقيّاً. ذلك أن الشخص الذي يعيش على هذه الحال، تعد الحياة بالنسبة له إرغاماً، وأما بالنسبة للشخص الذي لا يمكنه أن يعيش على هذا النحو، فسوف تكون الحياة حرة. إن الحال على هذا النحو نفسه في كل مكان. وفي التحليل الأخير فمثل هذا (الحد) ليس سوى رغبة في الموت.

وبقدر ما يتعلق الأمر بـ «ماكس»، لك أن تفعلي ما تشائين. لكن بما أنني أعرف الآن تعليماتك الموجهة إليه، فسوف أرغم نفسي، عندما تبدأ النهاية في الاقتراب، على الذهاب إليه، وأعرض عليه القيام برحلة قصيرة تستغرق عدة أيام «لأنني أشعر بالقوة الزائدة على نحو خاص» ثم بعدئذ أرحف عائداً إلى منزلي؛ لكي أتمدد هنالك للمرة الأخيرة.

هذه بالطبع هي الكيفية التي أتحدث بها ما دام أنها لم تنته إلى صميم الموضوع، لكن ما إن تبلغ درجة حرارتي ٣٧,٥ ° (٣٨ في المطر) فإن سعاة الرسائل البرقية سيتعثرون أحدهم في أعقاب الآخر صاعدين درجات سلمك الممتد. وآمل يكونوا مشاركين في إضراب عن العمل عندئذ، وليس في لحظة كتلك التي يناسبها الإضراب الآن، في مناسبة عيد ميلادك.

لقد استقبل مكتب البريد بغاية الحرفية تهديدي بعدم إعطاء طوابعي للرجل. وقد أزيل طابع البريد المستعجل بالفعل قبل أن يصلني. بالمناسبة، يجب أن تفهمي ما الذي يسعى الرجل خلفه، ولا ينبغي لك أن تظني أنه يجمع طابعًا واحدًا من كل سلسلة من الطوابع، إن لديه صفحات واسعة لكل سلسلة منها، ولديه مجلدات كبيرة الحجم تضم هذه الصفحات، وعندما تمتلئ إحدى صفحات سلسلة من هذه السلاسل، يلحق بها صفحة جديدة، وهكذا. وفي كل فترة من فترات ما بعد الظهر يجلس إلى هذه الصفحات، وبهذا يكون بديناً، ومرحاً، وسعيداً، ومع كل سلسلة يكون لديه سبب جديد للسعادة. اليوم مثلاً بخصوص الطوابع ذات الخمسين «هيلر»: فسوف تزداد أثمان طوابع البريد قريباً (أيتها المسكينة ميلينا) وسوف تصبح الطوابع ذات الخمسين «هيلر» أكثر قيمة!

يعجبني ما تقولينه عن (كرويتسن) (وليس عن «أفليز» التي هي مصحة حقيقية لأمراض الرئة؛ إنهم يحقنون المرضى هناك، أف! فلقد كانت هي المحطة الأخيرة لأحد الكتبة في مؤسستنا قبل وفاته بالسل). إنني أحب هذا النوع من الأماكن الريفية، كما أنها أماكن لها أيضاً ذكريات تاريخية،

لكن هل تظل مفتوحة في أواخر الخريف وهل يقبلون فيها الأجانب، وهل مثل هذه الأماكن ليست باهظة الثمن بالنسبة للأجانب؟ وهل أي شخص فيما عداي يمكنه أن يفهم لماذا كان عليّ أن أذهب إلى بلد التضور جوعاً لكي أزداد سمناً؟

إلا أنني سأكتب إليهم.

بالأمس تحدثت مرة أخرى مع ذلك الـ (شتاين). إنه أحد هؤلاء الذين حاقت بهم المظالم العامة. لست أدري لماذا يضحك منه الناس. إنه يعرف كل شخص، يعرف كل التفاصيل الشخصية، وهو في الوقت نفسه متواضع، وأحكامه تقوم على اهتمام شديد، وتندرج في مهارة، ويفعمها الاحترام؛ فإن كانت واضحة بدرجة زائدة قليلاً، وخاوية للغاية في براءتها، فهي إنما تزيد في قيمته، هذا على فرض أن المرء يعرف حقيقة الأشخاص المزهوين الغامضين الشهوانيين الإجراميين. بدأت أتحدث فجأة عن «هاس»، وتسلفت إلى ما وراء «يارميللا»، وتوصلنا بعد قليل إلى زوجك، وأخيراً- وليس صحيحاً بالمناسبة أنني أستمع بسماع التقارير التي تتناولك، فقط أريد أن أسمع اسمك المرة بعد المرة، طوال النهار. ولو كنت قد سألته لكان قد أخبرني أيضاً بالكثير عنك، لكن ما دام أنني لم أطلب منه ذلك فقد قنع بتقرير حقيقة (ندم مخلصاً على إعلانها لي) أنك لا تكادين تشعرين بالحياة، وأن الكوكابين كاد أن يدمر حياتك (كم كنت ممتناً في تلك اللحظة؛ لكونك ما زلت في عالم الأحياء)، وأضاف حذراً، وفي تواضعه المعهود، بأنه لم يشهد ذلك هو نفسه بعينه، وإنما فقط قد سمع به. أما عن زوجك فقد تحدث، وكأنه يتحدث عن ساحر غلاب.

كما أضاف أيضًا اسمًا جديدًا على سمعي، يرجع إلى عهد (براغ): لبعض الوقت، لكنني استأذنت في مغادرته، كنت قد أحسست بالغثيان قليلًا، ومن نفسي أيضًا علاوة على ذلك؛ لأنني كنت أسير هنالك بجواره صامتًا، أستمع إلى أشياء لم أكن قد أردت سماعها، ولا كانت تتعلق بي.

أكرر: إذا حدث أن قامت أية عقبة أمكنها أن تسبب لك أدنى معاناة- فلتبقي في فيينا- إذا لم يكن من ذلك بد، حتى بدون أن تحيطيني علمًا بذلك. لكن لو غادرتها بالفعل، فعليك أن تجتازي حاجز الحدود في الحال. فلو حدثت مصادفة ما، في تلك اللحظة التي لا يمكن التنبؤ بها بالمرة، ولم أتمكن من المغادرة ولم أستطع الوصول إليك في فيينا (وفي مثل تلك الملابس سوف أتصل برفيقًا بالسيدة ك.)، فسوف تجدني برفقة في انتظارك في فندق المحطة في جموند.

هل وصلتك الكتب الستة كلها؟

في أثناء قراءتي قصتك «المقهى» كان قد جاءني إحساس مماثل عند استماعي إلى شتاتين فيما عدا أنك تسردين قصة أفضل كثيرًا مما يفعل، فمن ذا الذي يحكي قصة بمثل هذه الجودة؟ لكن لماذا تحكيها لكل شخص ممن يتابعون صحيفة الـ «تريبونا»؟، في أثناء قراءتي لها أحسست كما لو أنني كنت أسير ذهابًا وجيئة أمام المقهى، نهارًا وليلاً لسنوات؛ وفي كل مرة يصل إليها أو يغادرها أحد روادها كنت أقنع نفسي من خلال النظر إلى بابها المفتوح أنك كنت ما تزالين بداخلها، ومن ثم كنت أوصل التجوال، وكنت أنتظر. ولم يكن انتظاري حزينًا، ولا كان مجهدًا، فأني حزن أو إجهاد في أن أنتظر خارج مقهى تجلسين بداخله!

الخميس

كون مونشهاوزن قد قام بأداء مهمته كما يجب، لهو أمر قد أبهجني كثيرًا جدًا، وهو في الحقيقة كان قد أنجز مهام أكثر كثيرًا في صعوبتها قبل الآن. وهل ستنال الورود أيضًا العناية بها مثل الزهور الأخرى؟ وما هي أنواع تلك الزهور؟ ومن هو مصدرها؟

سؤالك عن جموند، كنت قد أحبته من قبل أن توجهيه إليّ. حاولي أن تقللي من إيلاّمك لنفسك إلى أقل حد ممكن، فعندئذ سوف يكون إيلاّمك لي أقل. لم أدرك كما ينبغي لي أنه كان عليك أن تكذبي كل هذا الكذب، لكن كيف يمكن لزوجك أن يظن أنني لا أقوم بكتابة الرسائل لك، وأنني لا أود رؤيتك بعد أن أتيت لي رؤيتك ذات مرة؟

أنت تكتبين لي قائلة بأنك أحيانًا ما تشعرين بالرغبة في وضع الاختبار. ولقد كانت هذه الفكرة هي مزحة فحسب، ألم تكن كذلك؟ أرجو ألا تفعلها. إن عملية التعرف في حد ذاتها - تستلزم طاقة كافية، فأني قدر من الطاقة زيادة على ذلك يستلزمه العجز عن التعرف؟

إنني مسرور للغاية لأن الإعلانات^(١) قد راقّت لذوقك. فلتأكلي، عليك فقط أن تأكلي! ربما لو بدأت في التوفير اليوم، وانتظرت أنت عشرين عامًا، وأصبح الفراء أرخص ثمنًا (لأنه في ذلك الحين ربما تكون أوروبا قد أصبحت خرابًا، وراحت حيوانات الفراء تجري في أنحاء الشوارع)، ربما يكون ممكنًا عندئذ وجود ما يكفي من النقود لشراء فراء.

(١) يبدو واضحًا أنها إعلانات عن تجار الفراء في فيينا.

وهل تعلمين بالمناسبة، متى سأحصل في النهاية على بعض النوم؟
ربما في ليلة السبت أو ليلة الأحد؟

حسنًا، لمعلوماتك، هذه الطوابع مرتفعة الثمن - كانت هي رغبته الخاصة (ليس لديه شيء سوى رغبات «خاصة») - يقول إن «هذا جمال، هذا جمال»، فأية أشياء يجب أن يراها في هذه الطوابع؟!
والآن سوف أكل، ثم أذهب إلى (مكتب التحويلات) - ويعمل صباحًا.

الجمعة

لست أدري تمامًا لماذا أكتب، ربما بدافع من العصبية، كما كان بدافع العصبية أن أرسلت لك هذا الصباح ردًا برقيًا أخرج على الرسالة المستعجلة التي تسلمتها الليلة الماضية. وبعدها أستفسر عن (شنكر) بعد ظهر اليوم سوف أرسل إليك ردًا فورًا.

إن المراسلة بيننا حول هذا الموضوع تعيد المرء المرة تلو المرة إلى الخلاصة بأنك قد ارتبطت بزواجك بكل الروابط فيما عدا رباط الزواج المقدس الوثيق (كم أنا عصبي المزاج، لا بد أن سفيتي قد فقدت دفنها على نحو ما، خلال هذه الأيام الأخيرة)، وارتبطت أنا بزواج مماثل أيضًا ب... لست أدري بمن، إلا أن عين تلك الزوجة المرعبة غالبًا ما تستقر عليّ؛ وإنني لأشعر بهذه النظرة. والشيء الغريب أنه مع أن كلاً من هاتين الزوجتين تعد رباطاً وثيقاً لا انفصام له، حتى أنه لا يبقى شيء يمكن أن يقال

عن الموضوع، إلا أن عدم قابلية إحدى الزيتتين للانفصام، على الرغم من ذلك تشكل استعصاء الزيجة الأخرى على الانفصام، أو على الأقل توثق رباطها والعكس بالعكس، هو ما يحدث في حالة الزيجة الأخرى. إلا أن ما يبقى هو لا شيء سوى الحكم كما تمت صياغته بمعرفتك.

«ذلك لن يكون أبداً»، ودعينا لا نتحدث ثانية أبداً عن المستقبل، فقط عن الحاضر.

هذه الحقيقة هي حقيقة مطلقة راسخة، وهي العمود الذي تستقر فوقه الدنيا، ومع ذلك فإنني أعترف أنه، في إحساسي (في إحساسي وحده مع ذلك، تبقى هذه الحقيقة، حقيقة مطلقة)، هل تعرفين إنني، عندما أحاول أن أكتب شيئاً من قبيل ما يلي، تبدأ السيوف التي تحيط بي حوافها في دائرة، في الاقتراب ببطء من الجسد، ويكون العذاب أقصى ما يكون، عندما تبدأ هذه الحواف في كشط جسدي، لا أقصد وخزه؛ وإنما عندما تشرع فحسب في كشط جسدي، تبدو مرعبة بالفعل غاية الرعب، حتى أنني أخونك فوراً، وعند الصرخة الأولى، وأخون نفسي، وأخون كل شيء - وأنني على أساس من هذا الوهم وحده أعترف أن مثل هذه المراسلة حول هذه الموضوعات تبدو لي في إحساسي (أكرر مرة أخرى، وبحياتي، أنها تبدو لي فقط في إحساسي) كما لو كنت أعيش في مكان ما في أفريقيا الوسطى، وأنني قد عشت هناك حياتي كلها، محاولاً أن أنقل لك، أنت التي تعيشين في أوروبا، آرائي الراسخة فيما يتعلق بالتطور السياسي المقبل. إلا أنها مجرد مجاز؛ مجاز غبي أخرق، زائف، عاطفي، بائس، أعمى عن عمد. صدقيني، سيوفي ليست شيئاً آخر.

أنت على حق في اقتباسك لي من رسالة زوجك، وإن كنت لا أفهم كل شيء فهماً تاماً (لا ترسلي إليّ الرسالة)، وأكثر ما أدركه - أن هذه الرسالة قد كتبها رجل (غير متزوج) يريد أن يتزوج. ما أهمية «عدم وفائه» العرضي، الذي لا يعد حتى انعداماً للوفاء، ذلك أنكما كليكما باقيان على الطريق نفسه، فيما عدا أنه يتفق له على هذا الطريق أن يضل قليلاً إلى ناحية اليسار؟ أية أهمية لهذا «الانعدام للوفاء» الذي لم يتوقف قط علاوة على ذلك عن صب أعرق مشاعر السعادة حتى في غمار أشد حالات حزنك؟ أية أهمية لهذا «الانعدام للوفاء» عند مقارنته بعبوديتي الأبدية؟

لم أسئ فهمك فيما يتعلق بأمر زوجك. أنت تصبين سر تماسكك الذي لا سبيل إلى تحطيمه، تصبينه كله، هذا السر الثري الذي لا ينفد، المرة بعد المرة في القلق الذي يشغلك بشأن حذائه ذي الرقبة. شيء ما في هذا الانشغال يعذبني، لست أدري بالضبط ما هو. إن الأمر في النهاية غاية في البساطة: فلو كان لك أن تتركه لكان عليه إما أن يعيش مع امرأة أخرى، أو أن يذهب ليعيش في نزل، وسوف يتم تنظيف حذائه ذي الرقبة بعناية أفضل مما يلقاها الآن. هذا أمر سخيف، وهو ليس سخيفاً أيضاً، لست أدري ماذا يعذبني إلى هذا الحد كله في هذه الملاحظات، ربما تعرفين أنت؟

لم يكن يوم عيد ميلادك ليضيع لو كنت قد كتبت لي قبل حلوله. بخصوص النقود سوف أحضرها معي - ويحتمل ألا يرى أحدنا الآخر على أية حال، في هذا الاضطراب الذي قد يحدث بسهولة.

ثمة شيء آخر. أنت تكتبين عن الناس الذين يقضون أمسياتهم

وصباحاتهم معاً، وعن أولئك الذين لا يفعلون ذلك. ويبدو لي أن وضع الناس الآخرين هو الوضع الذي أفضله أكثر، لقد فعلوا أمراً سيئاً يقيناً أو احتمالاً، وقذارة هذا المشهد تستمد وجودها أساساً كما تقولين بحق، من كونهم غرباء، وإنها لهي قذارة مادة، تشبه قذارة شقة لم يشغلها سكان قط، ثم تنفتح فجأة على اتساعها. هذا سيئ حقاً، إلا أن شيئاً حاسماً لم يحدث؛ لا شيء حاسم حقاً، لا في السماء ولا فوق الأرض، لا شيء بالفعل سوى (لعب بكرة) كما تسمينه أنت. إنه كما لو كانت حواء عندما قطفت التفاحة حقاً من الشجرة (أحياناً ما أعتقد أنني أفهم سقوط الإنسان كما لم يفهمه غيري) كانت قد فعلت ذلك على أية حال لمجرد أن تريها لآدم - لأنها أعجبتها. لكن كان قضم التفاحة هو الفعل الحاسم - أما اللعب بها، وإن لم يكن مسموحاً به، إلا أنه لم يكن مع ذلك ممنوعاً.

الثلاثاء

وعلى هذا فلن أحصل على رد لهذه الرسالة لعشرة أيام أخرى أو أربعة عشر يوماً. وبمقارنة ذلك بالماضي القريب، يكاد يبدو هذا وكأنه هجر، أليس كذلك^(١).

وأشعر الآن بالذات كما لو كان لا بد لي أن أخبرك بعدة أشياء، لا يمكن التعبير عنها، ولا كتابتها، ليس لكي أحاول بواسطتها إصلاح شيء أفسدته في جموندي، ولا لكي أنتشل شيئاً ما من الغرق؛ بل لكي أساعدك على أن تفهمي بعمق طبيعة أحوالي، وذلك حتى لا تهربي مذعورة بعيداً عني -

(١) كانت ميلينا في سانت جليجن.

وما أود أن أخبرك به هو، على الرغم من كل شيء، ما يمكن أن يحدث بين الناس، أحس أحياناً كما لو كنت أحمل تلك الأثقال الزائدة من الرصاص حتى ليتعين عليّ في كل لحظة أن أغطس متجرجراً إلى أعماق البحار، وأن الشخص الذي يحاول أن يمسك بي، أو حتى يحاول أن (ينقذني)، سوف يكف عن محاولته، ليس لضعفه، ولا حتى ليأسه، بل لمجرد الضيق المحض. ولا يقال هذا بالطبع لك، بل يقال لانعكاس واهن لشخصك، انعكاس لا تكاد تتحقق منه رأس مرهقة خاوية (ولا أقول رأساً تعسة أو متهيجة، لأنها حال يوشك المرء على الامتنان لها لو كانت كذلك).

حسنًا، ذهبت بالأمس لزيارة «يارميللا»، ولما كانت هذه الزيارة قد بدت لي زيارة مهمة بالنسبة لك فلم أرد تأجيلها، حتى ولو ليوم واحد، أيضًا، ولكي أكون صادقاً فإن فكرة أنه سيتعين عليّ الآن أن أتحدث إلى «يارميللا» كانت قد جعلتني قلقاً، ولهذا فضلت أن أنتهي منها في الحال، على الرغم من كوني لست حليقاً (ولم يكن نمو شعري عندئذ مجرد قشعريرة فوق مسام الجلد، وهو ما ظننت بقدر ما يتعلق بذلك نجاح مهمتي أنه لن يؤدي إلى أي ضرر). ذهبت إلى هناك حوالي الساعة السادسة والنصف، ولم يرن جرس الباب، ولم تكن هناك فائدة من الطرق على الباب، ولم تكن توجد نسخ من صحيفة (نارودني لستي) في صندوق البريد، وكان واضحاً أنه لا يوجد أحد بالمنزل، ظللت واقفاً في المكان لفترة قصيرة، ثم اقتربت امرأتان قادمتان من الفناء، كانت إحداهما هي «يارميللا»، وربما كانت الأخرى أمها. عرفت «ي». في الحال، على الرغم من أنها لم تكذب تشبه الصورة الفوتوغرافية، ولم تكن تشبهك على الإطلاق.

غادرنا المنزل على الفور ولمدة عشر دقائق، رحنا نتمشى ذهاباً وجيئة خلف الأكاديمية الحزبية السابقة. وكان أكثر ما دهشت له حقيقة أنها كانت على عكس تنبؤك ثرثرة جدًّا، وإن يكن فحسب على مدى هذه الدقائق العشر، تكلمت بلا انقطاع على الأغلب. ولقد ذكرتني كثيرًا جدًّا بتلك الثرثرة التي غلبت على رسالتها تلك التي أرسلتها أنت لي ذات مرة، ثرثرة كانت تبدو مستقلة كل الاستقلال عن المتحدثة. ولقد كانت هذه الثرثرة لافتة للنظر لأنها لم تكن تتناول تلك التفاصيل العينية كالتي وردت بتلك الرسالة. كان اضطرابها مما يمكن تفسيره جزئيًا بحقيقة أنها، كما أوضحت، كانت قد أثرت لأيام بخصوص «المسألة»^(١)، وكانت قد أبرقت لـ «هاس» بخصوص (فيرفل) (دون أن تتلقى ردًّا حتى الآن؛ وكانت قد أبرقت، وكتبت رسالة عاجلة لك، وأحرقَت الرسائل في الحال بناءً على اقتراحك، ولم يكن في استطاعتها أن تفكر في أية وسيلة يمكنها بواسطتها أن تهدئ خواطرك بسرعة، وبهذا كانت قد رأت أن تحضر لزيارتي في هذه الظهيرة لكي تتحدث على الأقل إلى شخص ما على علم هو أيضًا بالأمر كله.

(إنها فيما يبدو واقعة تحت تأثير الانطباع بأنها تعرف مكان إقامتي، والسبب في هذا هو ما يلي: ذات مرة- وأظن أن ذلك كان في الخريف أو كان في الربيع، فلست متأكدًا، كنت قد ذهبت للتجديف مع «أوتلا» والصغيرة «روزنكا» وهي البنت التي كانت قد تنبأت في قصر (شونبورن) باقتراب نهايتي، وأمام الـ (رودولفينوم) قابلنا «هاس» ومعه امرأة لم أكن حتى قد

(١) فيما يبدو بخصوص (مسألة) الرسائل بلا توقيع.

لاحظت وجودها وقتها: وكانت هذه المرأة هي «يارميللا» وذكر «هاس» لها اسمي، وتذكرت «يارميللا» أنها كانت قد تحدثت مع شقيقتي قبل سنوات في حمام السباحة المدني. ولما كان حمام السباحة المدني مكاناً مسيحياً جداً في تلك الأيام، فقد بقيت «أوتلا» ماثلة في ذاكرة «يارميللا» باعتبارها حالة يهودية، نادرة. وفي ذلك الوقت كنا نقطن في مواجهة حمام السباحة، وكانت «أوتلا» قد أطلعتها على شقتنا، وبهذا فهذه هي القصة بأكملها، وكان هذا هو السبب في أنها كانت بالغة السعادة، من أعماقها؛ لأنني كنت قد حضرت، وبالغة الحيوية - ولم تكن سعيدة فوق هذا، فيما يتعلق بتلك التعقيدات، التي كانت بكل تأكيد، بكل تأكيد، قد بلغت غايتها، تلك التعقيدات التي كما أكدت هي لي في انفعال، أنها تعقيدات لن يكون لها بكل تأكيد، بكل تأكيد، أية عواقب لاحقة. ولم أكن قد أشبعت طموحي مع ذلك؛ كنت قد رغبت - في الحقيقة، دون أن أدرك أهمية المهمة التي كان عليّ أن أقوم بها، إلا أنني كنت قد استغرقت في القيام بها كل الاستغراق - في إحراق الرسائل بنفسي، ونشر رمادها من أعلى الشرفة.

أما عن نفسها فلم تذكر سوى القليل؛ وأنها تجلس في المنزل طوال الوقت - ويبرهن وجهها على ذلك - وأنها لا تحدث أحداً، وأن مغادرتها للمنزل لا تتعدى مرة من وقت لآخر تذهب فيها لتبحث عن شيء في إحدى المكتبات، أو لكي تقوم بإرسال رسالة من وقت لآخر. وفيما عدا ذلك، فقد تحدثت فقط عنك (أو لعلني أنا الذي كنت قد تحدثت عنك، يصعب على المرء أن يميز حقيقة ذلك فيما بعد)، وعند ذكري للسعادة

الهائلة التي كان قد سببها لك تصورك، من خلال قراءاتك للرسالة التي وصلتك من برلين - إمكان قيام «يارميللا» بزيارتك؛ قالت إنها لا تكاد تفهم إمكانية السعادة، وآخر ما يخطر على بالها أن تفهم أن ثمة من يمكن أن تتيح له هي أن يسعد. ولقد بدا ذلك بسيطاً ومقنعاً. قلت إن الأزمان القديمة لا يمكن لها أن تمنحي تمامًا، وببساطة؛ وإنها تتضمن دائماً إمكانيات يمكنها أن تعود إلى الحياة. قالت: نعم، ربما أمكن أن يحدث هذا لو كان لكما أن تتواجدا معاً، وإنها بدأت أخيراً تتطلع تطلعاً زائداً إلى رؤيتك؛ ولقد بدا لها أنه من الطبيعي للغاية، ومن الضروري أن تتواجدي هنا - أشارت عدة مرات أمامها إلى الأرض، وكانت يداها أيضاً مفعمتين بالحيوية - هنا، هنا، هنا.

وأمام المنزل ودّع أحدها الآخر بكلمات مقتضبة. قبل هذا، كانت قد أثارت ضيقي على نحو ما بقصة معقدة عن صورة فوتوغرافية لك جميلة على نحو خاص، كانت تريد أن تريها لي. وأخيراً انضح أنها مباشرة قبل رحلتها إلى برلين، عندما كانت تقوم بإحراق كل أوراقها ورسائلها، كانت قد ثبتت هذه الصورة على الحائط، وإنها في هذه الظهيرة بالذات كانت قد بحثت عنها ثانية بلا جدوى.

ثم أرسلت لك برقية تتصف بالمبالغة في الكيفية التي تم بها تنفيذ تعليماتك. لكن هل كان يسعني أن أفعل أكثر مما فعلت؟ وهل أنت راضية عني؟

لا معنى لأن أستعطفك، بما أنك لن تتسلمي هذه الرسالة قبل أسبوعين، لكن ربما أمكن فقط إضافة صغيرة ما إلى افتقار الالتماس

من كل معنى: أرجوك لا تدعي نفسك للخوف يبعدك عني، فلو كان من الممكن أصلاً في هذه الدنيا المقلقة (حيث إنه إذا حدث أن انجرف المرء بعيداً، فهو إنما يكون قد انجرف بعيداً، ولا حيلة له في ذلك) - لا تدعي نفسك للخوف يبعد بك عني، حتى لو خيبت أملك مرة أو ألف مرة، أو خيبت ظنك الآن بالذات أو ربما الآن بالذات دائماً. في الحقيقة ليس هذا التماساً، ولا هو موجّه إليك، ولا أدري إلى أين يتخذ وجهته. هو ليس سوى التنفس الذي ضيق عليه الصدر المقهور.

الأربعاء

رسالتك في صباح الإثنين، حتى منذ صباح ذلك الإثنين أو حتى منذ ظهر الإثنين، عندما كان التأثير الخير للترحال (وكل رحلة بعيداً عن أي شيء آخر، هي في ذاتها، راحة، هي شعور المرء بأنه قد أخذ بخناقه، بأنه قد اهتز كيانه، واهتز) قد بدأ يتلاشى على نحو ما - منذ ذلك الحين، كنت قد رحت أغني لك بلا انقطاع أغنية واحدة، هي أغنية مختلفة باستمرار، ودائماً هي نفسها، ثرية كالنوم بلا أحلام، مضجرة ومنهكة حتى أنني كنت في أثنائها أحياناً ما أستغرق في النوم. فلتسعدي لأنه ليس عليك أن تسمعيها، اسعدي بأنك مصونة ضد رسائل طوال كل هذا الوقت.

آه، المعرفة بالطبيعة البشرية! ما الذي عليّ أن أتخذه ضد قيامك بتلميع الأحذية ذات الرقبة تلميعاً له كل هذا الجمال! قومي بتلميعها تلميعاً جميلاً بكل ما في وسعك، ثم ضعها في أحد الأركان، وتخلصي من هذا الأمر. المسألة فقط هي أنك تقومين بتلميعها في عقلك طوال

اليوم، يعذبني هذا أحياناً (ولا ينتهي بتنظيف الأحذية ذات الرقبة).

الخميس

ظللت متطلعاً إلى سماع عبارة أخرى، هي هذه: «أنت لي». ولماذا هذه العبارة بالذات؟ إنها حتى لا تعني الحب، بل تعني بدلاً منه القرب والليل.

نعم، كانت الكذبة هائلة وشاركت أنا فيها، لكن ما كان أكثر منه سوءاً هو أنني كنت مع نفسي، في الركن، أتصنع البراءة.

ولسوء الحظ دائماً ما تعطيني أنت تعليمات تكون قد تم تنفيذها بالفعل عندما أصل إلى هناك، هل ثقتك بي قليلة إلى هذا الحد أو أنك إنما تحاولين أن تمنحيني بعضاً من الثقة بالذات؟ إنها محاولة تبدو لي في هذه الحالة بالغة الشفافية.

لا أفهم ما علاقة برقية «يارميللا» (والتي كانت قد أرسلتها أصلاً قبل لقائي بها) بي أو حتى بالغيرة. بدا أن زيارتي حقاً قد جلبت لها السرور (وهذا في صالحك)، ولكن رحيلي قد جلب لها من السرور قدراً أكبر بكثير (لصالحني، أو بالأحرى لصالحها).

كان في مقدورك بالفعل كتابة كلمات قلائل أخرى عن نوبة البرد. هل أصبت بها في جموند، أو في طريق عودتك إلى المنزل، من مشروب القهوة؟ هنا، بالمناسبة، لا يزال الجو صيفاً جميلاً، حتى لقد أمطرت فقط يوم الأحد في جنوب بوهميا.

كنت مختلاً، فقد كان في وسع الدنيا كلها أن ترى من ملابسي الغارقة
في البلب أنني كنت قادماً من اتجاه جموند.

الجمعة

بالقراءة على مسافة ملاصقة للعين مباشرة لا يسع المرء أن يفهم
مطلقاً هذا البؤس الذي تعيشين فيه هذه اللحظة، لذا يتعين على المرء أن
يمسك الرسالة على مسافة أبعد قليلاً، لكن حتى في هذه الحالة أيضاً لا
يكاد يبدو الفهم ممكناً.

لقد أسأت فهم تلك الملاحظة عن المخالب - ولقد كانت في الحقيقة
ملاحظة مبهمة. وما تقولينه عن جموند هو حق بأوسع المعاني. أذكر على
سبيل المثال، سؤالك لي عما إذا كنت قد أخلصت لك في براغ، لقد كان
سؤالاً نصفه مزاح، ونصفه جد، ونصفه لا مبالاة (ومرة أخرى هذه الثلاثة
أنصاف، فقط لأنه كان مستحيلاً)، إن لديك رسائلتي ومع ذلك تسألين
مثل هذا السؤال. فهل كان هذا سؤالاً ممكناً؟ لكنني وكما لو لم يكن
هذا كافياً، قد جعلته أنا أكثر استحالة. قلت، نعم، لقد كنت مخلصاً لك،
فكيف يتسنى للمرء أن يتحدث بمثل هذا؟ وفي ذلك اليوم تحدثنا واستمع
أحدنا للآخر، غالباً، ولوقت طويل وكأننا غريبان.

بالأمس مع اقتراب المساء جاءت يارميللا لزيارتي (لست أدري
كيف عرفت عنواني الحالي). لم أكن بالمنزل، فتركت رسالة لك، وكلمة
بالقلم الرصاص تطلب مني فيها أن أرسل لك الرسالة؛ لأنها وإن كانت

تعرف عنوانك في الريف، إلا أنه لا يبدو لي عنواناً آمناً بما يكفي بالنسبة لها.

الإثنين

حسناً، لم تستغرقا وقتاً طويلاً جدّاً، على كل حال، فلقد تسلمت الرسالتين القادمتين من سالزبورج، ولعل الأمور أن تسفر عن خير في جلجن، وأؤكد بأن الخريف قد حل هنا بالفعل، وهذا ما لا يمكن إنكاره. أحس بسوء حالتي، كما أشعر بتحسّنها، تبعاً للكيفية التي يراها بها المرء. آمل أن تستمر صحتي وقتاً ما إلى داخل فصل الخريف، وسيكون لنا أيضاً أن نكتب أو نتحدث عن جموند - وهذا جزء من شعوري بسوء حالتي. أرفق مع رسالتي هذه رسالة يارميللا. ولقد رددت على زيارتها بإشارة لاسلكية قائلاً إنني بالطبع سأرسل رسالتها بكل سرور، لكن على ألا تكون قد تضمنت أي شيء عاجل؛ لأنني لم أكن أظن أنني سأهتدي إلى عنوانك في أقل من أسبوع، ولم تكتب هي ثانية.

(في الهامش الأيمن): لو أمكن، أرجو أن ترسلي رؤية عينية لشقتك.

قرأت أولاً الرسالة المكتوبة بالقلم الرصاص، وفي رسالة الإثنين، تطلعت إلى فقرة فيها تحتها خط، ثم قررت أن أتركها بعضاً من الوقت، كم أنا قلق، ويا لها من حال تثير الرثاء عندما لا يكون في مقدور المرء أن يلقي بنفسه وبكل كيانه إلى كل كلمة، حتى لو أن هذه الكلمة قد تعرضت لهجوم ما، لأمكن للمرء أن يحمي نفسه بكاملها أو أن يتحطم كلية، لكن

هنا، أيضًا، لا يوجد الموت وحده، بل توجد أيضًا الأمراض.

وحتى قبل أن أفرغ من قراءة الرسالة - تذكيرين شيئًا مماثلًا قرب نهايتها - طرأ على بالي إن لم يكن ممكنًا بالنسبة لك أن تمكثي هناك مزيدًا من الوقت، وقتًا يمتد بقدر ما يسمح الخريف. ألا يمكن ذلك؟

وصلت الرسائل من سالزبورج بسرعة، أما الرسائل القادمة من جلجن فقد استغرقت بعضًا من الوقت. إلا أنني حصلت أيضًا على أخبار أخرى هنا وهناك. صورة قلمية سريعة كتبها (بولجار)^(١) في الصحيفة، تصف البحيرة، هي صورة حزينة إلى غير حد إلا أنها محيرة؛ لأنها صورة مرحلة مع ذلك - حسنًا - ليس هذا بالكثير، إلا أن ثمة أخبارًا عن سالزبورج، عن الاحتفال، عن الجو غير المستقر - وهذا بدوره لا يتصف بالمرح، ولقد رحلت أنت متأخرة للغاية في نهاية الأمر، ثم دفعت أنا ماكس إلى أن يخبرني بما يعرف عن (فولفجانج) وعن (جلجن)، لقد عرف السعادة الغامرة هناك في صباه، ولا بد أن الحال كانت أفضل في قديم الأيام، إلا أن هذا كله لن يعد شيئًا ذا بال، لولا الـ «تريبونا» فتطلي كل يوم إلى احتمال العثور على شيء لك، ثم العثور بالفعل على كتابات لك هنا وهناك، هل تستائين من حديثي عن الصحيفة؟ مع أنني أستمع كثيرًا بقراءاتها. ثم من الذي سيتحدث عنها إن لم يكن أنا، أفضل قرائك؟ وحتى من قبل، قبل أن تذكري أنك أحيانًا ما تفكرين في أثناء الكتابة، كنت قد أحسست بها تتعلق بنفسى - أعني، أنني كنت قد ضممتها إلى نفسي، والآن بما أنك

(١) ألفريد بولجار الكاتب الفيني الشهير.

قد قلت ذلك بصراحة، فإنني ما زلت ربما أكثر قلقًا بشأنها، مثلاً، عندما قرأت فيها عن أرنب وسط الثلوج كدت أن أجد نفسي وقد انطلقت جرياً إلى هناك.

(في أعلى الهامش الأيسر): نعم، كنت أعرف أنني قد تجاوزت عن شيء في رسالتك، وبدون أن أجد القدرة على أن أنساه، لا أجدني قادراً على تذكره: درجة الحرارة؟ درجة الحرارة الحقيقية؟ هل تدرकिन ما أعني؟

أخيراً فرغت من قراءة الرسالة الأخرى، لكنني حقاً قد بدأت قراءتها بالفقرة التي تقول: «لا أريدك أن ترد على ذلك». لست أدري ما الذي سبق هذه الفقرة لكنني اليوم ورسائلك تواجهني، وتعزك على نحو لا يدحض، أجدني مستعداً للتوقيع عليها دون أن أقرأها مقرأً بصحتها حتى لو كانت ستتخذ بهذا قرينة ضدي أمام المحكمة العليا، إنني قدر يا ميلينا، قدر بلا حد، وهو ما يجعلني أحدث كل هذه الضجة الهائلة حول النقاء، ولا يتغنى من الناس بمثل تلك الأصوات النقية، كما يتغنى من يعيشون في عمق أغوار الجحيم، وما نسميه نحن شذو الملائكة، إنما هو غناؤهم.

قبل أيام قليلة انتهيت إلى أن (الخدمة الحربية) - أو على نحو أكثر صحة حياة (المناورة)، التي اكتشفتها منذ سنوات، هي أكثر ما يلائمني في أحيان بعينها، النوم في الفراش في فترة ما بعد الظهر لأطول مدة ممكنة، ثم التجوال سيراً على الأقدام لمدة ساعتين، ثم البقاء مستيقظاً لأطول مدة ممكنة، لكن العقدة إنما تكمن في هذه (الأطول مدة ممكنة)، «إنها غير ممكنة لمدة طويلة»، غير ممكنة فيما بعد الظهر، ولا في الليل، ومع ذلك فإنني أكون بالفعل قد ذبلت عندما أبلغ مقر عملي في الصباح، وتكمن

الجائزة الحقيقية خفية في أعماق الليل، في الساعة الثانية، الثالثة، الرابعة، لكنني حاليًا إن لم آو إلى الفراش عند حوالي منتصف الليل مع أقصى تأخير، لضاع الليل، وضاع النهار، وضعت أنا نفسي، ومع ذلك فلا شيء من هذا يهم، في (كوني في الخدمة) هو أمر جيد، حتى ولو لم يسفر عن أية نتائج. ولم يكن له حتى أن ينتهي إلى نتيجة، إنني في حاجة إلى عام كهذا العام لكي «أفك عقدة اللسان» قبل أي شيء، ثم لكي أتتحقق من أن الأمر قد قضي وأن السماح بأن (أكون في الخدمة) قد بلغ غايته، لكن هذا كما قلت: هو أمر جيد في حد ذاته، حتى لو تدخل السعال بطريقة طاعية فاستغرق وقتًا طال أو قصر.

بالطبع لم تكن الرسائل سيئة إلى هذا الحد. لكنني حقًا لا أستحق هذه الرسالة المكتوبة بالقلم الرصاص، فهل يوجد شخص في السماء أو على الأرض يستحقها؟

مساء الخميس

اليوم لم أكد أفعل شيئًا، سوى الجلوس في أنحاء المكان، أقرأ قليلًا هنا، وقليلًا هناك، لكنني أساسًا لم أفعل شيئًا، أو رحت أسمع إلى ألم طفيف ما، بينما كان يحدث تأثيره في جانبي جبهتي. كنت مشغولًا طوال اليوم برسائلك، معذبًا، عاشقًا، متوحشًا، وفي حالة خوف غير معلوم من شيء غير محدد، يتألف لا تحدده في معظمه من حقيقة أنه يتجاوز حدود طاقتي. ولم أكن في الوقت نفسه قد جرؤت على قراءة الرسائل قراءة أخرى، ولم أكن قد جرؤت على قراءة نصف صفحة حتى في المرة

الأولى، فلماذا لا يستطيع المرء أن يسلم نفسه إلى حقيقة أن حياته في هذا التوتر الانتحاري المعلق، الخاص، هي عدل.

(تذكرين أحياناً، شيئاً مماثلاً لهذا ولقد حاولت أن أضحك على ذلك وقتها؟) ولماذا يقوم المرء بدلاً من ذلك عمداً بفك وثائق حياته هذه؛ لينطلق خارجاً منها كما ينطلق حيوان لا يعقل (ويحب حتى لا معقوليته هذه كحيوان) ويوصل بفعله هذا كل الكهربائية الممزقة، المعربة إلى داخل الجسد، وذلك حتى توشك أن تنتهي بالمرء إلى الاحتراق؟

لا أعرف بالتحديد ما الذي أريد أن أقوله بهذا الفعل، أريد فقط على نحو ما أن أحكم قبضتي على أشكال اللوم، لا المعلنه؛ بل الصامتة تلك التي تخرج من رسائلك، ويمكنني أن أحكم قبضتي عليها، ذلك أنها ملكي، وأن يكون في مقدورنا حتى هنا في الظلام أن نكون معاً إلى هذا الحد عقلاً واحداً، لهو أكثر الأمور غرابة، ويمكنني بالفعل أن أؤمن به فقط للحظة، بعد لحظة أخرى غيرها.

الجمعة

بدلاً من النوم، قضيت الليلة (وإن لم يكن ذلك عن طوعية تامة) مع الرسائل، ومع ذلك، فليست الأمور في أقصى حالاتها سوءاً الآن بالتحديد. لم تصل في الحقيقة، أية رسالة، لكن حتى هذا لا يهم في ذاته. في هذه اللحظة من الأفضل كثيراً ألا أكتب يوماً، ولقد أدركت أنت ذلك سرّاً قبل أن أدركه أنا. إن الرسائل اليوم تسبب الضعف أكثر مما تبعث القوة. في السابق كان المرء يشرب الرسالة حتى آخر قطرة تحتويها، وكان

المرء في الوقت نفسه (أتحدث عن براغ وليس عن ميران) أقوى عشرة أضعاف، وأكثر عطشًا بعشرة أضعاف.

لكن الرسائل الآن قد أصبحت بالغة الجدية، الآن يعرض المرء شفتيه عندما يقرأ رسالة، ولا يكون ثمة شيء أكثر تأكيدًا سوى الألم الطفيف في الصدغين. لكن حتى هذا لا يهم، ويبقى شيء واحد فقط: «لا تستسلمي للمرض يا ميلينا. لا تمرضي». لا بأس من عدم الكتابة (ما عدد الأيام التي قضيتها في مقاومة مثل رسالتي الأمس هاتين؟ أسئلة غبية، وهل يمكن للمرء أن يقاومهما في أيام؟) لكن لا ينبغي أن يكون المرض هو السبب، إنني أفكر بالطبع، في نفسي فحسب. ما الذي سأفعله؟ سأفعل على الأرجح نفس ما أفعله الآن، لكن كيف سأفعله؟ لا، لا أريد أن أفكر في هذا الفعل. وفي الوقت نفسه عندما أفكر فيك تكون رؤيتي أوضح ما تكون دائمًا، هي تلك التي تبدين فيها راقدة في الفراش، كما كنت ترقددين في المرح، في تلك الأمسية في جموند (هناك حيث حكيت لك عن صديقتي، ولم تستمعي إليّ كثيرًا) وليس هذه مطلقًا رؤية مؤلمة بل هي بالفعل أفضل رؤية أجدها في مقدوري في هذه اللحظة وهي أنك راقدة في الفراش، وأنني أقوم بتمريضك، وأنصرف عنك، لأعود إليك مرة أخرى، وأضع يدي فوق جبهتك وأغرق في عينيك عندما أطرق متطلعًا إليك، وأحس بنظرتك تحديق فيّ بينما أتجول في أنحاء الحجرة عارفاً طوال الوقت بخيلاء لم يعد قابلاً للترويض أنني إنما أحياء من أجلك، وبأنني قد حزت السماح لي بأن أفعل، وأنني في بدء امتناني لحقيقة أنك كنت قد وقفت ذات مرة إلى جانبي، ووضعت يدك في يدي. وسيكون فقط مرضاً عابراً

سرعان ما يزول ويتركك أكثر صحة عما كنت عليه من قبل، بينما سأكون أنا أحسن حالًا وفجأة (وآمل ألا يكون ثمة ضوضاء ولا ألم) أزحف في باطن الأرض - حسنًا، كل هذا لا يسبب عذابًا بالغًا، لكن فكرة أن عليك أن تقعي فريسة للمرض هي التي أراها أبعد ما تكون.

أنت أيضًا تحبين سائقي الترام، أليس كذلك؟ نعم، ذلك السائق الفييني الأمل، المرح، وإن يكن منهكًا بالغ الهزال، في تلك المرة! إلا أنهم ناس طيبون هنا أيضًا، ويريد الأطفال أن يصبحوا سائقي ترام لكي يكونوا مثلهم أقوياء ومحترمين، وأن يتولوا القيادة، وأن يقفوا فوق سلم الترام لكي يتمكنوا من الانحناء إلى أسفل فوق رؤوس أطفالنا ومعهم أيضًا خُرَّامة تذاكر، وكميات كبيرة من تذاكر الترام، بينما أنا - على حين تروعي كل هذه الإمكانات - أحب أن أكون سائق ترام لكي أكون في مثل مرحه وتكون لي مثل قدرته على المشاركة في كل شيء. كنت أسير ذات مرة خلف ترام يسير ببطء وكان السائق - (لقد وصل الشاعر لكي يخرجني من مقر عملي، فليتظر حتى أفرغ من السائقين) - ينحني بجسمه كثيرًا إلى الخارج من فوق سلم الترام الخلفي، قد راح يصيح بي بشيء ما (لم أتمكن من سماعه بسبب الضوضاء في «يوزيف بلاتس»)، وظل يأتي بحركات متهيجة بكلتا ذراعيه، كان من الواضح أنها تعني الإشارة إلى شيء ما، إلا أنني لم أفهم معناها. وطوال الوقت ظل الترام يتحرك أكثر وأصبحت حركاته يائسة أكثر فأكثر - وأخيرًا فهمت: كان دبوس المشبك الذهبي في ياقة قميصي قد انفك - وكان السائق، يحاول أن يلفت انتباهي إليه. لقد تذكرت هذه الحادثة هذا الصباح، عندما صعدت الترام منهكًا

من الليلة الماضية وكأنني شبح مريض، وأعاد لي السائق فكة الكروانات لكي يبعث البهجة في نفسي (لا لكي يبعث البهجة في نفسي على وجه الدقة، لأنه لم يكن حتى قد تطلع إليّ بل لكي يبعث البهجة في الجو بصفة عامة) قد أتى بملاحظة ودية (فاتني إدراك مغزاها) عن أوراق (البنكنوت) التي كان يردها ثانية إليّ - على حين كان يقف إلى جوارى أحد السادة، ابتسم لي هو أيضًا نتيجة لهذا التميز، وهو ما لم أرد عليه من جانبي سوى بالابتسام، وبهذا كان كل شيء قد تحسن قليلًا. فعسى أن تتمكن هذه الحكاية من أن تبعث البهجة في السماء المطيرة فوق سانت جلعن!.

السبت

رائع الجمال، رائع الجمال يا ميلينا، رائع الجمال، لا شيء في رسالة «الثلاثاء» رائع الجمال مثل الهدوء، الثقة، الوضوح، الذي صدرت عنه الرسالة.

لم يأت في الصباح شيء. كنت سأتوافق بسهولة مع هذه الحقيقة في ذاتها؛ لكن يختلف الحال الآن كل الاختلاف مع تسلم رسائل. ومع ذلك، فمع كتابة الرسائل لم يكد يتغير شيء، فالدفاع يستمر، وتستمر معه متعة أن يكون على المرء أن يكتب، وعلى هذا سأتصالح مع هذه الحقيقة.

وما حاجتي إلى رسالة، عندما قضيت بالأمس، مثلاً، اليوم بطوله والمساء، ونصف الليلة في حديث معك، حيث كنت فيه مخلصًا وجادًا مثل طفل، وكنت أنت فيه جادة وواعية كأم (ولم أكن قد رأيت قط في الواقع مثل

هذا الطفل ولا مثل هذه الأم)، وكان لهذا كله أن يكون على ما يرام، فقط ينبغي لي أن أعرف السبب في عدم كتابتك، لا ينبغي لي أن أراك مريضة في الفراش طوال الوقت، في الغرفة الصغيرة وأمطار الخريف خارجها، وأنت وحيدة تمامًا، في درجة حرارة (كتبت أنت عنها)، ومع نزلة برد (كتبت لي عنها)، علاوة على العرق ليلاً، والإعياء (كتبت لي عن هذا كله) - فإذا هذا كله لم يعد له وجود، فهو خير إذن، ولا أريد شيئاً في هذه اللحظة أفضل من هذا.

لن أشرع في إجابة على الفقرة الأولى من رسالتك، ولا أعرف بعد حتى الفقرة الأولى سيئة الذكر من رسالتك السابقة، فهذه كلها أشياء عميقة التعقيد ولا تجد حلاً لها إلا من خلال مناقشة بين أم وطفل، ويمكن سماعها عندئذ، ربما فقط لأن هذه التعقيدات في هذه الحالة لا يمكنها أن تحدث. لن أشرع في تناول هذه الفقرة لأن الألم يكمن في صدغي متربصاً. فهل كانت «نبلة» كيوبيد قد صوبت في اتجاه صدغي بدلاً من تصويبها نحو قلبي؟ كما أنني لن أكتب بعد ذلك مزيداً عن جموند، عن قصد على الأقل، سيكون هناك الكثير مما يمكن أن يقال عنها، لكن في النهاية سيكون كل ما ستنهي إليه، هو أن اليوم الأول في فيينا كان من الممكن أن يكون أفضل قليلاً مما كان لو كنت قد رحلت في المساء. وعلى الرغم من أن فيينا تتميز حتى على جموند، بأنني قد بلغت في شبه حالة إعياء، من الخوف والإنهاك، وكنت قد ذهبت إلى جموند (على غير وعي مني بذلك - «فلمست سوى أحرق») واثقاً على نحو بديع، كما لو أن شيئاً لا يمكن أن يقع لي ثانية أبداً. لقد وصلت كصاحب بيت؛ ووجه

الغرابية هو أن ذلك الفتور كان ممكنًا أن يقع لي رغم كل شكوكي التي تهزني باستمرار، وربما كانت هذه هي غلطتي الحقيقية، في هذا الموقف، وفي مواقف أخرى.

الساعة الآن الثالثة إلا الربع، وقد تسلمت رسالتك قبل تمام الثانية مباشرة، ولعله من الأفضل لي الآن أن أتوقف هنا وأعادر المكان وأكل.

ترجمة الجملة الأخيرة جيدة جدًا، كل جملة في هذه القصة، كل كلمة، كل - لو كان لي أن أقول هذا - موسيقى ترتبط بـ «الخوف».

بهذه المناسبة انفتح الجرح للمرة الأولى أثناء ليلة واحدة طويلة، وفي رأيي، تلتقط الترجمة الترابطات باكتمال بتلك اليد السحرية التي هي يدك.

ترين ما الذي يسبب كل هذا العذاب في تسلم الرسائل - حسنًا، لا حاجة بي إلى أن أقول لك اليوم بين رسالتك ورسالتي يوجد، - بقدر ما يسمح بذلك الإمكان، مع وضعنا لعدم اليقين من ذلك في الاعتبار، يوجد قرب رائع، طيب، عميق التنفس. والآن عليّ أن أنتظر الردود على رسائلي الأسبق التي أنخوف منها.

كيف يمكنك بالمناسبة، أن تتوقعي رسالة مني يوم الثلاثاء، بينما حصلت أنا على عنوانك فقط يوم الإثنين؟

الأحد

غلطة غريبة بالأمس. كنت في ظهيرة الأمس سعيدًا سعادة بالغة بخصوص رسالتك (رسالة الثلاثاء) وعندما قرأتها ثانية في المساء،

وجدت أنها لم تكذب تختلف في طبيعتها عن الرسائل الأخيرة، (يكون
تعباً بما يتجاوز كثيراً ما تسمح به). تثبت الغلطة إلى أي حد أفكر فقط
في نفسي. لقد استغلقت في داخل نفسي، كيف ألتصق فقط بذلك الجزء
منك الذي يمكنني أن أثبت به، وإلى أي حد أتوق إلى أن أنطلق هارباً به
إلى الصحراء، حتى لا يقدر على أن ينتزعه مني أحد؛ لأنني كنت قد عدت
لتوي إلى حجرتي من الإملاء، لأنه كانت تقع هناك لدهشتي رسالتك؛
لأنني شملت بنظرة في سعادة وبهم، لأنه لم يبد بها أي شيء موجه ضدي
بأحرف كبيرة، لأنه بالصدفة وحدها كان صدغاي ينبضان بهدوء؛ لأنني
كنت خفيف القلب إلى حد يكفي لأن أتخيلك راسخة في عمق غابة
بحيرة أو جبال - لكل هذه الأسباب ولأسباب قلائل أخرى فوقها حتى،
ليس لأي منها أدنى علاقة برسالتك ووضعك الحقيقي، بدت رسالتك لي
بائعة على البهجة - ونتيجة لذلك رددت عليها بحماسة.

الإثنين

ترين يا ميلينا، إلى أي حد يفتقر المرء إلى التحكم في نفسه، إلى أي
حد يتطوح ذهاباً وجيئة في بحر - بدافع من الحقد وحده - لا يبتلع المرء
في جوفه.

طلبت منك أخيراً ألا تكتبي إليَّ يومياً، وكنت مخلصاً في طلبتي، كنت
خائفاً من الرسائل، وعندما لم تصلني أحياناً أية رسالة كنت أكثر هدوءاً،
وعندما رأيت رسالة ملقاة فوق المائدة كان عليَّ أن أستجمع كل قواي
لكلني لم أجد قواي في متناولي بما يسعفني - واليوم كان مقدراً لي أن

أكون تعسًا لو أن هذه البطاقات (لقد فزت بكليهما) لم تكن قد وصلتني. شكرًا.

من بين الكتابات التعميمية التي قرأتها حتى الآن عن روسيا، أحدثت المقالة المرفقة بهذه الرسالة أشد التأثيرات عليّ أو على وجه أكثر تحديدًا، أحدثت أشد التأثيرات على جسدي، على أعصابي، على دمي. حقًا، لم أكن قد أخذتها تمامًا كما كتبت؛ لكنني كنت قبل كل شيء قد قمت بتنويعها وفقًا للأوركسترا الخاصة بي (قطعت نهاية المقالة، فهي تحتوي على اتهامات ضد الشيوعيين، وهذه النهاية، لا تتفق مع هذا السياق، والمقالة على كل حال هي مجرد شذرة فحسب).

الخميس

رسائلك في يوم الأحد والإثنين، وبطاقة قد وصلت. أرجوك أن تحكمي على الموقف حكمًا صحيحًا يا ميلينا. إنني أجلس هنا في عزلة زائدة، على مسافة بالغة البعد، وإن كنت أجلس في سلام وتمر عبر رأسي أشياء كثيرة - الخوف، عدم الارتياح، وهكذا فأنا أكتبهما وإن كانا لا يفيدان الكثير من المعنى، وأنا عندما أتحدث إليك أنسى كل شيء حتى أنت، وعندما تصلني مثل هاتين الرسالتين، أصبح مرة أخرى فحسب على وعي بالكل.

شيء واحد من بين هواجسك بخصوص الشتاء لا أفهمه بالمرة. فلو أن زوجك مريض إلى هذا الحد، أو يعاني حتى من مرضين، ولو أن الحال

يمثل خطرًا، فهو عندئذٍ بالتأكيد لا يمكنه أن يذهب إلى مقر عمله، ولا يمكن بالطبع أن يفصل بصفته موظفًا معينًا على وظيفة دائمة؛ وبسبب من مرضه فسوف يكون عليه أيضًا أن يرتب حياته على نحو مختلف. وبهذه الطريقة سيتم تبسيط كل شيء ليصبح أسهل خارجيًا على الأقل، والمحزن أن يكون الحال كله خلافًا لذلك.

إلا أن واحدًا من أكثر الأشياء التي تفتقر تمامًا إلى المعنى في هذه الدنيا الواسعة، إنما هو تناول الجاد لمشكلة الذنب، على الأقل هكذا يبدو لي. فليس فقط التلفظ بعبارات اللوم هي التي تبدو لي بلا معنى، ولا شك في أنه عندما يلزم بالمرء كرب ما، فإنه يلقي بالملامات في كل الاتجاهات (مع أنه بالطبع لا يفعل ذلك عندما تلم به أشد حالات الكرب هوًا، فهو لا يتلفظ عندها بأي لوم)، أيضًا من المفهوم أن المرء يتشبث بمثل هذا الملام في وقت الهياج والاضطراب، لكن أن يكون على المرء أن يعتبر أنه من الممكن أن يتناقش بشأنها كما يسعه أن يناقش أية مسألة رياضية عادية من المسائل التي تبدو بالغة الوضوح حتى لتسفر عن نتائج يتم استخدامها في السلوك اليومي، فهذا ما لا أفهمه على الإطلاق. بالطبع يقع عليك اللوم، وبعد ذلك يقع اللوم أيضًا على زوجك، ثم بعد ذلك عليك مرة أخرى، وبعدها يقع عليه ثانية، بما أنه لا يمكن أن يكون الحال خلافًا لهذه الصورة في الحياة المشتركة للكائنات البشرية، ويتكوّم الملام في تتابع لا ينتهي حتى يبلغ الخطيئة الأصلية الرمادية؛ لكن أية فائدة يمكن أن يقدمها لي في يومي الحالي أو في الزيارة للطبيب في (إشل) كي ينبش في الخطيئة الأزلية؟

وطوال الوقت يتساقط المطر في الخارج، ولا يبدو قط أنه سوف يتوقف. ولا يزعجني المطر على الإطلاق لوجود سقف يحميني، لكن ما يربكني فقط هو أن أكل (إفطار الشوكة)^(١) أمام نقاش المنزل الذي يقف في هذه اللحظة فوق السقالة أمام نوافذي، وفي هياجه بسبب المطر الذي لا يتوقف إلا وقتياً عن الهطول وبسبب كمية الزبد التي أضعها فوق خبزي بطرطش الطلاء فوق النوافذ بلا انقطاع (وهو ما قد يكون أيضاً تخيلي أنا، بما أن انشغاله بي يقل بلا شك عن انشغالي به مائة مرة). لا، إنه الآن حقاً منهمك في صب المطر والرعد.

سمعت أخيراً بعضاً من الأخبار الجديدة عن (فايس)، وأنه ليس مريضاً، ربما، لكنه بلا نقود. وأياً كان الأمر، فقد كان حاله هكذا في الصيف. كتبت إليه في (الغابة السوداء) بالبريد المسجل منذ ثلاثة أسابيع ولم يرد، إنه الآن بالقرب من «بحر ستارنبرجر» بصحبة صديقه الي تكتب بطاقات مكتتبه جادة (هذه هي طبيعتها) إلى (باوم)^(٢) قبل أن تغادر براغ (حيث حققت نجاحاً بالغاً على المسرح). منذ حوالي شهر، كان لي حديث قصير معها. كانت تبدو في مظهر رث، وهي عموماً ضعيفة ورقيقة، لكنها تتصف بالصمود، وكانت منهكة القوى نتيجة للجهد الذي أنفقته في التمثيل.

تحدثت عن (فايس) تقريباً كما يلي: «إنه في هذه اللحظة في الغابة السوداء، وهو لا يشعر بالراحة هناك، لكننا الآن سنكون معاً، عند (بحر ستارنبرجر) وستكون الأمور أفضل».

(١) كان معتاداً في النمسا القديمة على أنه إفطار ثانٍ بما أن الإفطار الأول لا يعد وجبه تامة.

(٢) كاتب براغ الأعمى (أوسكار باوم)، وهو صديق قديم لكافكا.

الأحد

هل ما أردت أن تكتبه لي هو الموضوع الرئيسي لهذه الرسالة يا ميلينا، أو أنه في نهاية الأمر هو الثقة الضمنية؟ لقد كتبت بالفعل عنه مرة من قبل، وكان ذلك في إحدى الرسائل الأخيرة إليّ في ميران التي لن أعد قادرًا على الرد عليها.

كان على روبنسون كما ترين أن يوقع بالموافقة، وأن يقوم بالرحلة الخطرة، وكان عليه أن يعاني لتحطم سفينته ولأشياء كثيرة أخرى - وليس أمامي فقط سوى أن أفقدك وسأكون عندها روبنسون بالفعل، إلا أنني سأكون روبنسون أكثر منه؛ ذلك أنه ما تزال لديه الجزيرة ويوم الجمعة وأشياء كثيرة وأخيرًا السفينة التي حملته منها وكادت أن تحيل كل شيء مرة أخرى إلى حلم - ولن يكون لي أنا شيء من هذا، ولن يكون لي اسم حتى، فهذا أيضًا أعطيته لك.

وهذا هو السبب في أنني بمعنى ما، مستقل عنك، فقط لأن الاستقلالية قد بلغت ما وراء كل الحدود. إن خيار (إما/أو) خيار رهيب للغاية، فإما أنك لي وسيكون الخيار خيرًا في هذه الحالة، أو أفقدك، وهي الحالة التي تكون فحسب سيئة، بل تكون لا شيء. في تلك الحالة لن توجد غير ولا معاناة ولا قلق - لا شيء، وبلا شك ثمة ما يتصف بالتجديف والجحود في بناء كل هذا الصرح الهائل بلا حد على أساس شخص واحد، وهذا أيضًا هو السبب في أن الخوف يزحف حول الأساسات. ومع ذلك فليس ذلك كله هو الخوف بخصوصك بقدر ما هو الخوف بخصوص الجرأة على أن يقوم المرء بالبناء على هذا النحو أصلاً. وهذا هو السبب في أنه للدفاع

عن النفس (ولعله أن يكون دائماً على هذا النحو، يختلط الكثير جداً من الصفات القدسية مع الصفات البشرية في ملامح وجهك العزيز).

والآن، على هذا كان شمشون قد أخبر دليلاً بسرّه، وكان في وسعها أن تقص شعره الذي كان دائماً ما تجعده سلفاً. لكن لتفعل! فما دام أنها ليس لديها سر مماثل، فلا شيء يهم بعد ذلك.

على امتداد ثلاث ليال كنت أنام نوماً سيئاً جداً بلا أي سبب واضح. أمل أن تكوني في خير حال؟

رد سريع لو أمكن أن يعد رداً. وصلت البرقية لتوها. جاءت على نحو مفاجئ للغاية (ومفتوحة أيضاً) حتى أنني لم أجد وقتاً لأتخذ أهيتي. هي بالفعل ما أريده اليوم بالضبط، فكيف عرفت؟ إنها الطريقة الطبيعية التي يرد بها من عندك ما هو ضروري دائماً.

الثلاثاء

سوء فهم - لا، إنه أسوأ من مجرد سوء فهم، بكل معنى الكلمة، يا ميلينا - وإن كنت بالطبع تفهمين السطح فهماً صحيحاً - لكن ماذا هناك لكي يفهم أو لا يفهم؟

إنه سوء فهم يظل قادراً على التكرار، فقد حدث بالفعل مرة، مرتين في ميران. لم أكن في النهاية أطلب منك النصيحة، وهو ما قد أطلبه من الرجل الجالس على المكتب المقابل لمكتبي. لقد كنت أتحدث إلى نفسي، أسأل نفسي النصيحة، في سبات عميق، وأيقظتني أنت.

لا أدري ما إذا كنت قد فهمت ملاحظتي عن المقالة التي تدور حول البلشفية. وما اعترض الكاتب عليه هو بالنسبة لي أعلى تقرير ممكن على وجه الأرض. لو كان لي الخيار في الليلة الأخيرة (كانت الساعة الثامنة مساءً، عندما نظرت من الشارع إلى حجرة المأدبة في «قاعة المدينة» اليهودية، حيث كان يقيم أكثر كثيرًا من مائة من اليهود المهاجرين الروس - كانوا ينتظرون تأشيرات سفرهم الأمريكية - كانت الحجرة مكتظة بهم كما تبدو في أثناء أحد الاجتماعات العامة؛ وبعد ذلك في الساعة الثانية عشرة والنصف رأيتهم جميعًا نيامًا هناك، الواحد تلو الآخر، كانوا ينامون حتى وهم فوق المقاعد، وهناك كان شخص ما يسعل، أو يتقلب على جانبه الآخر، أو يتلمس طريقه بحرص خلال الصفوف، وظل النور الكهربائي مضاء طوال الليل) - فلو كان لي الخيار لأن أكون كما أردت، لكنت قد اخترت أن أكون صبيًا يهوديًا شرقيًا صغيرًا في ركن الحجرة، وبلا أثر للانشغال كان الأب في الوسط يتناقش مع رجال آخرين، والأم ملتفة في لفافات ثقيلة تمد يدها باحثة في جوف بقعة السفر، والأخت تثرثر مع البنات وهي تهرش في شعرها الجميل - وفي غضون أسابيع قليلة سوف يكون المرء في أمريكا. لم يكن الأمر بهذه البساطة بالطبع، فلقد كانت توجد بينهم حالات دوستاريا، وكان هناك ناس في الشارع، يهتفون بتهديدات خلال النوافذ، وكانت هناك مشاجرات حتى بين اليهود أنفسهم، فلقد هاجم اثنان بالفعل أحدهما الآخر بالسكاكين. لكن لو كان المرء صغيرًا، لو كان المرء يملك الإدراك ويحكم على كل شيء بسرعة، فما الذي كان ليحدث للمرء؟ وكان هناك الكفاية من الصبية كهذا الصبي

يهربون جرياً في أنحاء القاعة يتسلقون الحشيات، ويزحفون تحت المقاعد في انتظار الخبز الذي كان شخص ما - هم شعب واحد - يقوم بتوزيعه مع شيء ما. كل شيء يصلح للأكل.

الثلاثاء

وصلت اليوم رسالتان، والبطاقة البريدية المصورة. فضضتها في تردد. إما أنك طيبة إلى حد يفوق التصور أو إنك تجيدين التحكم في نفسك بدرجة تفوق التصور، ويشير كل شيء إلى الاحتمال الأول، وتشير أشياء عديدة أيضاً إلى الثاني.

أكرر: لقد كنت محقة كل الحق. وإذا كنت قد - وإنه لمستحيل - أوقعت بي شيئاً متهوراً بالمثل، محجوباً مدى النظر، سخيلاً في طفولية، مغروراً، ومفتقراً حتى إلى التفكير كالذي أوقعته بك بالتحدث إلى ف. لكنك قد جانبت صوابي، وليس فقط في لحظة إرسال البرقية^(١).

قرأت البرقية فقط مرتين، مرة سطحياً بعد أن تسلمتها، ثم بعد ذلك بأيام قبل أن أمزقها.

من الصعب أن أصف القراءة الأولى. أشياء كثيرة جداً تدافعت نحوي في الحال. كانت هذه هي الصفحة.

(١) كان كافكا قد ساوم بالنيابة عن ميلينا في صفقة مالية حرجة، ولقد أدى هذه المهمة السرية فيما يبدو ببراعة فائقة ولباقة - ليس إرضاء لميلينا مع ذلك، وتأنيب ضميره له وإحساسه بالذنب لا يمكن أن يقوم على أساس الصفقة نفسها.

لا، لا يمكنني اليوم أن أكتب عن هذه القراءة بالتفصيل، ليس لأنني متعب خاصة، بل بالأحرى، لأنني «أشعر بالثقل» إن الـ «لا شيء» الذي كتبت عنه قد أطلق عليّ أنفاسه.

إن الأمر كله سيكون مبهمًا لو ظننت أنني قد فعلت ما فعلت أعلاه مذبذبًا، عندئذ كان يجب أن أعاقب بالضرب لسبب يستوجب عقابي. لا، إننا مذبذبان كلانا- كما أننا كلينا لسنا بمذببين.

ربما، بعد التغلب على كل المقاومة التي لها ما يبررها، ستكونين قادرة على أن تصالحي نفسك في النهاية مع رسالة (ف) التي ستجدينها في فيينا. ذهبت في ظهيرة اليوم الذي وصلتنني فيه البرقية لأسأل عنها في منزل والدك. في أسفل البرقية كان قد كتب (أ. شودي) وكنت دائمًا قد اعتقدت أن هذا هو الطابق الأول، فكان أن وجدته الآن في أعلى المنزل تمامًا.

فتحت الباب خادمة صغيرة جميلة ومرحة، وكما توقعت لم تكن (ف) موجودة ولكنني كنت قد جئت فقط لكي أجد لنفسي شيئًا أفعله؛ بالإضافة إلى أن أعرف متى ستصل في الصباح. وفي الصباح التالي انتظرتها أمام المنزل- أعجبت بها- ذكية، عملية، صريحة. لم أقل أكثر من أنني قد أخبرتك في برقيتي.

(في هامش أيسر) هوأجسك عن والدك، يمكنني جزئيًا أن أبدها في المرة القادمة.

قبل ثلاثة أيام جاءت يارميللا لتراني في مقر عملي، لم تكن قد حصلت على أية أخبار منك لمدة طويلة، ولم تكن قد عرفت شيئًا عن الفيزيانات، وجاءت لتستفسر عنك. وانتهى ذلك على ما يرام. مكثت وقتًا

قصيراً فقط. ونسيت أن أنقل إليها رجاءك بخصوص كتاباتك، وكتبت لها بضعة أسطر قليلة عن ذلك فيما بعد.

لم أقرأ الرسائل بعد بعناية، وعندما أفعل، سأكتب لك ثانية.
والآن وصلت البرقية أيضاً. حقاً، حقاً؟ ولم تعودى تندفعين إلى مهاجمتي بالهجاء؟

لا، لا يمكنك أن تكونى سعيدة بذلك. هذا مستحيل، إنها برقية هذه اللحظة، مثل البرقية التي سبقتها، والحقيقة لا هي هنا، ولا هي في البرقية التي سبقتها. أحياناً عندما يستيقظ المرء في الصباح يعتقد أن الصدق موجود بالقرب من الفراش - ولكي أكون أكثر دقة أقول إن قبراً فوقه بضع زهور ذابلة؛ مفتوح، وجاهز لكي يستقبل المرء.

لا أكاد أجروء على قراءة الرسائل. يمكنني أن أقرأها فقط خطفاً، لا يمكنني أن أتحمل الألم الذي تسببه لي قراءتها.

ميلينا - ومرة أخرى أفرق لك شعرك، وأرتبه إلى جانب - هل أنا حقاً، ذلك المخلوق الشرير، شرير تجاه نفسي، وبالتحديد شرير بالمثل تجاهك. أو أنه لن يكون أكثر صحة أن أقول إن الشر إنما يكمن خلفي، يدفعني إلى الأمام؟ لكنني لا أجروء حتى على أن أقول إنه يبدو لي كذلك عندما أكون منهمكاً في الكتابة إليك، ويكون هذا هو ما أقوله.

وإلا فإنه كما قد كتبت تماماً في الحقيقة. عندما أكتب إليك لا تكون هناك مسألة تتعلق بالنوم سواء قبل الكتابة أو بعدها؛ وعندما لا أكون مشغولاً بالكتابة إليك فإنني أنام على الأقل نوماً سطحياً للغاية، متقطعاً

لساعة أو ساعتين في كل مرة. وعندما لا أكتب، أكون متعباً فحسب، حزيناً وثقيلًا؛ وعندما أكتب فإنني أتمزق إربًا بفعل القلق والخوف.

يبدو كما لو أننا كلينا يطلب أحدا من الآخر أن يرثي له؛ أطلب أنا منك ذلك، فربما يتاح لي الآن أن أخبئ نفسي، وتطلبين أنت مني - إلا أن حقيقة إمكان ذلك هي أكثر المفارقات إثارة للربح.

تسألين، لكن كيف يكون ذلك ممكنًا؟ ما الذي أريده أنا، وما الذي أفعله؟

إن المسألة تقريباً على هذا النحو: أنا، حيوان من الغابة، كنت في ذلك الوقت أكاد أتواجد في الغابة، أستلقي هناك في مكان ما في حفرة قدرة (قدرة فقط نتيجة لوجودي بداخلها بالطبع). ثم رأيتك في خارج الحفرة، في الخلاء - أكثر شيء إثارة للدهشة رأيته على الإطلاق. نسيت كل شيء تماماً، نسيت نفسي، نهضت من مكان، اقتربت - ومع خوفي وسط هذه الحرية الجديدة المألوفة مع ذلك - اقتربت على الرغم من ذلك، حتى بلغت مكانك؛ وكنت أنت بالغة الطيبة، فربضت على ركبتيّ محنيًا إلى جوارك، كما لو كان ذلك من حقي، ودسست وجهي في يدك، كنت سعيدًا غاية السعادة، ومختلاً جداً، وحرًا من كل القيود، وهائل القوة، ومؤنسًا آمنًا - أكثر فأكثر ثانية هذا: آمنًا مستأنسًا - لكنني أساسًا كنت ما أزال حيواناً فحسب، كنت أنتمي ما زلت فقط إلى الغابة، عشت هنا في الخلاء فقط بفضلك، وقرأت دون أن أدرك ذلك، (ذلك أنني في نهاية الأمر، كنت قد نسيت كل شيء)، قدرتي في عينيك. لم يكن يمكن لهذا أن يستمر، ومع أنك قد ربت عليّ بأرق الأيدي، فقد كان عليك أن تدري ما في ذلك

من غرابة كانت توحى بالغابة، من حيث قفزت خارجًا، وإلى حيث كنت أنتمي حقًا. ثم جاءت المناقشات المحتومة حول (الخوف)، تكرر نفسها على نحو لا مفر منه، فعذبتني (وعذبتك، ولكنها عذبتك ببراءتك) حتى بلغت الدرجة التي لمست معها العصب العاري. واتضح لي أكثر فأكثر إلى أي حد كنت أنا طاعونًا ملوثًا، وإلى أي مدى كنت عقبة في طريقك، أعوقك في كل مكان- وأستند إلى سوء التفاهم ذلك مع ماكس، وكان واضحًا بالفعل في جموند؛ ثم جاء فهم وسوء فهم يارميللا؛ ثم في النهاية ذلك التعامل الغبي، الأخرق، الذي تكفل به الإهمال مع (ف.)، والكثير من أشكال سوء الفهم الصغيرة الأخرى بين هذا كله. تذكرت من أنا، لم أعد أرى أي خداع في عينيك، وعانيت الرعب الحالم (للسلوك كما لو كان المرء أليفًا على سجيته في مكان لا ينتمي المرء إليه). هذا الرعب عشت تجربته الواقعية، وكان عليّ أن أعود إلى الظلام، لم يكن في مقدوري أن أحتمل الشمس، كنت قانطًا، حقيقة كحيوان ضال. شرعت في الانطلاق جريًا بأسرع ما أمكنتني، ودائمًا كانت الفكرة هي: «لو أمكنتني فحسب أن أخذها معي!» والفكرة المضادة: «هل ثمة أي ظلام حيث تكون هي؟».

تتساءلين كيف أعيش؛ هذه هي كيفية حياتي.

الرسالة الأولى كانت قد أرسلت بالفعل عندما وصلت رسالتك، وبصرف النظر عن أي شيء قد يتواجد في أسفل - تحت أشياء من قبيل «الخوف» وما إليها- وهي الأشياء التي تصيبني بالغثيان، لا لأنها مقرزة، بل لأن معدتي بالغة الضعف.

وبصرف النظر عن هذا فقد تكون المسألة أسهل حتى مما تقولين.

على هذا النحو مثلاً: إن النقص في حال الوحدة ينبغي أن يتم تحمله خلال كل لحظة، حتى حين يكون النقص الذي يشارك فيه اثنان لا يُطاق. أفليس للإنسان عينان لكي يخلعهما، وله قلب لنفس الغرض؟ على أن المسألة ليست سيئة، إنها مبالغة كلها، وكذبة؛ كل شيء هو مبالغة، فقط التوق هو الحقيقي، فهذا لا يمكن أن تحدث له مبالغة. لكن حتى حقيقة التوق ليست هي صدقه، بل هي بالأحرى تعبير عن الكذبة في كل شيء آخر.

قد يبدو هذا جنونياً لكنه هكذا.

كما أنه ربما لن يكون هو الحب في الحقيقة، عندما أقول إنك الأحب إليّ، إن الحب بالنسبة لي هو أنك السكين التي أديرها مغروسة في داخلي. وعلاوة على ذلك، فأنت نفسك تقولينها: «(الناس) الذين لم يؤتوا القوة على أن يحبوا؛ ألا ينبغي أن يكون هذا تمييزاً كافياً بين «حيوان» وبين «كائن بشري؟».

لا يمكنك أن تفهمي حق الفهم يا ميلينا، ما هي حقيقة الأمر كله، أو أن تفهمي جزئياً ما هو مداره. إنني حتى أنا نفسي لا أفهمه، إنني ارتعش فحسب تحت وطأة الهجوم، أعذب نفسي إلى درجة الجنون، لكن ما هو، أو ما الذي يريده في المدى البعيد، فهذا ما لا أعرفه. كل ما يتطلع إليه فقط في هذه اللحظة هو السكون، الظلام، الزحف إلى مكان للاختباء، أعرف هذا ولا بد لي من أن أطيع، لا يمكنني أن أفعل سوى ذلك.

إنه اندلاع، وهو يأخذ مجراه، ولقد قطع جزءاً من شوطه، إلا أن الطاقات التي بعثته إنما ترتعش في داخلي طوال الوقت، قبل الاندلاع وبعده - في الحقيقة - حياتي، وجودي، إنما يتألف من هذا التهديد السفلي،

فلو توقف هذا التهديد لتوقف أيضًا وجودي. إنه طريقتي في المشاركة في الحياة؛ فلو توقف هذا التهديد، أهجر الحياة، بمثل سهولة وطبيعة إغلاق المرء لعينيه. وهل لم يكن موجودًا منذ أن عرف أحدنا الآخر، وهل كنت لتتطلي إليّ حتى ولو خلصة لو لم يكن هذا التهديد موجودًا؟

بالطبع لا يمكن للمرء أن يدير الموضوع إلى هذه الوجهة ويقول:
والآن لقد مر هذا التهديد ولم أعد إلا هادئًا وسعيدًا وممتنًا في حالة وجودنا كلينا معًا الجديدة. لا يجروء المرء على أن يقولها على الرغم من أنها تكاد تكون صادقة (الامتنان صادق كلية - أما السعادة فهي حقة بمعنى ما - إلا الهدوء فلا صحة لوجوده مطلقًا) ذلك أنني سوف أكون مرتعبًا من نفسي قبل كل شيء.

تذكرين الخطبة وأشياء مماثلة كانت بالطبع بسيطة للغاية، لكن لم تكن المعاناة بسيطة، بل كان البسيط هو أثرها. ويبدو كما لو أن المرء قد عاش دائمًا حياته منهمكًا في الشهوات، وأن المرء الآن قد تم اقتناصه، وعقابًا له على كل ما اقترفت يده من عريضة وضعت رأسه بين ذراعي منجلة أحدهما ينضغط على صدغه الأيمن، وينضغط الآخر في الصدغ الأيسر، والآن بينما تنضغط المسامير اللولبية ببطء يكون للمرء أن يقول: «نعم، سوف أواصل حياتي المعرّبة» أو «لا، سوف ألقع عنها». وبالطبع يجأر المرء بـ «لا» حتى تنفجر رثاه.

أنت أيضًا على حق في وضع ما فعلته للتو على خط واحد مع الأشياء القديمة، ويمكنني بعد كل شيء أن أبقى فقط كما أنا، وأن أمر بنفس التجارب. والاختلاف الوحيد هو أنني قد حصلت بالفعل على بعض

التجارب، حتى أنني في هذه الأيام لا أنتظر لكي أصرخ، إلى أن تدور المسامير اللولبية لتصل إلى حد إكراهي على الاعترافات، بل أبدأ بالفعل في الصراخ لمجرد إحضارها، أصرخ في الحقيقة عندما يتحرك شيء ما على البعد؛ وبهذا أصبح وعيي منتبهاً زائد التيقظ - لا، ليس زائد الانتباه، بل هو لم يصبح بعد منتبهاً بما يكفي إلى حد بعيد.

إلا أن هناك فرقاً آخر ما يزال لك وليس لأي شخص آخر يمكن للمرء أن يقول الحقيقة خالصة من أجل خاطر هذا الشخص نفسه، ومن أجل خاطرك؛ وفي الحقيقة فمن خلالك يمكن للمرء بالفعل أن يكتشف حقيقته هو نفسه.

لكن عندما تتحدثين بمرارة يا ميلينا، عن طلبي منك بكل هذا الإلحاح ألا تتركيني، فلست في حديثك هذا على حق. لم أكن مختلفاً، في هذا الخصوص عندئذ، عما أنا عليه الآن. كنت أحيًا من نظراتك (لا يعد تأليهاً خاصاً لشخصك، فبنظرة كتلك يمكن لكل شخص أن يصبح سماوياً)، لم تكن لي أرضية حقيقية تحتي، وكان هذا هو ما كنت أخافه دون أن أدركه في وضوح، لم أكن حتى على وعي بالمدى الذي بلغته في طفوي فوق سطح أرضيتي. لم يكن هذا حسناً، لا بمفهومي ولا بمفهومي. كلمة صدق محتوم واحدة كانت كافية، وجذبتني بالفعل خطوة واحدة إلى أسفل، كلمة واحدة أخرى، بخطوة واحدة أخرى - حتى لم يعد هناك في النهاية أي توقف وغاص المرء في أسفل، وانتابه الشعور بأن حركته إلى أسفل بطيئة ما تزال. إنني لا أقتبس عن قصد أية أمثلة لـ «كلمات الصدق» تلك، لأن هذا لا يؤدي إلا إلى التشوش، ولأنه ليس صحيحاً تماماً.

أرجوك يا ميلينا، اخترعي لي إمكانية أخرى لكي أكتب إليك اليوم. فأن أرسل لك بطاقات تمتلئ بالأكاذيب لهو أمر بالغ السخف، كما أنني لا أعرف دائمًا أية كتب يفترض أن أرسلها لك؛ وأخيرًا فكرة أنك قد تذهبين ذات مرة إلى مكتب البريد بلا طائل هي فكرة لا تحتمل، فأرجوك اخترعي إمكانية أخرى.

مساء الإثنين

وهكذا فسوف تذهبين الأربعاء إلى مكتب البريد، ولن تكون هناك أية رسالة في انتظارك - آه، نعم، رسالة السبت. لم أتمكن من الكتابة في مقر عملي لكنني كنت قد انتويت أن أعمل، ولم أتمكن من أن أعمل لأنني كنت أفكر في علاقتنا معًا. ولم أتمكن في فترة ما بعد الظهر من مغادرة الفراش، ليس لأنني كنت شديد التعب، بل لأنني كنت (ثقیلاً) ثقلاً بالغاً - مرة بعد أخرى هذه الكلمة، إنها الكلمة الوحيدة التي تناسبني، فهل تفهمين هذا أصلاً؟ إنه شيء شبيه بـ «ثقل» السفينة التي فقدت دفتها، والتي تقول للأمواج: «بالنسبة لنفسي أنا ثقيلة جداً، وبالنسبة لك أنا خفيفة للغاية» إلا أن الحالة ليست تمامًا كذلك أيضًا، ولا تستطيع المقارنات أن تعبر عنها.

لكن أساساً السبب في عدم كتابتي هو الشعور الغامض، هو أن لديّ الكثير جداً من الأشياء البالغة الأهمية إلى أقصى حد، كي أقولها لك، وأن أي قدر من الوقت الخالي لن يكون خاليًا بما يكفي لكي أَلْم شتات كل الجهد المطلوب لتحقيق ذلك، وهذه هي حقيقة الأمر.

وإذا كنت لا أستطيع أن أقول أي شيء عن الحاضر، فإلى أي مدى شاسع يبدو عجزى عن قول أي شيء عن المستقبل؟ لقد نهضت في الحقيقة الآن فحسب من «فراش المرض» («فراش مرض» منظور إليه من الخارج)، إنني ما زلت متشبهاً به، وأكثر ما أفضله هو أن أعود إليه، على الرغم من أنني أعلم ما الذي يعنيه هذا الفراش.

ما كتبته عن الناس، يا ميلينا- «الذين لم تعط لهم القوة على الحب»- كان صحيحاً، حتى وإن كنت وأنت تكتبينه لا تعتبرينه صحيحاً. ولعل موهبتهم للحب إنما تتألف فقط من القابلية لأن يكونوا محبوبين. وحتى في هذا يتواجد تميز في التأهيل لهذه القابلية عند هؤلاء الناس. فلو قال أحدهم لمحبوبته: «إنني أثق في أنك تحبينني»، فإن هذا يكون عندئذ شيئاً مختلفاً كل الاختلاف، وأقل كثيراً عن قوله: «أنا محبوب بواسطتك». هؤلاء بالطبع، ليسوا عشاقاً بل نَحْوِيُون.

أخشى أن تكوني قد أسأت فهم ملاحظتي عن «النقص في حالة اثنين». فبهذه الملاحظة لم أكن قد قصدت أن أقول أي شيء أكثر من: إنني أعيش في قذارتي، فهذا هو ما يشغلني. لكن أن أجرجرك إلى داخلها أيضاً، فهذا شيء مختلف تماماً- لا كمجرد إساءة إليك، فهذا جزء عرضي من ملاحظتي (ولا أعتقد أن إساءة ضد أي شخص آخر، بقدر ما يتعلق ذلك فقط بالآخر، يمكن أن تكدر نومي). وعلى هذا فهي ليست هكذا. إن الشيء المزعج هو شيء بعيد بالأحرى حيث إنني من خلالك أصبح أكثر وعياً بقذارتي على نحو زائد، و- فوق كل شيء- أنه من خلال وعيي يصبح الخلاص أكثر كثيراً في صعوبته بالنسبة لي- لا، بل أكثر كثيراً

في استحالته (وإنه لمستحيل على أية حال، لكن في هذه الحالة تتزايد الاستحالة). وينتج عن هذا عرق الخوف البارد فوق الجبهة؛ ولا محل لكون هذا نتيجة لأي خطأ ينسب السبب فيه إليك. لكنها كانت ملاحظة خاطئة ولقد ندمت ندمًا شديدًا لأنني في رسالتي الأخيرة عقدت مقارنات مع أشياء أسبق. فها نَمَحُ هذا معًا.

وهكذا فأنت حقًا لست مريضة؟

بالتأكيد، يا ميلينا، أنت تمتلكين أملاكًا هنا في براغ، ولا أحد أيضًا يجادل في ذلك، ما لم يكن الليل هو الذي يحارب منازعًا لك فيها؛ لكن الليل يحارب منازعًا على كل شيء، وأية أملاك هذه مع ذلك! إنني لا أقلل من شأنها، فهي شيء ما؛ بل هي في الحقيقة عقارات بالغة الضخامة حتى ليتمكنها أن تحجب قمرًا تامةً هناك في أعلى، داخل حجرتك. ولن يخيفك الظلام البالغ؟ الظلام بدون دفء الظلام؟

وحتى يمكنك أن تري شيئًا من (انشغالاتي) أرفق بهذا رسمًا. فهذه أعمدة أربعة، خلال العمودين الأوسطين قد دُست قضبان شدت إليها يدا «المذنب»، وخلال العمودين الخارجيين دست قضبان من أجل القدمين. وبعد أن تم شد وثاق الرجل على هذا النحو يجري سحب القضبان ببطء إلى الخارج حتى يتم شق الرجل جزئين عند المنتصف. وأمام العمود يرتكن المخترع الذي أضفى على نفسه، وقد عقد يديه وساقيه، كبرياء زائدة مصطنعة. كما لو كان هذا كله هو اختراعه الأصيل، بينما هو قد قام فقط بنسخ صورة عن عمل الجزار الذي يمدد الخنزير المنتزعة أحشاؤه مشدودًا على واجهة حانوته.

السبب في سؤالي عما إذا كنت لن تشعرني بالخوف هو أن الشخص الذي تكتبين عنه لا يوجد، ولم يحدث أن وجد قط من قبل؛ فذلك الذي في فيينا لم يوجد؛ كما لم يوجد ذلك الذي في جموند، وإن كان الشخص الأخير قد زاد في انعدام وجوده، وأن اللعنة سوف تلاحقه، وأن تعلمي ذلك هو شيء مهم لأنه إن كان لنا أن نلتقي فإن الشخص الفييني أو حتى ذلك الشخص الذي من جموند سيعاود الظهور بكل البراءة، كما لو أن شيئاً لم يكن قد حدث، بينما الشخص الحقيقي في أسفل - ذلك الشخص المجهول للجميع ولنفسه والذي يقل وجوده حتى عن وجود الآخرين، لكنه في تظاهراته بالقوة أكثر حقيقة من كل الآخرين (فلماذا لا يخرج في النهاية عن غيابه ويعرض نفسه؟) سوف يرفع يده المتوعدة ليحطم بها كل شيء مرة أخرى.

نعم، ميتسي ك. كان هنا، وانقضى كل شيء تماماً على ما يرام. لكن لو كان ذلك ممكناً حتى، فإنني لن أكتب مزيداً عن الناس الآخرين، فلقد كان اختلاطهم في رسائلنا هو الذي سبب كل الاضطراب. وهذا ليس مع ذلك هو السبب الحقيقي الذي من أجله لم أعد أرغب في أن أكتب عنهم (فهم في النهاية، لم يقوموا بإحداث ضرر، بقدر ما مهدوا الطريق للحقيقة؛ ولما كان له أن يعقبها). لا أعني بهذا أن أعاقبهم - على فرض إمكانية أن يعد ذلك عقاباً لهم - بل يبدو لي فحسب أنهم لم يعودوا ينتمون إلى هنا. فهنا الظلام، شقة مظلمة، ليس فيها سوى أهلها، ولا يمكنهم سوى أن يجدوا طريقهم في أنحائها بصعوبة.

ما إذا كنت قد عرفت أنها سوف تمر؟ لقد عرفت أنها لن تمر.

عندما كنت وأنا طفل قد فعلت شيئاً سيئاً جداً، شيئاً ليس بالغ السوء بالمعنى العام، لكنه سيئ جداً بالمعنى الخاص عندي (وحقيقة أنه لم يكن سوءاً عاماً، لم يكن فضلاً يحسب لي؛ لكنه كان العمى أو السبات الذي اتصف به العالم) - عندئذ كنت أصاب بالدهشة الشديدة لأن كل شيء قد واصل سيره في طريقه بلا تغيير، وأن الكبار، وإن كانوا قد بدوا عابسين قليلاً، إلا أنهم قد واصلوا سيرهم حولي بلا تغيير، وأن أفواههم التي كنت قد أعجبت بها هادئة ومغلقة طبيعياً من مكاني المنخفض منذ بواكير طفولتي الأولى، قد واصلت البقاء مغلقة. من كل هذا استنتجت، بعد مراقبتها لفترة، أنه لم يكن بمقدوري بعد هذا كله، أن أكون قد فعلت شيئاً سيئاً بأي معنى، وأن كوني قد خشيت عاقبة ما لم يكن سوى خطأ طفولي، وأنني على هذا كان يمكنني أن أبدأ من جديد من حيث أفلعت عن الفعل عند الصدمة الأولى.

وفيما بعد، تغيرت تدريجياً هذه الفكرة التي تتعلق بالعالم المحيط، فقد بدأت أعتقد في البداية أن الآخرين كانوا على وعي كامل تماماً بكل شيء، وأنهم بالفعل قد عبروا أيضاً عن رأيهم فيّ وضوح، وأنني فقط الذي لم أكن حتى ذلك الوقت قد امتلكت عيناً حادة بما يكفي لإدراك ذلك - وهو شيء قد حصلت عليه الآن بغاية السرية، لكن برودهم ثانياً، وحتى لو كان له أن يوجد، بدا لي، وإن كان باعثاً على الدهشة، إلا أنه لم يكن مع ذلك دليلاً على براءتي. حسناً، إذن فهم لم يلحظوا أي شيء؛ لا شيء في وجودي يدخل في عالمهم؛ كنت في عيونهم نقياً بلا عيب، طريقة حياتي، طريقي قد مرّ على هذا النحو خارج عالمهم، فلو كان هذا

الوجود مجرى مائياً، فلقد مرّ رافد قوي على الأقل عندئذ خارج عالمهم. لا يا ميلينا، أنوسل إليك مرة أخرى أن تخترعي إمكانية أخرى لكتابتي إليك. لا ينبغي لك أن تذهبي إلى مكتب البريد عبثاً، حتى ساعي بريدك الصغير - من هو؟ لا ينبغي له أن يفعل ذلك، ولا يجب حتى على رئيسة مكتب البريد أن يوجه إليها السؤال بلا ضرورة. فإذا كنت لا تجددين أية إمكانية أخرى، فعلى المرء إذن أن يتحمل ذلك، لكن على الأقل، ابذلي مجهوداً في العثور على إمكانية واحدة.

في الليلة الماضية حلمت بك، أما ما الذي حدث بالتفصيل فلا أكاد أذكره. كل ما أعرفه هو أننا ظللنا نندمج أحداً بالآخر؛ كنت أنا أنت، وكنت أنت أنا؛ وفي النهاية اشتعلت فيك النيران على نحو ما. ولأنني تذكرت أن شخصاً ما كان قد قام بإخماد النار بالملابس، أخذت معطفاً قديماً ورحت أضربك به، لكن تحولاتنا بدأت ثانية، ولقد قطعت في تغييرها شوطاً بعيداً حتى أنك لم يعد لك وجود؛ وبدلاً منك أصبحت أنا الذي فيه النيران، وكنت أنا أيضاً الذي رحت أضرب النيران بالمعطف لأطفئها، إلا أن ذلك لم يجد شيئاً، وكان هذا الضرب بالمعطف قد أكد خوفي القديم من أن مثل هذه الأشياء لا يمكنها أن تطفئ حريقاً. وفي تلك الأثناء، مع ذلك، وصل رجال الإطفاء، وتم إنقاذك على نحو ما. لكنك كنت مختلفة عن ذي قبل، أصبحت شبيهة كما لو كنت مرسومة بالطباشير على السواد، وتهاويت بلا حياة، أو ربما كنت قد سقطت مغشياً عليك في أحضاني فرحاً بنجاتك. لكن تدخل هنا أيضاً الشك الذي لازم قابلية التحول، فربما كنت أنا من سقط بين ذراعي آخر.

الآن فقط كان هنا (أ). هل تعرفينه؟ فلو فقط أمكن أن تتوقف الزيارات. كل شخص يتمتع بحيوية أبدية، وهو خالد في الواقع، ربما ليس في اتجاه الخلود الحق، لكن إلى أسفل نحو عمق أعماق الحياة الفورية المباشرة لكل منهم. إنني أخافهم خوفاً شديداً، وبسبب الخوف أحب أن أتوقع مقدماً أية رغبة يرغبها الواحد منهم، وأن أقبل قدميه اعترافاً بالجميل! فقط لو انصرف بدون أية دعوة منه لرد الزيارة. وحدي تماماً ما زلت حيّاً، لكن ما إن يصل زائر فإنه يوشك بزيارته أن يقتلني لكي يكون قادراً على أن بيعني حيّاً بما لديه من طاقة، لكنه لا يمتلك مثل هذه الطاقة الزائدة، يوم الإثنين من المفروض أن أذهب لزيارته، وإن رأسي ليطن بهذا الافتراض.

لماذا يا ميلينا، تكتبين عن مستقبل مشترك لم يكن لنا قط في نهاية المطاف، أو أن هذا هو السبب في أنك تكتبين عنه؟ لقد حدث بالفعل ذات مساء في فيينا عندما تحدثنا عن هذا المستقبل باقتضاب أن تملكني الإحساس بأننا كنا نقوم بالبحث عن شخص ما عرفناه معرفة عميقة وافتقدناه كثيراً، وكنا لهذا نناديه بأعذب الأسماء إلا أننا لم نتلق أي رد؛ فكيف كان له أن يرد ما دام أنه لم يكن موجوداً هناك، ولا كان موجوداً في أي مكان آخر حولنا على بعد أميال؟

قليلة هي الأشياء المؤكدة، وأحدها هو أننا لن نعيش معاً مطلقاً، في نفس الشقة، جسداً لجسد، ونجلس إلى نفس المائدة، أبداً، ولا حتى في نفس المدينة. أوشكت أن أقول الآن بالذات إن هذا يبدو لي يقيناً كيقيني بأنني في صباح الغد لن أنهض من النوم (لقد رفعت نفسي بدون مساعدة!

في مثل تلك اللحظات أرى نفسي من زاوية رؤية تحتية، وكأنني تحت صليب ثقيل، مضغوط على بطني إلى أسفل، كان عليّ أن أعمل جاهداً قبل أن أتمكن حتى من أن أنحني عندما رفعت الجثّة التي فوقني نفسها قليلاً) ولن أذهب إلى عملي. هذا صحيح بالفعل، لن أنهض بالتأكيد، لكن لو جاوزت عملية النهوض الطاقة البشرية قليلاً فحسب، فإنني سأظل عندئذ أجهد نفسي في متابعة القيام بها، سأرفع نفسي هذه الزيادة القليلة فحسب فيما وراء الجهد البشري. لكن لا تأخذي هذا الكلام عن النهوض حرفياً إلى هذا الحد، فليس الأمر بكل هذا السوء؛ فعن أنني سأنهض غداً أمر على أية حال يفوق في تأكده أغلب الاحتمالات البعيدة الأخرى التي تحفل بها حياتنا مجتمعة.

ولا تظني أيضاً يا ميلينا عكس ذلك عندما تتفحصين نفسك وتفتحصيني و«البحر» الذي بين «فينا» و«براغ» بأمواجه العالية التي لا تقهر.

أما بخصوص تلك القذارة، فلماذا لا ينبغي لي أن أمضي في عرضها، وهي ملكيتي الوحيدة (الملكية الوحيدة لكل الناس، فقط أنا لست على كل هذا الوعي بها)؟ بدافع من التواضع، ربما؟ حسناً، سيكون هذا هو الاعتراض الوحيد المبرر.

وعلى هذا ففكرة الموت ترهقك؟ إنني لا أخشى فقط، في رعب، سوى الآلام. إن هذه دلالة سيئة، فأن يريد المرء الموت ولا يريد الآلام لهي دلالة سيئة؛ لأنه خلافاً لهذا يمكن للمرء أن يغامر بالموت. لقد كان المرء قد أطلق إلى الخارج كحمامة الكتاب المقدس، فلم تجد أثراً

لخضرة فانزلت راجعة إلى ظلام الفلك.

لقد تلقيت النشرات المرسلة من المصحتين، وكنت قد عرفت أنهما لا يمكن أن تتضمنا أية مفاجآت، وأهم ما تضمنته كان عن النفقات على الأغلب، وعن مدى بعدهما عن فيينا، وفي هذا الخصوص فكلتا المصحتين تقريباً متساويتان وهما باهظتا النفقات للغاية، أكثر من (٤٠٠) ك. في اليوم، وربما (٥٠٠) ك.، وحتى هذه الأسعار عرضة للتغير. والمسافة حوالي ثلاث ساعات بالقطار من فيينا، ثم نصف الساعة بعد ذلك بالعربة، وبهذا تعد رحلة طويلة هي أيضاً. وبالمناسبة، تبدو مصحة (جريمينشتاين) مع ذلك أقل في أسعارها إلى حد طفيف، وبهذا يمكن أن يقع عليها الاختيار في حالة الضرورة؛ لكن فقط في حالة الضرورة.

ترين يا ميلينا، إلى أي حد لا أفكر فقط إلا في نفسي طوال الوقت - أو بالأحرى في الشريحة الضيقة المشتركة من الأرضية التي تعد طبقاً لشعوري وقصدي حاسمة بالنسبة لنا - وكيف أهمل كل شيء آخر حولي. إنني لم أشكرك بعد حتى عن «كمن» و«تريبونا»، وإن كنت مرة أخرى قد أنجزت ذلك على نحو جميل. سوف أرسل لك نسختي التي معي هنا على المائدة، لكن ربما كنت تريد أيضاً بعض التعليقات عليها، وفي هذه الحالة يتعين عليّ أن أعيد قراءتها ثانية وليس هذا سهلاً. إلى أي حد أستمتع بقراءة ترجماتك للكتابات الأجنبية! هل كان حديث تولستوي ترجمة عن الروسية؟

وعلى هذا فقد أصبت بالأنفلونزا؟ حسناً، على الأقل لا يمكنني أن ألوم نفسي على أنني قد استمتعت بوقت مرح هنا بنوع خاص (أحياناً لا

أفهم كيف اكتشفت الكائنات البشرية فكرة «الانشراح»، ربما كان قد تم تقديرها على أساس أنها نقيض للحزن).

كنت قد اقتنعت بأنك لن تعاودي الكتابة إليّ بعد ذلك، إلا أنني لم أكن مندهشًا ولا كنت حزينًا بهذا الخصوص. لم أكن حزينًا لأن ذلك بدا لي ضروريًا على نحو يتجاوز كل حزن؛ ولأنه في العالم كله ربما لا توجد أثقال ميزان تكفي لرفع ثقلي الضئيل البائس، ولم أكن مندهشًا؛ لأنني لم أكن لأدهش حتى في الماضي، لو كنت قد قلت: «لقد كنت حتى الآن مترفة بي، إلا أنني سأف عن ذلك الآن، وسأذهب بعيدًا». لا يوجد في العالم سوى أشياء تثير الدهشة، إلا أن هذا كان سيعد واحدًا من أقل الأشياء إثارة للدهشة؛ فكم يفوقه إثارة للدهشة، مثلاً، أن ينهض المرء من نومه كل صباح. كما أن هذه، علاوة على ذلك، ليست دهشة باعثة على الثقة بالنفس، بل هي بالأحرى فضول أحيانًا يثير الغثيان.

فهل لا تستحقين كلمة طيبة يا ميلينا؟ من الواضح أنني لا أستحق أن أقولها لك؛ وإلا لأمكنني أن أقولها.

هل سيرى أحدنا الآخر مبكرًا عما أظن؟ أنا أكتب (يرى)، وتكتبين (نعيش معًا) لكنني أعتقد (وأرى اعتقادي مؤكدًا، في كل مكان، وفي أشياء لا علاقة لها به، وأسمع كل الأشياء تؤيد اعتقادي هذا) بأننا سوف لا يكون لنا، ولن يكون في مقدورنا مطلقًا أن نعيش معًا، و(مبكرًا عن) بدلًا من (مطلقًا)، هي مرة أخرى (مطلقًا).

(جريمينشتاين) هي الأفضل في نهاية الأمر. إن الفرق في النفقات ربما كان حوالي (٥٠) ك. في اليوم، وعلاوة على ذلك، ففي المصحة

الأخرى على المرء أن يحضر معه كل شيء لعلاج الاستراحة (فروة لغطاء القدمين - وسادة - بطاطين، إلخ، ولا يوجد لدي شيء من هذا)، على حين أنه يمكن للمرء في مصحة (جريمينشتاين) أن يستعيرها. في مصحة (فينر فالد) على المرء أن يودع مبلغًا كأمين، لكن في (جريمينشتاين) ليس هذا مطلوبًا، علاوة على أن (جريمينشتاين) تقع على ارتفاع أعلى، وعلى أية حال فلست ذاهبًا إليها الآن؛ ومع ذلك فلقد أحسست بسوء حالتي واضحًا لمدة أسبوع (بعض الارتفاع في درجة الحرارة وتلك الصعوبة في التنفس، حتى أنني كنت أخشى أن أنهض من أمام المائدة، وأيضًا سعالًا زائدًا)، لكن يبدو أن هذا كان فقط نتيجة لمشوار طويل سيرًا على الأقدام تحدثت خلاله كثيرًا إلى أحد ما؛ وحالتي الآن قد أصبحت أفضل كثيرًا، حتى أن المصحة قد أصبحت مرة أخرى حاجة أقل إلحاحًا.

ولديّ النشرات الآن هنا: ففي (فينر فالد) أقل سعر لحجرة تطل على الجنوب، وبها شرفة هو (٣٨٠ ك.)، وفي (جريمينشتاين) تكلف أعلى غرفة (٣٦٠ ك.)، إن الفرق بالغ للغاية، وسعرهما كلاهما مرتفع بصورة مرعبة. كما أن احتمالات الاحتياج إلى الحقن يجب أن توضع في الاعتبار، فالحقن على حدة لها تكلفتها الإضافية. إنني أود الذهاب إلى الريف، وأفضل أكثر حتى أن أبقى في براغ، وأتعلم إحدى الحرف، وأقل من هذا كله رغبتني في الذهاب إلى مصحة. فما الذي سأفعله فيها؟ هل سيمسك بي كبير الأطباء بين ركبتيه و«يزغط» قطعة اللحم التي يضعها في فمي، بأصابعه التي تفوح بحمض الكربوليك حتى تنزل من حلقومي؟ الآن بالذات كنت مستلقيًا على الأريكة لمدة ساعتين، ولم أكد أفكر

خلالهما في شيء آخر سواك.

لا يبدو عليك أنك تدرकिन يا ميلينا، أننا نقف معًا جنبًا إلى جنب،
نرغب ذلك المخلوق فوق الأرض، الذي هو أنا، لكنني كمتفرج لا يكون
لي وجود عندئذ.

بالمناسبة، إن الخريف يتلاعب بي هو أيضًا، فأنا في أحيان أكون دافئًا
بطريقة باعثة على الريبة، ويريني كذلك إحساسي بالبرودة، إلا أنني لم
أكشف عن حقيقة هذا الأمر، فلن يكون هذا أمرًا سيئًا للغاية هو أيضًا. في
الحقيقة كنت حتى قد وضعت في الاعتبار المرور مباشرة عبر فيينا، لكن
فقط لأن الرئة هي بالفعل في حالة أسوأ مما كنت عليه خلال الصيف -
وهذا طبيعي للغاية في نهاية الأمر - والحديث في الشارع صعب بالنسبة
لي، وله نتائج غير سارة. فلو كان عليّ أن أغادر هذه الحجرة، لرغبت في
أن ألقى بنفسي بأسرع ما يمكن على المقعد القماش في (جريمينشتاين)
ومن ناحية أخرى، فلعل الرحلة في حد ذاتها أن تكون ذات نفع لي مثلها
مثل الهواء في فيينا الذي فاجأني ذات مرة عندما تنفست فيه نسمات هواء
الحياة الحقيقية.

قد تكون (فينرفالد) أقرب، لكن هناك ثمة فرقًا كبيرًا في المسافة،
والمصححة لا تقع في (ليبرزدورف)، بل تقع على مسافة أبعد منها، ومن
المحطة إلى المصححة مسافة أخرى تبعد نصف ساعة بالعربة. وعلى هذا
فلو كان لي أن أرحل من هذه المصححة إلى بادن بدون مصاعب - لأن ذلك
سيكون بالتأكيد مخالفًا للتعليمات - فسيكون في مقدوري بالمثل أن
أرحل أيضًا من (جريمينشتاين) إلى (فينر - نوشتات)، ولن يكون في هذا

فرق كبير لا بالنسبة لك ولا بالنسبة لي.

كيف حدث يا ميلينا؟ أنك ما زلت لا تحسین أي خوف أو نفور مني،
أو شيء من هذا القبيل؟ وإلى أي مدى تبلغ جدیتك وقوتك؟.

إنني أقرأ كتابًا صينيًا هو (قصص أشباح). وأذكره لأنه يهتم بصفة
خاصة بالموت. رجل يستلقي على فراش موته، وفي حالة الاستقلال
التي يتيحها له إشرافه على الموت، يقول: «لقد قضيت حياتي محاولاً أن
أحارب الشهوة وأن أضع نهاية لها». ثم يسخر تلميذ من مدرسه الذي لا
يتحدث عن شيء سوى الموت قائلاً له: «إنك تتحدث عن الموت طوال
الوقت، لكنك لا تموت حتى الآن»، ويرد عليه المدرس: «وسأمت مع
ذلك، لكنني أغني فقط أغنيتي الأخيرة؛ فأغنية رجل ما أطول، وأغنية غيره
أقصر. والفرق مع ذلك لن يكون مطلقاً أكثر من بضع كلمات قلائل».

هذا حق، ومن غير العدل أن يبتسم المرء وهو ينظر إلى البطل الذي
يستلقي فوق خشبة المسرح، يغني وهو يعاني جراحه المميتة لحناً من
الألحان. فنحن جميعاً نستلقي فوق الأرض ونغني لسنوات.

قرأت أيضاً «رجل المرأة»^(١)، فآية وفرة في الطاقة الحيوية! فقط
في أحد المواضع يتبدى المرض قليلاً، لكن تتزايد في كل موضع آخر
غزارتها الحيوية، وحتى المرض مفرط القوة. لقد قرأتها في نهم حتى
النهاية في ظهيرة واحدة.

(١) مسرحية لـ (فرائنس فيرفل).

ما هذا الذي يعذبك الآن «هناك»؟ لقد ظننت دائماً أنني كنت عاجزاً
حيال هذا في الماضي، لكنني إنما أعاني العجز الآن فحسب؛ وعلاوة على
ذلك، فأنت غالباً جداً ما تكوني مريضة.

مررت الآن على المدير، كان هو قد استدعاني. وكانت (أوتلا) قد
ذهبت لمقابلته ضد رغبتي في الأسبوع الماضي، وضد رغبتي فحسب
طبيب العمل حالتي، وضد رغبتي سوف أحصل على إجازة.

اصفحي عني يا ميلينا، فلقد كتبت لك باختصار زائد ربما، في الفترة
الأخيرة، بينما كنت ساخطاً عند حجز الغرفة بالمصحة (التي اتضح الآن
أن حجزها لم يتم)؛ وعلى الرغم من ذلك، فأنا أنوي الذهاب إلى (جر.)،
لكن ما تزال هناك بعض المعوقات الصغيرة التي كان من الممكن أن
يتغلب عليها قبل وقت طويل شخص يتمتع بقوة جسمانية متوسطة، إلا
أنني فحسب لم أستطع (وبالطبع من ذا الذي لا يود الذهاب إلى (جر.)).
وقد علمت للتو أيضاً، أنه خلافاً لتأكيدات المصحة، يلزمي تصريح إقامة
من السلطات التي ربما تسمح بها، لكن ليس قبل أن أرسل طلباً لذلك بلا
شك.

لقد قضيت فترة ما بعد الظهر كلها في الشوارع، أتلوى ملتقطاً
الطعم من سنارة اليهود؛ (رعاع أقذار) سمعت أحدهم ينعت بها اليهود
منذ بضعة أيام. أليس السلوك الطبيعي هو أن يغادر المرء المكان الذي
تبلغ الكراهية له فيه هذا الحد؟ (لهذا السبب، لا حاجة بنا إلى الصهيونية،
أو الشعور القومي). إن البطولة التي تتمثل في البقاء على الرغم من كل
هذه الكراهية، هي بطولة الصراصير التي يتعذر أيضاً إبادةها من الحمام.

الآن فحسب تطلعت خارج النافذة: البوليس المحلي على ظهور الخيل (الجندرماري) متأهب للهجوم بالسناكي، والحشد الصارخ يتبدد هاربًا، وفي النافذة هنا في أعلى العار الكريه للحياة طوال الوقت تحت الحماية.

كانت هذه الرسالة ملقاة هنا لبعض الوقت، إلا أنني لم أعقد العزم على إرسالها، كنت منغلقةً للغاية في داخل نفسي - أيضًا، يمكنني أن أفكر دائمًا في السبب الوحيد لعدم كتابتك لي.

لقد أرسلت الطلب فعلاً إلى السلطات، وعندما يتم قبوله فسوف تتم البقية (حجز الغرفة وجواز السفر) عاجلاً، ثم سأحضر بعد ذلك. تريد شقيقتي أن تذهب إلى فيينا، وربما تحضر في الحال، إنها تريد أن تقضي يوماً أو يومين في فيينا؛ لكي ترافق في رحلة قصيرة، طفلها الذي يبلغ الشهر الرابع من عمره الآن.

إيرنشتاين^(١) - حسناً، مما كتبه لك، يتضح أن له عيناً فاحصة أكثر مما ظننت. وعلى هذا الأساس أحب أن أعيد النظر في الانطباع الذي كنت قد كونته لنفسه، لكن ما دام أنني لا يمكنني أن أراه الآن فلن يكون ذلك بإمكانني. أحسست معه - وإن لم يكن ذلك قد استمر لأكثر من ربع الساعة - بالارتياح الزائد، ولم يكن هذا غريباً بالمرة، وإن لم يكن ذلك على مستوى أكثر ارتفاعاً في الوقت نفسه - لقد كان الارتياح، وعدم الإحساس بالغربة هو الإحساس الذي أحسسته عندما كنت تلميذاً تجاه الصبي الذي كان يجلس إلى جوارني. أحببت ذلك الصبي، لم يكن بإمكانني الاستغناء عنه،

(١) ألبرت إيرنشتاين، الشاعر الشيني.

كنا حليفين في اجتيازنا لكل أهوال المدرسة؛ وكان تصنعي معه أقل منه مع أي شخص آخر - فأية علاقة مثيرة للشجن كانت علاقتنا تلك أساسًا. لقد كان هذا هو نفس الشيء مع (إيرنشتاين)، لم أشعر معه بأي تبادل مشترك للقوة الداخلية. كان ما يعنيه جيدًا جدًا، وكان يتحدث جيدًا، ويبدل جهدًا هائلًا، لكن لو قدر لمثل هذا المتحدث أن يقف على ناصية كل شارع فلن يكون لهؤلاء المتحدثين على أي نحو، أن يجعلوا بمجيء «يوم الحساب»؛ لكنهم سيجعلون أيام الحاضر تستعصي أكثر مما هي عصية، على قدرتنا على احتمالها. هل تعرفين (تانيا)^(١)، تلك المحادثة بين القس الروسي وبين تانيا؟ إنها، دون أن يقصد لها أن تكون؛ مثال لهذا النوع من العون العاجز وتموت تانيا أمام أعيننا تحت وطأة عبء هذا الارتياح الهائل.

ربما يكون (إ.) في ذاته شخصًا شديد القوة، وما قرأه منذ عدة ليال، كان جميلًا جمالًا نادرًا، وإن يكن مرة أخرى باستثناء فقرات معينة في كتاب «كراوس»^(٢). وله كما قلت من قبل عين نافذة.

في الحقيقة، يكاد يكون (إ.) قد أصبح بدينًا على الأغلب، هو هو جسم على أية حال (وأيضًا جميل بصراحة؛ فكيف أخطأك أن تلاحظي ذلك!)، ويعرف عن النحاف من الناس، ما يزيد قليلًا على معرفته بكونهم نحاف البنية، وأصارحك القول بأن معرفته هذه تعد كافية بالنسبة لغالبيتهم؛ فهي كافية مثلًا، بالنسبة لي.

(١) دراما شاعر براغ (إرنست فايس).

(٢) كتيب إيرنشتاين، عن الكاتب الفييني الساخر «كارل كراوس».

لقد تأخرت المجلات، وسأذكر لك السبب في وقت آخر، إلا أنها في الطريق.

لا يا ميلينا، لا توجد إمكانية حياة مشتركة ظننا أننا كنا قد عشناها في فيينا، تحت أي ظرف، ولم يحدث أن وجدت تلك الحياة وقتذاك، كنت قد تطلعت «من وراء سوري»، كنت فحسب قد شببت نحو قمة السور متشبثاً بها بيديّ، ثم سقطت من عندها ثانية بيدين ممزقتين. هنا بالطبع إمكانات أخرى، إلا أنني لم أعرفها بعد.

أسعدتني بالجدول. إنني أدرسه وكأنني أدرس خريطة. هناك ثمة يقين إلا أنني واثق من أنني لن أحضر قبل أسبوعين، وربما بعدهما. عدة أشياء ما زالت تعوق انطلاقي في مقر عملي؛ والمصحة التي اعتادت الرد عليّ فوراً، قد صمتت الآن، ولم ترد على تساؤل عن التغذية النباتية، وعلاوة على ذلك فإن نهوضي للقيام بالرحلة يكاد يكون كنهوض أمة؛ طوال الوقت هنا وهناك يحتاج الأمر إلى شيء من الإرادة؛ وهذا الشخص وذاك ما يزال ينبغي تشجيعه، وفي النهاية يصبح كل شخص مستعداً لكنني لا أتمكن من الرحيل لأن طفلاً راح يبكي. وأكثر من ذلك، فإنني أكاد أخاف الرحلة؛ فمن ذا الذي سيحتملني مثلاً في فندق، عندما أنخرط في السعال مثل الليلة من العاشرة إلا الربع (لقد انقضت سنوات منذ أن تواجدت في الفراش في العاشرة إلا الربع) حتى حوالي الحادية عشرة بلا انقطاع، ثم أتهياً للنوم، وفي الثانية عشرة عندما أثقل من الجانب الأيمن إلى الجانب الأيسر، أبدأ في السعال ثانية وأستمر في السعال حتى الواحدة صباحاً؟ لا شك أنني لن أجرؤ على أن أرحل ثانية في قطار نوم، كما فعلت في العام

الماضي بلا صعوبات.

ليس الأمر تمامًا على هذا النحو يا ميلينا. إن من يكتب لك الآن، تعرفينه من ميران. كنا عند ذاك شخصًا واحدًا، لم يكن قد أصبح هناك ثمة سؤال عن معرفة أحدنا بالآخر، ثم انفصلنا بعد ذلك ثانية.

وأود أن أقول ما هو أكثر في هذا الشأن، غير أنه لا يمكنه أن يخرج من حلقي الجاف.

أن الأمر هو أيضًا على هذا النحو معي. غالبًا ما أفكر قائلًا لنفسي: يجب أن أخبرك بهذا، غير أنني لا أستطيع أن أخبرك بشيء في نهاية الأمر. ربما كان الباشجاويش (بيركنز) ولا يمكنني إلا عندما يترك يدي لدقيقة أن أكتب لك بسرعة كلمة في السر.

إن ترجمتك لهذه الفقرة بالذات تدل على تشابه في المزاج، نعم، إن التعذيب يهمني غاية الأهمية، إنني لا يشغلني شيء سوى أن أتعذب وأن أتسبب في عذاب الغير. لماذا؟ لنفس السبب الذي كان يدفع الباشجاويش بيركنز، ومثله أيضًا أفعل ذلك بلا تفكير، تلقائيًا وانسيًا مع العرف - أعني لكي أتعلم الكلمة اللعينة من الفم الملعون. كنت قد عبرت ذات مرة عن الغباء المتأصل في هذا (فالتحقق من الغباء لا ينفع بشيء) كما يلي: «ينتزع الحيوان السوط من السيد ويسوط به نفسه، وذلك كي يصبح هو نفسه سيدًا، ولا يدرك أن ذلك ليس سوى خيال صورته له عقدة جديدة أخرى في سوط السيد».

وإن التعذيب ليشير الشفقة بالطبع؛ ولهذا لم يقم الإسكندر بتعذيب «العقدة الجوردية» عندما استعصت على أن تنفك.

في هذا الصدد يبدو أن ثمة عرف يهودي موجود أيضًا،
قال (فנקوف^(١))، التي تكتب كثيرًا ضد اليهود في هذه الايام، قد أوضحت
في مقال بارز أخيرًا أن اليهود يفسدون كل شيء ويصيبونه بالانحلال،
وحتى أنه يفترض أنهم قد أفسدوا حركة (التسوط) التي كانت معروفة في
القرون الوسطى! ولسوء الحظ لم يرد بالمقال مزيد من التفاصيل عن هذا،
فقط كانت به فقرات مقتبسة من كتاب إنجليزي. أشعر «بتثاقل» بالغ يعوقني
عن الذهاب إلى مكتبة الجامعة، إلا أنني أود جدًا أن أعرف حقيقة علاقة
اليهود بهذه الحركة التي كانت (خلال العصور الوسطى) قد بعد بها العهد
عنهم جدًا. وربما وجد بين معارفك باحث يعرف شيئًا عن هذه الحركة.
لقد أرسلت الكتب، وأصرح لك بوضوح، أن ذلك لم يضايقني،
بل إنه على العكس من ذلك هو الشيء الوحيد الذي يكاد يكون له معنى
والذي قمت به منذ وقت طويل. كتاب (ألس)^(١) قد نفذت طبعته، وسوف
تظهر الطبعة الجديدة منه في عيد الميلاد. وقد اشتريت بدلًا منه كتابًا
لـ (تشيخوف). وأخشى ألا تكون طبعة (بابيكا) واضحة للقراءة، فلعلك
لم تكوني لتشتريها لو رأيتها، لكن كانت التعليمات قد وجهت إليّ.
هل قرأت شيئًا عن تفاصيل حريق المصححة؟ على أية حال ستكون
مصححة (جريمينشتاين) قد ازدحمت الآن وأصبحت بعيدة عن متناولي.
وكيف سيتمكن (هـ.) من زيارتي هناك؟ ظننت أنك قد كتبت لي أنه
موجود في ميران.

(١) الصحيفة لسان حزب الفلاحين المحافظ.

إن رغبتك في ألا أقابل زوجك من الممكن ألا تكون أقوى من رغبتني في ذلك، لكن لو لم يحضر هو بالفعل لزيارتي - ولا أكاد أظن أنه سيفعل ذلك - فسوف يكون لقاءنا عندئذ مستحيلًا.

تأجلت الرحلة مرة أخرى لأن لديّ أعمالاً عليّ أن أقوم بها في المكتب. ترين من هذا أنني لست خجلاً عندما أكتب إليك قائلاً إن لديّ «أعمالاً عليّ أن أقوم بها». بالطبع من الممكن أن تكون هذه أعمال كآبة أعمال أخرى غيرها؛ لكنها بالنسبة لي شبه إغماء، أقرب إلى الموت كقرب النوم منه. فقول «فثكوث» صحيح تمامًا. هاجري يا ميلينا، هاجري. تقولين يا ميلينا إنك لا تفهمين ذلك، حاولي فهمه بأن تسميه مرضًا. إنه واحد من كثير من الأعراض المرضية الذي يظن التحليل النفسي أنه قد كشف عنها. إنني لا أسميه مرضًا وأعتبر الجانب العلاجي من التحليل النفسي غلطة ميثوس من إصلاحها. كل هذه التي تدعى أمراضًا، مهما بدت بائسة، هي أمور تتعلق بالعقيدة، هي جهود للأرواح المكروبة في محاولاتها لبلوغ مرافئ في تربة أمومية على نحو ما؛ وعلى هذا يعتبر التحليل النفسي أيضًا أصل الأديان (في زعمه) ليس سوى ما يسبب للفرد «الأمراض». ونفتقد في أيامنا هذه بالطبع الإحساس بالمجتمع الديني بصفة عامة؛ فالملل لا حصر لها، ومحصورة في أشخاص فرادى - وربما يبدو ذلك على هذا النحو فقط للعين المتأثرة بألوان الحاضر.

ومع ذلك فمثل هذه المرافئ التي تشبث بالأرض الصلبة حقًا، هي في النهاية ليست ملكية للإنسان منعزلة قابلة للتبادل، بل هي خلافًا لذلك

(١) Ales فنان مصور وحفار تشيكي.

موجودة قبلاً في طبيعته، وهي تواصل عملها في تشكيل طبيعته (كما تعمل عملها في تشكيل جسمه أيضاً) في هذا الاتجاه، والأمل أن يكون هنا مجال العلاج؟

أما في حالتي فعلى المرء أن يتخيل ثلاث دوائر؛ دائرة داخلية هي (أ)، ثم (ب) ثم (ج)، وتفسر الدائرة المركزية (أ) للدائرة (ب) لماذا يتعين على هذا الرجل أن يعذب نفسه ويتشكك فيها، ولماذا يتعين عليه أن يرفض (إنه ليس رفضاً؛ لأن ذلك سيكون من الصعب جداً، ولكنه فقط مجرد وجوب لأن يرفض)، ولماذا قد لا يكون له أن يعيش؟ (وألَمْ يكن ديوجين مثلاً، مريضاً بهذا المعنى مرضاً عضالاً؟) ومن منا من لن يسعده لو أشرقت علينا في النهاية من أعلى عين الإسكندر؟ غير أن ديوجين قد استعطفه في إلحاح بالغ أن يتيح له الحصول على الشمس - تلك الشمس المرهقة، الإغريقية، التي يبعث حريقها على الجنون. لقد كان هذا الحوض مليئاً بالأشباح. أما عن (ج) الشخص الفعال، فلا شيء عنده يجد تفسيراً حتى الآن، فهذه الدائرة تتلقى الأمر من (ب). إن (ج) إنما يفعل تحت أقصى الضغوط عنفاً، عندما يتصعب عرق الخوف بارداً (هل ثمة عرق آخر يتفصد فوق الجبهة، والخددين، والصدغين وفروة الرأس - أو باختبار من كافة جوانب الجمجمة كلها، هذا هو حال (ج))، وعلى هذا فإن (ج) يعمل بفعل الخوف أكثر مما يعمل على أساس من الفهم؛ إنه يصدق ويعتقد أن (أ) قد فسر كل شيء لـ (ب) وأن (ب) قد فهم، وأوصل إليه كل شيء بالضبط.

إنني لا أفتر إلى الإخلاص يا ميلينا مع أن لدي انطباعاً بأن خط يدي

في الكتابة قد دأب على الازدياد صراحة ووضوحاً؛ فهل هو كذلك؟ كما أنني قد بلغت في إخلاصي آخر مدى تسمح به (تعليمات السجن) وهذا كثير، كما أن «تعليمات السجن» أيضاً تزداد تراخياً في صرامتها؛ لكنني لا أقدر على الثبات في الالتزام بخطاها، «فالثبات» مستحيل.

إن لي ميزة أتميز بها، وإن كانت في جوهرها لا تفرق كثيراً بيني وبين معارفي، وإن كانت تزداد في حالتي كثيراً في الدرجة. كلانا يعرف في النهاية نماذج نمطية كثيرة من اليهود الغربيين؛ وأعد أنا بقدر علمي أكثر هذه النماذج نمطية بينهم. ومعنى هذا في شيء من المبالغة أنه ليس لي أن أطمع في ثانية واحدة من الهدوء؛ لا شيء لي من هذا مطلقاً، وعليّ أن أكتسب كل شيء؛ ليس فقط الحاضر والمستقبل، بل عليّ أن أكتسب الماضي أيضاً - وثمة شيء فوق هذا ربما يكون قد اكتسبه كل كائن على نحو ما بالوراثة؟ هذا الشيء أيضاً عليّ أن أكتسبه. ولعل هذا أن يكون هو أشق ما يتعين عليّ أن أنجزه.

وعندما تسير الأرض نحو اليمين ولست متأكداً من أنها تفعل هذا - يكون قد تعين عليّ عندئذ أن أستدير أنا إلى اليسار؛ لكي أعوض ما فاتني من الماضي. ولما كنت لا أملك أدنى ذرة من القوة للاضطلاع بهذه الالتزامات، فلست أقوى على حمل الدنيا فوق كتفي؛ ولا أنا أحتمل حتى ثقل معطفي فوقهما. وهذا الافتقار إلى القوة، هو بالصدفة شيء لا يتعين على المرء بالضرورة أن يتباكى عليه؛ فأية قوة إذن تكفي للاضطلاع بهذه الأعباء. إن أية محاولة للمضي في هذا السبيل استناداً إلى قوتي الحالية هو جنون، وستكون عاقبته هي الجنون. لهذا السبب من المستحيل أن

(أثبت) في خطاي، كما تقترحين. وحدي لا يمكنني أن أمضي في الطريق الذي أريد المضي فيه، وفي الحقيقة لا أستطيع حتى أن أريد أن أمضي فيه. باستطاعتي فقط أن أهدأ؛ لا أستطيع أن أرغب في أي شيء آخر، كما أنني لا أريد أي شيء آخر.

إن الأمر لا يخرج عن كونه، كما لو أن شخصاً ما، لم يكن عليه فقط قبل أن يخرج في كل مرة للتريض أن يغتسل ويمشط شعره وما إلى ذلك - وهذا في حد ذاته مرهق حقاً بما فيه الكفاية - بل يتعين عليه أيضاً (بما أنه في كل مرة يفتقر إلى ما هو ضروري لنزهته) أن يخطط ثيابه هي أيضاً وأن يضع أحذيته وأن يقوم بتصنيع قبعته، وأن ينحت عصاه التي يتوكأ عليها في سيره، وهكذا. وبالطبع لا يكون قادراً على أن يصنع كل هذا على نحو جيد جداً، فلعلها أن تتماسك كلها إلى بعضها البعض على امتداد بضعة شوارع قليلة؛ لكنه عندما يبلغ الـ «جرابن»^(١) مثلاً، تسقط جميعاً كل منها في ناحية، ليقف هنالك عارياً وسط الخرق والأسمال، ويجيء الآن دور العذاب في جريه راجعاً إلى (ساحة ألشتايتير)^(٢). وفي النهاية ربما يندفع وسط غوغاء التأموا في حلقة شرك لليهود في «حارة (آيزن)».

لا تسيئي فهمي يا ميلينا، فأنا لا أقول بهذا إن هذا الرجل قد ضاع، لا، أبداً؛ لكنه يكون قد ضاع إن ذهب إلى (جرابن)، حيث يجلب الخزي على نفسه و العار على العالم.

(١) شارع عمومي في براغ.

(٢) حيث كان يقطن والد كافكا.

تسلمت رسالتك الأخيرة يوم الإثنين، وأرسلت ردي عليها أيضًا في الحال يوم الإثنين.

يخيل إليّ أن زوجك قد قال هنا إنه ينوي الرحيل إلى باريس، فهل هذا تطور جديد في إطار الخطة القديمة؟

وصلتني اليوم رسالتان. بالطبع أنت على حق يا ميلينا، فلا أكاد أجروّ على فض ردودك خجلًا من رسائلي، ورسائلي صادقة كما هي، أو على الأقل في طريقها لأن تكون صادقة - تصوري ما كنت سأفعل عندما واجهتني رسائلك، لو كانت رسائلي كاذبة! الجواب سهل: كنت سأصاب بالجنون. وعلى هذا فقول الحقيقة ليس فضيلة كبيرة جدًّا؛ بل هي أيضًا بالغة الصغر أيضًا، إنني أحاول طوال الوقت أن أنقل إليك شيئًا لا يمكن نقله؛ أن أشرح لك شيئًا لا يقبل التفسير، أن أخبرك بشيء يسكن في عظامي ولا يمكن أن تعاني تجربة معرفته فقط سوى هذه العظام وعسى ألا يكون ذلك في الأساس شيئًا سوى ذلك الخوف الذي تحدثنا عنه مرارًا بالفعل، إلا أن الخوف قد امتد إلى كل شيء، الخوف من عظام الأمور كالخوف من التوافه - الخوف، الخوف المتشنج كي لا ينطق كلمة. ومن ناحية أخرى مع ذلك، فلعل هذا الخوف ألا يكون خوفًا فقط، لكنه توق أيضًا في الوقت نفسه إلى شيء هو أكبر من كل الأشياء التي تبعث الخوف.

- «كان قد انقلب ضدي» - هذا شيء لا معنى له على الإطلاق. غير أنني أنا المعلوم، فهي تتألف من قليل جدًّا من الصدق في جانبي، قليل جدًّا جدًّا من الصدق، ويتألف أغلبها من أكاذيب، أكاذيب نابعة من الخوف من نفسي ومن الخوف من الناس! وهذه الجرة كانت قد انكسرت قبل أن

تذهب إلى النبع بوقت طويل^(١).

والآن سوف أمسك لساني؛ حتى يتسنى لي أن ألزم قليلاً جانب الصدق. إن الكذب أمر مخيف، لا يوجد عذاب عقلي أسوأ منه، وهذا هو السبب في أنني أستعطفك: أرجوك دعيني أصمت في الرسائل الآن، وأتوقف عن الكلمات في فيينا.

تكتبين قائلة: «لقد انقلب ضدي»، لكنني فقط أرى أنك تعذبين نفسك، وأنت كما تقولين تجددين السلام فقط في الشوارع، بينما أجلس أنا هنا، في حجرة دافئة، مرتدياً ملابس المنزلية، وشبشيبي، هادئاً بقدر ما يتيح لي ذلك (رقاص ساعتي) و(إنه لا بد لي من «تحديد الوقت»).

يمكنني أن أعرف متى سأرحل فقط بعد أن أسلم التصريح بالإقامة. ذلك أن الإقامة لمدة تزيد على ثلاثة أيام تتطلب تصريحاً خاصاً من السلطات، وقد قدمت طلباً لذلك منذ أسبوع.

- «لقد انقلبت ضدي» - إنني أفكر مرة أخرى في هذه الجملة فهي خاطئة تماماً مثلاً، بقدر ما تعبر عن الإمكانية المضادة.

ليس هذا خطئي، ولا هو خطأ الغير. هو فحسب أن منزلي إنما يتواجد في الهدوء الأهدأ، وهذا هو ما يصح بالنسبة لي.

لقد قصص هذا الموضوع لأجلك من الصحيفة (ليفين)^(١) قد أطلق عليه الرصاص في ميونيخ، هل لم يحدث له ذلك؟

(١) من المثل الألماني: «الجرة تذهب مراراً وتكراراً إلى النبع حتى لقد رجعت في النهاية إلى البيت مكسورة».

اليوم هو الخميس. حتى يوم الثلاثاء، كنت قد قررت جادًا أن أرحل إلى جريمينشتاين على الرغم من أنني عندما أفكر في ذلك أحس أحيانًا بتهديد داخلي، وأدركت أيضًا أن تأخير الرحلة كان إلى حد ما يرجع إلى هذا السبب، وعلى الرغم من ذلك، اعتقدت أنه من السهل إمكان أن أتغلب على الأمر كله. وفي يوم الثلاثاء بلغني من شخص ما أنه ليس من الضروري أن أنتظر في براغ لاستلام تصريح الإقامة، ذلك أن بإمكان المرء أن يحصل عليه في فيينا، في يسر. وعلى هذا كان الطريق مفتوحًا أمامي. وقد قضيت إحدى فترات الظهيرة بأكملها ممددًا فوق الأريكة أعذب نفسي، وفي المساء كتبت لك رسالة، غير أنني لم أرسلها لك؛ ذلك أنني ما زلت أظن نفسي قادرًا على أن أتغلب على الأمر. غير أنني قضيت الليلة المؤرقة كلها غالبًا وأنا أتلوى من العذاب.

إن هذين اللذين يكمنان في داخلي، ذلك الذي يريد الرحيل، والآخر الذي يخاف أن يرحل، كل منهما كان جزءًا مني، ولقد كانا وغدين كليهما، وكانا يتصارعان بداخلي، وفي الصباح نهضت كما أستيقظ وأنا في أسوأ حالاتي.

ليست لديّ القوة لكي أرحل، إن فكرة الوقوف في مواجهتك لا يمكنني مقدمًا أن أحتملها، لا أتحمل الضغط على ذهني.

تظهر رسالتك بالفعل خيبة أمل لا سبيل إلى مقاومتها، وإجباطًا لا حد له بداخلي - وتظهر رسالتي هذه ذلك أيضًا. تكتبين قائلة إنه لا أمل لديك، لكنك تملكين الأمل في أن يكون في مقدورك أن تتركيني تمامًا.

(١) مفوض الشعب خلال عهد جمهورية ميونيخ المستشارية.

لا يمكنني أن أوضح لك، ولا لسواك كيف أشعر بذلك في داخلي.
كيف أوضح كيف كان الأمر هكذا؟ لا يمكنني أن أوضح هذا حتى لنفسي،
ومع ذلك، فليس هذا هو الشيء الأساسي - فالشيء الأساسي واضح: أن
يعيش امرؤ حياة إنسانية في الجو الذي يحيط بي، مستحيل؛ إنك تدرकिन
ذلك، ومع ذلك فأنت لا تريد أن تصدقيه؟

مساء السبت

لم أتسلم بعد الرسالة الصفراء، وسوف أعيدها لك مغلقة.
سأكون مخطئاً خطأ بالغاً إن لم يتضح أن فكرة أننا قد توقفنا الآن عن
الكتابة أحدنا إلى الآخر، هي فكرة جيدة. إلا أنني لست مخطئاً يا ميلينا.
لن أتحدث عنك، ليس لأن هذا ليس من شأني، فهو شأني، إلا أنني
لا أريد أن أتحدث عنه.

وعلى هذا فسأتحدث فقط عن نفسي: إن ما تمثله بالنسبة لي يا ميلينا،
هو بالنسبة لي شيء يتجاوز كل العالم الذي نعيش فيه، شيء لا يوجد في
القصاصات اليومية من الأوراق التي ظلت أكتبها لك. هذه الرسائل في
حقيقتها لا نفع فيها سوى أنها تسبب العذاب، فلو كانت لا تسببه لكانت
عندئذ أشد سوءاً. إنها لا يمكنها أن تفعل سوى أن تقدم يوماً في جموند،
سوى أن تنتج أشكالا من سوء التفاهم، والإذلال، دائماً الإذلال المتصل.
أريد أن أراك في مثل الوضوح الذي رأيته عليك أول مرة في الشارع، إلا أن
الرسائل تشوش أكثر مما يفعل كل شارع (ل)، بكل وضوئه.

ومع ذلك، فليس هذا شيئاً حاسماً حتى؛ إن ما هو حاسم هو عجزى، الذي تزيده الرسائل وأن أبلغ إلى ما وراء الرسائل؛ هو العجز تجاهك، بالإضافة إلى العجز تجاه نفسي - ألف رسالة في جانبك، وألف رغبة في جانبي لا يمكنها أن تدحض ذلك بالنسبة لي - وما هو أكثر من ذلك حسماً هو الصوت القوي الذي ربما كان هو سبب هذا العجز، غير أن كل الأسباب إنما تقبع في الظلام، بما أنه كان صوتك أنت الذي يرجوني أن أظل صامتاً.

ويبقى الآن كل ما يتعلق بك ولم يحدث له بعد أن قيل، على الرغم من أنه موجود في كل رسائلك (وربما في الرسالة الصفراء أيضاً، أو أفضل: فهي تبدي نفسها في البرقية التي طلبت أنت بواسطتها، ولك كل الحق في طلبك بالطبع، إعادتها إليك)، ويوجد مراراً في الفقرات التي تخوف منها أنا، والتي أتجنبها كما يتجنب الشيطان مكاناً مقدساً.

غريب، لقد أردت أنا أيضاً أن أرسل لك برقية، ولقد دأبتُ هذه الفكرة لوقت طويل، في الفراش، خلال الظهيرة، فوق الشرفة في المساء، إلا أنها لم تكن سوى مجرد سطر واحد لا غير: «سؤال عن رد محدد، ومؤكد على الفقرات التي تحتها خط في الرسالة الأخيرة».

وأخيراً، مع ذلك باغتتني ريبة لا أساس لها؛ قبيحة تكمن في ثنايا هذا السطر فلم أرسله.

ها أنذا أجلس الآن لقراءة تلك الرسالة - لا أفعل شيئاً سواها، حتى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر - لقد حددت فيها، وحددت فيك من خلالها.. أحياناً وفي غير ما حلم، أرى هذه الرؤيا: وجهك وقد غطاه

شعرك، وأنجح في فرق الشعر، وإزاحته إلى اليمين وإلى اليسار، ويتبدى وجهك، وأدريت جبهتك وجبينك على الجانبين؛ كي آخذ وجهك الآن بين راحتيّ.

(في الهامش الأيمن): لو ذهبت إلى مصحة، فسوف أخبرك بذلك بالطبع.

الإثنين

أردت أن أمزق هذه الرسالة، ولا أرسلها، ولا أرد على البرقية، فالبرقيات بالغة الغموض؛ لكن وصلت البطاقة الآن والرسالة، هذه البطاقة وهذه الرسالة. لكن حتى تجاههما يا ميلينا، حتى لو كان اللسان الذي يتوق إلى الحديث كان عليه أن يتمزق مزقاً - فكيف يمكنني أن أعتقد أنك تحتاجين إلى رسائل الآن، بينما لا تحتاجين إلى شيء سوى الهدوء، كما قلت مراراً في شبه غيبوبة. وهذه الرسائل ليست في النهاية سوى عذاب؛ وليدة العذاب، العذاب الذي لا شفاء له، وتخلق فقط العذاب، العذاب الذي لا شفاء منه، ما فائدتها - وإنها لتزداد سوءاً حتى - خلال هذا الشتاء؟ وأن يكون المرء صامتاً، لهي الطريقة الوحيدة لكي يحيا هنا وهناك، في حزن، حسناً، أية أهمية لذلك؟ إنها تجعل النوم أكثر طفولية، وأكثر عمقاً. لكن العذاب معناه دفع محراث في عمق النوم - وعبر النهار - وهذا لا يحتمل.

الأربعاء

ليس هناك قانون يمنعني من الكتابة إليك مرة أخرى، ومن أن أشكرك على هذه الرسالة التي تتضمن ربما أجمل سطر على الإطلاق أمكن أن تكتبه إليّ، وهو هذا: «إنني أعرف أنك...».

إلا أن خلافًا لذلك كنت متفقة معي لوقت طويل على أننا ينبغي لنا الآن ألا يكتب أحدهنا بعد الآن إلى الآخر. وحقيقة أنني قد اتفق لي أن كنت أنا من عبر عن هذه الفكرة، هي مجرد صدفة. فقد كان من المحتمل بالمثل أن تكوني أنت من عبر عنها، وما دام أننا قد اتفقنا عليها فليس من الضروري أن نفسر لماذا سيكون من الخير عدم الكتابة.

إن السيئ هو فقط أنه (من الآن فصاعدًا لا ينبغي لك أن تسألني في مكتب البريد) لن يكون لي غالبًا أية إمكانية للكتابة إليك؛ أو سيكون لي فقط إمكانية أن أرسل لك بطاقة بدون كتابة، ستعني بهذا أن رسالة مني تنتظر في مكتب البريد. ويجب أن تكتبي إليّ دائمًا عندما يبدو ذلك ضروريًا للغاية، إلا أن هذا لا يحتاج إلى إيضاح.

لقد عالجت الصفة بالفعل مع (ف.) بطريقة سيئة جدًا، لا شك في ذلك، إلا أن تعاملني بشأنها لم يكن بالغ السوء إلى هذا الحد الذي بدا لك عند الصدمة الأولى. قبل كل شيء لم أكن قد ذهبت كمن يلتمس التماسًا، وأقل من ذلك استخدامي لاسمك. كنت قد ذهبت كشخص لا ينتمي إلى جهة ما، ويعرفك معرفة جيدة، شخص قد عاين بعض الأحوال في فيينا، وكان قد تلقى الآن رسالتين حزبتين منك أيضًا.

لن أقول وداعًا، فليس ثمة وداع، ما لم تجتذبني تلك الجاذبية
المتربصة في الانتظار، فتُهوي بي تمامًا إلى أسفل. لكن كيف يكون لها
أن تفعل بي ذلك ما دمت على قيد الحياة؟

سيدتي العزيزة ميلينا^(١)

أظن أنه من الأفضل ألا يتحدث المرء كثيرًا عن تغطية ظهره، وما
يرتبط بذلك، إلا بقدر ما يمكن للمرء أن يتحدث عن الخيانة العظمى
في وقت الحرب، فهذه في النهاية هي أشياء لا يستطيع المرء أن يفهمها
كل الفهم، ولا يسعه في نهاية المطاف سوى أن يخمنها، إنها أشياء لا
يكون المرء فيما يتعلق بها سوى «أمة» بأكملها، وليس مجرد فرد، إن
للمرء تأثيره على الأحداث، ذلك أنه بدون «أمة» لا يمكن لحرب أن
تُدار ومن هنا ينتحل المرء لنفسه الحق في أن يشارك في المناقشة، لكن
الحقائق الواقعة إنما يتم تقريرها فقط بواسطة الصلاحيات التي لا تحصى
للسلطات العليا. فلو كان للمرء أن يؤثر على الأحداث حقًا، بكلمة منه،
ولو بالصدفة، فلن ينتج عن ذلك فحسب سوى الضرر. ذلك أن الكلمات
هي في النهاية كلمات غير متخصصة، وتصدر بلا رابط، كما لو كانت
تصدر في أثناء النوم. والعالم يمتلئ بالجواسيس الذين يسمعون، في هذا
المقام يكون أفضل سلوك هو ذلك الذي يتصف بالوقار الهادئ الذي لا
يتأثر بالاستفزاز.

(١) الرسائل التالية كانت قد أرسلت إلى شقة ميلينا وهنا يعود كافكا إلى استخدام ضمير الشخص الثاني
الجمع «Sie» (حضرتك).

وكل شيء هنا في الحقيقة استفزاز، حتى العشب الذي تجلسين فوقه بجوار القناة الممتدة - بلا أدنى مسئولية بالمناسبة، في وقت أخشى أنا فيه أن أصاب بنزلة برد، بينما الموقد مشتعل، ألزم الفراش تحت ملاءة للتدفئة وبطانيتين ولحاف محشو بالريش. ويمكن للمرء فقط في النهاية أن يقرر إلى أي مدى يمكن للمظهر الخارجي أن يؤثر في العالم، وفي هذا المقام أتميز أنا بمرضي على كل نزاهاتك التي يتردد صداها المخيف، ذلك أنني لو أتحدث بهذا المعنى عن مرضي فلن يصدق حديثي أحد في الحقيقة؛ وفي الحقيقة ليس حديثي هذا سوى مزحة.

سوف أبدأ في الحال في قراءة (دوناييه)، وإن كنت ربما أرسلها إليك قبل أن أقرأها، فأنا أعرف ما الذي تعنيه رغبة ملحة كهذه؛ وأن المرء يكن ضغينة في داخله ضد من يحتجز لنفسه كتاباً كهذا؛ كنت متحيزاً مثلاً ضد عدة أشخاص لأنني ودون أن أستطيع الإثبات، كنت قد ارتبت في حصول كل منهم على نسخة من (بعد الصيف)^(١)، وجاء ابن (أوسكار باوم) إلى المنزل مسرعاً من مدرسة بالقرب من فرانكفورت، جاء أساساً لأن كتبه لم تكن معه هناك، وخاصة كتابه الأثير (ستوكلي وشركاه) لـ «كبلنج» الذي كان قد قرأه فيما أعتقد ٧٥ مرة، فلو كانت الحالة على هذا النحو بخصوص «دونادييه» فسوف أرسلها، إلا أنني أود أن أقرأها.

لو كانت لي صفحات التسلية في المجلة فلن أقرأ مقالات «الموضة»، فأين كانت هذه المقالات يوم الأحد الماضي؟ ستسعديني جداً إذا أشرت

(١) رواية لـ «أدالبرت شتفتر».

دائمًا إلى التواريخ. سأبحث عن «الشيطان» عندما أتمكن من الخروج ثانية، ففي هذه اللحظة ما زال لديّ بعض الألم.

جيورج كايزر - عرفت القليل بواسطته، ولم أشعر برغبة في معرفة المزيد، على الرغم من أنني لم أكن قد رأيت أي شيء من كتاباته على المسرح. قبل سنتين كنت متأثرًا تأثرًا بالغًا بدعواه القضائية - قرأت تقارير عنها في (صحيفة «تاترا») - وخاصة الدفاع الرائع الذي أعلن فيه عن حقه الذي رآه غير قابل للاعتراض أو الجدل في الحصول على ملكية أجنبية، مقارنةً وضعه في التاريخ الألماني بوضع لوثر، وطالب في حالة إدانته بأن الأعلام ينبغي لها أن تُنكس في ألمانيا.

وهنا بجوار فراش نومي تحدثت أساسًا عن ابنه الأكبر (لديه ثلاثة أبناء) وهو صبي في العاشرة من عمره، وهو الذي لن يرسله إلى المدرسة، والذي لن يعلمه بنفسه هو أيضًا؛ والذي كنتيجة لذلك، لن يكون قادرًا، لا على أن يقرأ، ولا على أن يكتب. ومع ذلك فقد كان يرسم بموهبة جيدة جدًا، وينفق أيامه متجولًا في أنحاء الغابة وعلى البحيرة (هم يعيشون في منزل ريفي منعزل في (جرونهايده)، بالقرب من برلين، وعندما قلت لكايزر، عندما هم بالانصراف: «على أية حال إن هذا مشروع هائل!» أجبني بقوله: «إنه بالفعل المشروع الوحيد، وكل شيء آخر هو شيء عارض على نحو أو آخر». غريب أن يراه المرء على هذا النحو، ولا يفترق هو إلى القدرة على الإمتاع عندما يراه المرء على هذا النحو - نصف رجل أعمال من برلين طائش مرح، نصف مجنون. وهو لا يظهر قط، وقد بدا عليه الاهتزاز في كيانه كله، وعميقًا، على الرغم من أنه جزئيًا في الحقيقة

هكذا إلى حد بعيد. وهم في النهاية يقولون إنها كانت هي تلك المناطق وحدها التي دمرته، ولا شيء غيرها (وكان قد التحق بإحدى الوظائف في مرحلة شبابه في أمريكا الجنوبية، وعاد من هناك مريضاً، واستلقى لمدة ثماني سنوات متكاسلاً فوق الأريكة، ثم بدأ عندئذ في العودة إلى الحياة في مصحة). هذه النصفية تعبر عن وجودها أيضاً في وجهه - وهو وجه مسطح بعينين خاويتين لونهما أزرق لامع، يبدو أن مع ذلك مثل تفاصيل عديدة أخرى في وجهه، بينما تنتفضان في سرعة إلى الأمام، وإلى الخلف. بينما تبقى الأجزاء الأخرى في وجهه بلا حراك، كما لو كانت مشلولة. وفي الحقيقة لدى ماكس انطباع عنه يختلف عن هذا كل الاختلاف، فهو يعتبره مستفزاً محرّكاً، وربما كان هذا هو السبب في أنه بعطفه قد أرغم كايذر على أن يجيء لزيارتي. والآن ها هو قد استولى على الجانب الأغلب من هذه الرسالة. وكنت أنوي أن أقول عدة أشياء أخرى. المرة القادمة.

سيدتي العزيزة ميلينا،

لا بد أن أعترف بأنني ذات مرة حسدت شخصاً ما حسداً بالغاً جداً؛ لأنه كان محبوباً، ومحاطاً برعاية طبية، يتولى حراسته العقل والقوة، ويرقد في سلام تحت الأزهار. إنني دائماً سريع الحسد.

أعتقد أنني على حق في الاستنتاج من مجلة (تريبونا) (التي لم أكن أقرأها بانتظام، بل بين الحين والحين) أنك قد مضيت صيفاً طيباً، لقد حصلت ذات مرة على (تريبونا) على المحطة في (بلانا)؛ وكانت سيدة من المتواجرات بالمنتجع الصيفي تتحدث إلى أخرى، وهي تمسك في

يدها بالمجلة خلفها، مسددة نحوي- عندئذ استعارتها شقيقتي ل. فإذا لم أكن مخطئًا، فقد كان لك مقالة مرحة جدًا بها، ضد منتجعات المياه المعدنية الألمانية. وذات مرة كتبت عن مسرات الحياة الصيفية في مناطق السكك الحديدية النائبة، وكانت هذه المقالة أيضًا مقالة جيدة؛ أو أنها كانت هي نفس المقالة؟ لا أظن ذلك. وكالعادة عندما تظهرين في الـ (ناروني ليستي)، وتتركين مدرسة (الموضة) اليهودية خلفك؛ فقد كانت المقالة حول واجهات العرض متفوقة بصورة مذهشة. ثم قمت بترجمة تلك المقالة عن الطهارة، لماذا؟ وكانت الـ «عمّة» غريبة على نحو ما- ففي إحدى المرات كتبت أن الرسائل ينبغي أن تلصق عليها طوابع البريد عل النحو الصحيح، ثم أن على المرء ألا يلقي بأي شيء خارج النافذة، وكلها حقائق مسلم بها، ومع ذلك فهي صراعات يائسة، لكن المرة بعد الأخرى، لو أن المرء ألقى انتباهًا لائقًا فإن شيئًا عذبًا، مؤثّرًا، وحسنًا يزحف إلى داخله على الرغم من ذلك؛ لكنها لا ينبغي لها أن تكره الألمان كل هذا الكره الزائد، إن الألمان رائعون، وسوف يظلون هكذا، هل تعرفين قصيدة آيشندورف: «آه، أيتها الوديان الواسعة، آه أيتها الأعالي!»، أو قصيدة (يوستينوس كيرنر) عن (ورشة نشر الخشب؟)^(١)، إذا كنت لا تعرفينها فسوف أنسخها لك ذات يوم.

ستكون هناك أشياء عديدة أقولها عن (بلانا)، لكن الآن انقضى وقتها. كانت أولاً غاية في العذوبة معي، على الرغم من أنه بالإضافة لي لديها أيضًا طفل. كانت رثتي جميلة على الأقل هنا في الخلاء، وهنا حيث

(١) «الجوّال عند منشّر الخشب» وهي قصيدة غالبًا ما اقتبس منها كافكا.

بقيت طوال الأسبوعين الماضيين؛ لم أذهب بعد لزيارة الطبيب. لكن يمكن أن يكون ذلك بالغ السوء، إذا اعتبرنا مثلاً، أنني كنت قادراً- أيها الغرور المقدس إن عليّ أن أقوم بتقطيع الخشب لمدة ساعة أو تزيد دون أن يصيبني التعب، وكنت مع ذلك سعيداً للحظات. أشياء أخرى، النوم، والاستيقاظ الذي يرتبط به، كانا أحياناً أسوأ.

وماذا عن رثتك؟ هذه المخلوقة القوية المعذبة الرزينة؟

لك

ك

لقد انقضى وقت طويل منذ أن كتبت لك، يا سيدتي ميلينا، واليوم حتى أكتب فقط كنتيجة لحادث، فعلاً، ليس لي أن أعتذر عن عدم كتابتي لك، فأنت تعرفين فوق كل شيء، إلى أي حد أكره الرسائل. كل سوء الحظ في حياتي كلها- لا أرغب في التشكي، بل أود أن أقدم ملاحظة إرشادية عامة- كل سوء الحظ هذا إنما يستمد وجوده كما يسع المرء أن يقول، من الرسائل، أو من إمكانية كتابة الرسائل. إن الناس لم يكادوا قط أن يخدعوني، لكن الرسائل قد فعلت ذلك دائماً- وفي الحقيقة ليست فقط رسائل الآخرين، بل فعلته رسائلني أنا نفسي. وسوء الحظ في حالتي، هو سوء حظ خاص، لن أزيد في الحديث عنه، لكنه في الوقت نفسه سوء حظ عام أيضاً.

إن إمكانية السهولة التي تتصف بها كتابة الرسائل لا بد أنها مرئية من زاويتها النظرية فحسب- قد جذبت إلى الدنيا تحللاً مرعباً للنفوس. إنها،

في الحقيقة محادثة مع الأشباح، وليس فقط مع شبح المستلم للرسالة، بل أيضاً مع شبح المرء نفسه، ذلك الذي ينمو بين سطور الرسالة التي يكتبها المرء وحتى يزيد في تلك التنمية في سلسلة من الرسائل حيث تعزز إحدى الرسائل الرسالة الأخرى، ويمكن أن تشير إليها كشاهد. فكيف أمكن قط أن حصل أي شخص على فكرة أن الناس يمكنهم أن يتواصل أحدهم مع الآخر بواسطة رسالة! يمكن للمرء أن يفكر في شخص بعيد، ويمكنه أن يمسه بالشخص الذي يكون قريباً منه - أما كل ما عدا ذلك فهو يتجاوز مجال القوة البشرية. كتابة الرسائل، مع ذلك، تعني أن يجرد المرء نفسه أمام الأشباح، وهو شيء تنتظره تلك الأشباح في نهم. والقبلات المكتوبة لا تبلغ غايتها، ذلك أن الأشباح تشربها في الطريق. على هذه التغذية الوافدة تتكاثر الأشباح على نحو هائل، وتذكر البشرية ذلك بإحساسها، وتحاربه، ولكي تتخلص بقدر ما تستطيع من العنصر الشبحي بين الناس، ولكي تخلق تواصلاً طبيعياً، هو سلام الأرواح، اخترعت السكك الحديدية، والسيارة، والطائرة، إلا أنها لم تسفر عن أي خير، فهذه هي اختراعات من الواضح أنها قد تم إنجازها عند لحظة التخطم. والجانب المعارض هو جانب أكثر هدوءاً إلى حد بالغ وأشد قوة، وبعد الخدمة البريدية اخترعت البشرية البرق، والتليفون والراديو جراف. إن الأشباح لن تقضي نحبها جوعاً، لكننا نحن سوف نهلك.

إنني مندهش لأنك لم تكتبي عن ذلك بعد. ليس لكي تمنعي أو تحققي شيئاً بنشره؛ لأن ذلك قد أصبح متأخراً جداً؛ بل لكي تظهر لها (الأشباح) أنها قد تم التنبه لوجودها.

ويستطيع المرء أيضًا أن يتعرف «عليهم» مصادفة، بواسطة الاستثناءات، ذلك أنهم أحيانًا يسمحون لرسالة بأن تمر بدون تدخل، وتصل الرسالة كأنها يد صديقة، فتضع نفسها، خفيفة وعطوفة في يد المرء. حسنًا، فهذا أيضًا ربما يبدو فقط، وكأنه كذلك؛ ومثل هذه الحالات ربما تكون أكثرها خطورة، وينبغي على المرء أن يزداد حذرًا منها على حذره من غيرها. لكن لو كانت هذه خداعًا فإنها عندئذ ستكون على أي الأحوال خداعًا كاملاً.

شيء من هذا القليل حدث لي اليوم؛ وهذا هو السبب في الحقيقة الذي من أجله خطر لي أن أكتب إليك. تسلمت اليوم رسالة من صديق^(١) تعرفينه أنت أيضًا؛ لم نكن قد كتب أحداً للآخر منذ وقت طويل، وهو شيء بالغ الحساسية والإدراك. ويلي ما سبق قوله إن الرسائل هي علاج تام للنوم، فأية حالة تلك التي يصلون في أثنائها! حالة، مجدبة، خاوية، مستفزة، بهجة اللحظة أعقبتها معاناة طويلة الأمد. بينما أقرأهم، ينسى المرء نفسه، وينهض النوم القليل الذي يملكه المرء، ينهض، ويطير من خلال النافذة المفتوحة ولا يعود لوقت طويل. هذا هو السبب في أننا لا يكتب أحداً إلى الآخر. إلا أنني أفكر فيه غالبًا، وإن يكن على نحو عابر للغاية. كل تفكيري هو تفكير عابر للغاية.

لكن في الليلة الماضية تملكني التفكير فيه طويلاً، لساعات؛ قضيت ساعات الليل في الفراش (وهي عزيزة عليّ للغاية بسبب عداؤها) أكرر له المرة بعد المرة بنفس الكلمات في رسالة خيالية عدة حقائق كانت قد

(١) من ميلينا نفسها فيما يبدو.

تبدّت لي في تلك اللحظة بالغة الأهمية. وفي الصباح وصلتني رسالة منه بالفعل، واحتوت علاوة على ذلك، على تلك الملاحظة، بأن الصديق كان قد تواجد لديه، لشهر - أو على نحو أفضل، منذ شهر - الشعور بأنه ينبغي عليه أن يأتي لزيارتي، وهي ملاحظة تطابقت على نحو غريب مع أشياء كنت قد مررت بتجربتها.

حادثة الرسالة هذه دفعته إلى كتابة رسالة، وربما أنني كنت قد بدأت بالفعل، فكيف كان بإمكانني ألا أكتب لك أنت أيضًا يا سيدتي ميلينا التي تمتعني (الكتابة إليها أشد المتعة بقدر ما يمكن للمرء أن يتمتع بكتابة الرسائل التي تخاطب مع ذلك الأشباح فقط التي تحاصر مائدتي في نهم).

لقد انقضى وقت طويل قبل أن أرى أي شيء من كتاباتك في المجلات، فيما عدا مقالات (الموضة) التي بدت لي، أخيرًا، فيما عدا استثناءات صغيرة، هادئة ومرحة، وبصفة خاصة المقال الأخير عن الربيع. وحتى ذلك الحين، حقًا، لم أكن قد قرأت الـ (تريونا) لمدة ثلاثة أسابيع، لكنني سأحاول أن أطلبها، لقد كنت في (شبندلولة)، ثم وصلت رسالتك، وإنه لغريب في هذه الأيام أن ترد في كتابتي إليك: ينبغي لك، متى لم تفعلني؟ - فلتصبري عليّ. لسنوات لم أكن قد كتبت رسائل لأي شخص، وفي هذا المجال، كنت تمامًا وكأنني ميت؛ أفترق إلى أية رغبة في أن أتواصل، كنت وكأنني لست من هذا العالم، ولا من أي عالم آخر أيضًا. كان ذلك كما لو كنت خلال كل هذه السنوات، قد فعلت كل شيء كان قد طُلب مني بطريقة آلية، وفي الحقيقة انتظرت فقط صوتًا ما كي يناديني، حتى ناداني المرض في النهاية من الحجرة الملاصقة، فهرعت إليه جريًا

وأعطيت نفسي له أكثر فأكثر. إلا أن الظلام يخيم على تلك الحجرة وليس المرء متيقنًا تمامًا إن كان ما بها هو المرض.

على أية حال، أصبح التفكير والكتابة صعبة بطريقة متزايدة، وأحيانًا في الكتابة تمر فارغة عبر الصفحة، وما تزال تفعل؛ وعن التفكير لن أتحدث بالمرة (أذهل المرة بعد المرة لميزة الالتماع في تفكيرك، وكيف تتجمع مجموعة من العبارات معًا، ويلتصم البرق). وعلى كل حال، لا بد لك من الصبر، فهذا البرعم يتفتح ببطء وإنه كبرعم فحسب لأن المرء يمنح اسم البرعم لما هو مستغرق على نفسه.

لقد بدأت قراءة رواية (دوناديه)، لكنني حتى الآن قرأت فيها قليلًا جدًا، لا أستطيع أن أنغمس فيها تمامًا، وحتى القليل الذي قرأته له ^(١) من قبل لم يحركني كثيرًا جدًا. لقد نال الثناء لبساطته، إلا أن البساطة تجد ترحيبًا بها في ألمانيا وفي روسيا. إنه ساحر هذا الجسد، لكنه يفتقر إلى القوة التي تمنع المرء من تجاوزه منصرفًا عنه أثناء القراءة. إن ما قد قرأته حتى الآن (فأنا ما زلت في ليون) يبدو لي من خصائص فرنسا المميزة، أكثر من كونه من الخصائص المميزة لفيليب، ثمة انعكاس واهن لـ (فلوبيير)، مثلًا الجذل المفاجئ عند ركن أحد الشوارع (هل تذكرين بالمصادفة تلك الفقرة؟). أما الترجمة فتبدو وكأنها قد تمت بيدي اثنين من المترجمين، أحدهما جيد جدًا لفترة ما، ثم مرة أخرى سعى إلى درجة انعدام القابلية للفهم (ثمة ترجمة جديدة لـ (فولف) على وشك أن تنشر)، وعلى كل حال فإنني مستمتع جدًا بقراءتها، لقد أصبحت قارئًا جيدًا إلى درجة كبيرة وإن كنت

(١) شارل - لويس فيليب.

بطيئاً. إن ما يزعجني في هذه الرواية هو ضعفي الذي أصبح مرتبكاً بسببه ارتباكاً شديداً عندما أواجه الفتيات الصغيرات، ويبلغ هذا الارتباك مدى أبعد فيجعلني لا أؤمن بفتيات الكاتب؛ لأنني لا أؤمن بأن في وسعه الجرأة على أن يقترب منهن. إن ذلك يبدو لي كما لو أن الكاتب كان قد صنع دمية وأطلق عليها اسم (دوناديه) لا لشيء سوى أن يصرف انتباه القارئ عن (دوناديه) الحقيقية التي تختلف كل الاختلاف وتتواجد في مكان آخر.

وبالفعل من داخل سنوات البنوة هذه بكل عذوبتها تتطلع نحوي صيغة جامدة ما كما لو كان ما قيل هنا لم يكن حقاً قد حدث، لكن فحسب ما أعقبه، وأنه كان قد تم اختراعه فيما بعد كمفتتح طبقاً لقوانين الموسيقى، وجرت مطابقتها على الواقع.

وهناك روايات يتصل فيها هذا الإحساس ويبقى إلى النهاية - منها «على الطريق الواسع»^(١) لا أدري.

أحب تشيخوف كثيراً جداً، وفي أحيان أحبه بجنون تام. حسناً لا أعرف شيئاً عن (فون در موله)، ولا عن (ستيفنسون) فيما عدا أنه كاتبك المفضل. سوف أقرأ (فرانتسي)^(٢). لكنني فيما عدا فقرات صغيرة معينة بها، أثق أنك لن تعجبي بها. ويمكن تفسير ذلك بواسطة نظريتي التي تتلخص في أن الكتاب الأحياء تكون لهم ارتباطات حية برواياتهم. فوجودهم في حد ذاته يحاربون من أجل أو يحاربون ضد هذه الروايات. والحياة الحقيقية المستقلة للرواية تبدأ فحسب بعد وفاة الكاتب؛ أو، على نحو أكثر صحة،

(١) «على الطريق الواسع» ربما كان عنواناً لإحدى الروايات.

(٢) رواية لـ (ماكس برود).

بعد وفاته بوقت ما، ذلك أن هؤلاء الرجال التواقين يواصلون الحرب لفترة ما من أجل رواياتهم فيما وراء موتهم. ثم بعد ذلك تصبح الرواية وحيدة ويمكنها أن تستند فقط إلى القوة التي تستمدّها من نبضات قلبها. وهذا هو السبب في أنه كان من المعقول جدًّا لـ (مايربير) مثلاً، أن يحاول ويدعم نبضات القلب هذه بأن يترك تركة لكل أوبرا من أوبراته تتدرج ربما تبعًا للثقة التي أحسها بالنسبة لكل منها. عن هذا هناك المزيد، وإن لم يكن مهمًّا جدًّا، من الأشياء التي يمكن أن تقال. وبتطبيقها على رواية (فرانتسي)، فإنما يعني هذا أن رواية الكاتب الحي هي حقًّا حجرة النوم الكائنة في نهاية شقته، والمخصصة للقبلات، إن كان يستحق القبلات، أو التي تختص بالإزعاج إن لم تكن حالة هكذا. وإنه لا يكاد يكون حكمًا على الرواية إذا قلت أنا إنها تعجبني أو قلت أنت - وربما لا تقولين - عكس ذلك.

اليوم أقرأ جزءًا أكبر من رواية (دوناديه)، إلا أنني لا أستطيع أن أتقدم في قراءتها، كما لا يسعني أن أتقدم اليوم في تفسيرها، ذلك أن شقيقتي في داخل المطبخ المجاور لي تتحدث إلى الطاهية، وهي محادثة يمكنني أن أقطعها بسعال قصير واحد، إلا أنني لا أريد أن أقطعها، ذلك أن هذه الفتاة - ولقد عملت معنا منذ أيام قليلة فقط - في التاسعة عشرة من عمرها قوية البنية بدرجة هائلة، تزعم أنها أتعس مخلوقة في الدنيا، بلا سبب، وأنها تعيش فقط لأنها تعيش، وفي حاجة إلى مواساة شقيقتي (التي تصادف أنها بحكم عادة قديمة، كما يقول والدي: «تفضل أن تجلس مع الخادمة»)، وأيًا كان ما أقوله عن الرواية مما يتبدى لي ظاهرًا سوف يكون مجافًا للعدل، ذلك

أن كل الاعتراضات تعجيء من النواة، وليس من نواة الكتاب. فلنفترض أن أحدهم قد ارتكب جريمة قتل بالأمس - ومتى كان باستطاعة هذا الأمس أبداً أن يتحول إلى يوم آخر قبل الأمس؟ - عندئذ فهو لن يطبق أن يقرأ اليوم قصصاً عن القتل. فهذه القصص ستكون بالنسبة له هي كل شيء تلقائياً في وقت معاً: مؤلمة، مضجرة، وباعثة على الغيظ. إن انعدام الوقار أو التهريج الوقور والصفافة المرتبكة، والسخرية المثيرة للإعجاب، والتي تتصف بها الرواية جميعاً - لا شيء منها يعجبني. فعندما يغوي رافائيل (دوناديه) فإن ذلك يكون غاية في الأهمية بالنسبة لها، لكن أي عمل استلزم وجود المؤلف في حجرة الطالب، وحتى من هو أقل الجميع اهتماماً بها، وهو الشخص الرابع أو القارئ، إلى أن تتحول الحجرة إلى قاعة محاضرات لكلية الطب أو علم النفس. وبالإضافة إلى ذلك لا يوجد في الرواية غير هذا سوى القليل جداً، فيما عدا اليأس.

ما أزال غالباً أفكر في مقالتك، وبغربة كافية، أعتقد - لكي ندع الحوار المتخيل يدخل في ثنايا حوار حقيقي: اليهودية، اليهودية! - أعتقد أنه توجد أشياء من قبيل زيجات لا تقوم على أساس من اليأس الناتج من كون المرء وحيداً، وما هو أكثر من ذلك، وهو أن هذه الزيجات تكون زيجات متفوقة واعية، وأظن أن الملاك يعتقد في ذلك جوهرياً هو أيضاً.

بالنسبة لهؤلاء الذين يعقدون زواجا بدافع من اليأس - ما الذي يجنونه؟ فلو أن الوحدة أضيفت إلى وحدة فلن يؤدي ذلك مطلقاً إلى تألف، بل يؤدي إلى (كاتورجا)^(١) فكل وحدة منهما ستعكس نفسها في الوحدة الأخرى،

(١) كلمة روسية تعني مدة سجن طويلة يعقبها النفي.

حتى في أعماق وأحلك الليالي. ولو ربط أحد وحدة إلى أمن، فسوف تكون أسوأ حتى بالنسبة للوحدة (ما لم تكن وحدة رقيقة، مراهرة، لا واعية).
إن الزواج يعني بالأحرى - إذا كان للمرء أن يحدد الحالة بوحدة وصرامة - أن يكون المرء آمناً.

لكن في هذه اللحظة أسوأ شيء هو - حتى أنا لم أكن توقعته - أنني لا أستطيع أن أواصل كتابة هذه الرسائل، ولا حتى هذه الرسائل المهمة. إن الساحر الشرير لكتابة الرسائل قد بدأ يحطم ليالي - تلك الليالي التي تحطم نفسها حتى؛ بنفسها على أية حال - يحطمها أكثر مما حطمها لي من قبل. لا بد أن أتوقف، لا يمكنني أن أكتب بعد هذا. آه، إن انعدام نومك يختلف في نوعه عن أرقي. أرجوك فلنكف عن الكتابة بعد هذا.

بطاقة بريدية من دوبريتشوفيتشي

علامة بريدية ٢٣٠٥٠٩

شكراً جزيراً لتحياتك. أما بالنسبة ليل، فلقد خرجت قادماً إلى هنا لأيام قليلة، فالأمور في براغ ليست على ما يرام كثيراً. إلا أنها ليست رحلة بعد، إنها مجرد خفق لجناحين لا فائدة منهما بالمرّة.

ك.

بطاقة بريدية من دوبريتشوفيتشي

علامة بريدية ٢٣٠٥٠٩

آمل أن تكوني قد تسلمت بطاقتي من دوبريتشوفيتشي، إنني ما زلت هنا، لكنني سأغادر المكان في غضون يومين أو ثلاثة أيام راجعاً إلى موطني، إنه مكان باهظ التكاليف جداً، ولا يكاد النوم يعرف طريقه إليه، وهكذا وإن كان من ناحية أخرى مكاناً جميلاً فوق كل وصف. أما بالنسبة للرحلات التالية، فهذه الرحلة قد جعلتني ربما أكثر قابلية للسفر إلى حد ما، حتى لو كانت الرحلة لا تعني أكثر من البعد لمسافة نصف الساعة عن براغ، إنني أخشى فقط، أولاً، التكاليف - فهذا المكان بالغ التكاليف وإن يتاح للمرء أن يبقى هنا على مدى الأيام الأخيرة فقط قبل وفاته، فإنه لن يكون قد تبقى معه شيء - وثانياً أخشى - السماء والجحيم وغير هذا، فإن العالم كله مفتوح أمامي.

مع أرق تحيات

المخلص لك

ك

(بالقلم الرصاص، عبر وفوق وتحت البطاقة)

إنهم سيئون أيضاً في إعطاء المرء الفكة الصحيحة، فتكون حيناً أكثر من اللازم جداً، وفي حين آخر أقل من اللازم بكثير، ومن الصعب عدها؛ فالساعي سريع جداً. بالمناسبة، إنها المرة الثالثة منذ عرف أحدنا الآخر التي حذرتني فيها فجأة، في لحظة قصوى محددة، أو هدأتني - أو أيّاً ما

كانت الكلمة التي يروق للمرء أن يعبر بها عن ذلك - بأسطر قليلة.

بعد لقائنا الأخير، عندما اختفيت أنت^(١) فجأة (وإن لم يكن ذلك مما يشير الدهشة)، لم أتلق منك أية رسائل ثانية حتى بداية سبتمبر - عل نحو كان بالنسبة لي طريقة بالغة الإزعاج. في تلك الأثناء، في يوليو - كان شيء مهم قد حدث لي - أية أشياء هذه التي توجد إن كنت قد ذهبت إلى (موريتز) على بحر البلطيق بمساعدة شقيقتي الكبرى، بعيدًا عن براغ على أية حال، بعيدًا عن الحجرة المغلقة. في البداية لم أشعر أيضًا بتحسن، ثم في (موريتز) تطورت إمكانية برلين على غير توقع، كنت قد انتويت بالفعل الذهاب إلى فلسطين في أكتوبر، أظن أننا تحدثنا عن ذلك، بالطبع لم تكن هذه النية لتتم، لقد كانت وهمًا تخيله شخص كان مقتنعًا بأنه لن يغادر فراشه ثانية قط. فإذا كنت لن أغادر فراشي ثانية قط، فلماذا لا أرحل حتى أبلغ مكانًا كلفلسطين؟ إلا أنني في (موريتز) كنت قد اتصلت بمستعمرة صيفية لجماعة من برلين تسمى موطن الشعب اليهودي، وكان أغلبهم من اليهود الشرقيين. وقد اجتذبتني جدًا، وقفت في طريقي، وبدأت أفكر في إمكانية الانتقال إلى برلين. في ذلك الوقت لم تكن هذه الإمكانيات تزيد في واقعيتها عن خطة فلسطين، إلا أنها أخذت تزداد قوة. وأن أعيش وحدي في برلين كان مستحيلًا بالطبع، من كل الوجوه، ليس فقط في برلين، بل ولا في أي مكان آخر في هذا الصدد. ومن أجل هذا، قدم لي أحد الحلول^(٢) نفسه في (موريتز)، (كان حلاً مدهشًا بطريقته الخاصة) ثم في منتصف أغسطس،

(١) هنا يعود كافكا مرة أخرى إلى استخدام ضمير الشخص الثاني المفرد (Du) أنت.

(٢) يشير كافكا هنا إلى «دورا ديمانت» رفيقته خلال شهوره الأخيرة.

ذهبت إلى براغ، ثم فيما بعد قضيت أكثر من شهر مع شقيقتي الصغرى في (شيليسن). وهنا سمعت بالصدفة عن الرسالة المحترقة فانتابني اليأس، وكتبت لك رسالة في الحال لكي أخفف عن نفسي، لكنني لم أرسلها في النهاية؛ لأنني لم أكن قد عرفت شيئاً عنك، أخيراً أحرقت هذه الرسالة هي أيضاً قبل أن أغادر برلين. وعن الرسائل الثلاث الأخرى التي ذكرتها، لا أعرف شيئاً حتى اليوم، كنت قد فقدت صوابي بسبب عار كان قد ألصق بشخص ما، لم أعرف بالضبط على أي من الثلاثة المعنيين، إلا أن اليأس بالطبع حتى لو كان مختلفاً في نوعه، فلم أكن لأهرب تحت ضغط أي ظرف من الظروف، ولا حتى لو كنت قد تسلمت الرسالة بالفعل في (موريتز).

ثم في نهاية سبتمبر غادرت المكان متجهاً إلى برلين. وبعد مغادرتي بفترة قصيرة، تسلمت بطاقتك من إيطاليا، أما بخصوص الرحيل فقد قمت بتنفيذه بآخر رمق من القوة أمكنني أن أستدعيه، أو على نحو أكثر صحة قمت بتنفيذه بالفعل بدون أدنى قوة، على نحو أشبه تماماً بالحالة الجنائزية.

والآن ها أنا هنا؛ وحتى الآن تبدو الأمور في برلين بالغة السوء كما يبدو أنك تظننها؛ إنني أعيش في الريف غالباً، في فيلا صغيرة، وحديقة، ويبدو لي أنني لم يكن لي من قبل قط مثل هذه الشقة الجميلة، وإنني لوائت كل الثقة بأنني سوف أفقدها حالاً- فهي زائدة الجمال بالنسبة لي، وبالمصادفة فهي بالفعل الشقة الثانية التي أقمت فيها هنا. وحتى الآن لا يكاد الطعام يختلف جوهرياً عنه في براغ، وإن يكن طعامي وحده. ونفس

الشيء صحيح بالنسبة لصحتي. وهذا هو كل شيء. ولا يمكنني أن أجروّ على قول المزيد بعد هذا، وما قلته هو بالفعل كثير جدًّا، إن الأرواح النجمية تشربها بالفعل في نهم من خلال حناجرها الشرهة. وأنت تقولين أقل حتى من هذا في رسالتك. هل الحالة العامة حالة جيدة محتملة؟ لا يمكنني أن أحل لغزها. بالطبع لا يمكن للمرء حتى أن يفعل في حالته هو الخاصة؛ وبهذا فـ «الخوف» ليس شيئًا آخر سوى هذا.

ف.

عزيزتي ميلينا،

لوقت طويل كان جزء من رسالة ملقى هنا جاهزًا لك^(١)، إلا أن الاستمرار ليس سهلًا؛ لأنه حتى هنا عثرت عليّ الآلام القديمة وهاجمتني وطرحتني أرضًا على نحو ما. في مثل تلك الأوقات، كل شيء قد تحول إلى جهد، كل لمسة بالقلم، كل شيء أكتبه يبدو لي مهمًّا جدًّا، بنسبته إلى قوتي، وعندما أكتب (مع أرق تحياتي) - فهل لهذه الكلمات القوة حقًّا لكي تصل إلى (ل. شتراسه) «الشارع» الحضري، الصاخب، الوحشي، الرمادي، حيث لا أستطيع أنا أو ما ينتمي إليّ أن يتنفس؟ وهكذا أجدني في النهاية لا أكتب على الإطلاق، إنني أنتظر أوقاتًا أفضل، أو حتى أسوأ، أما فيما يتعلق بالباقي فأنا بخير وفي حماية هنا إلى أقصى حدود الإمكانيات الدنيوية. وعن الدنيا أتعلم فقط، وإن يكن على نحو أكثر شدة وتأكيدًا، من

(١) ضمير المخاطب «ك» هنا بصيغة التحفظ Sie الشخص الثاني الجمع.

خلال ارتفاع تكاليف المعيشة. لا تصلني أية صحف من براغ، أما صحف برلين فهي غالية الثمن جدًّا - فماذا عن إرسالك مرة من حين لآخر بعضًا من قصاصات (نارودني ليستي) تلك التي طالما منحتني كثيرًا من السعادة. بالمصادفة، كان عنواني في الأسابيع القليلة الأخيرة هو:

شتجلتس، جرونيڤالد شراسة ١٣، س/و، هر-زايفيرت.

والآن، مع ذلك «مع أرق تحياتي»، فما أهمية إن كانوا قد هبطوا بالفعل عن طريق بوابة الحديقة، ربما تكون قوتك أشد ما تكون.

لك

ك.